المخطوط العربي

مجلّة علميّة نصف سنويّة تُعنى بالمخطوطات وتحقيقها
وتاريخ العلوم عند العرب

الهيئة العامة السورية للكتاب
The Syrian General Book Authority

العدد (٨) النصف الثاني ٢٠٢٤

تصدر عن وزارة الثقافة - الهيئة العامة السورية للكتاب

التَّحقيق ومرجعيَّات النَّصِّ ٢
رئيس التحرير

همزيّةُ ابنِ أبي الطَّلْحِ الشِّهابيَّ ٥
د. مقبل التّام عامر الأحمديّ

السَّيْفِيَّةُ الثّانيَةُ مِنْ ديوَانِ أَبي الطَّيِّبِ المُتَنَبِّي ١٩
تَحْقِيق: د. إِبْرَاهِيم مُحَمَّد المَحْمُود

المُتَبَقِّي مِنْ شِعْرِ ابنِ أَبي اللُّطْفِ القُدْسيّ ٣١
د. محمّد محمود الدغيم

التَّجريد بين النَّحْويِّين والبلاغيِّين ٤٧
هدى منلا حسن

تصحيفاتُ أئمّةِ اللّغةِ في: العُبابِ الزّاخِر (القسم الثاني) ٦٢
د. محمّد بهاء بن حسن كَكُّو

نظرات في ديوان ابن مقبل ٨٢
د. محمد يحيى زين الدين

نظرةٌ في كتابِ «مَوادّ البَيَانِ» لعليِّ بنِ خلفٍ الكاتب ٨٩
د. ليال سعيد أبو العزّ

تدبير الضوء في عمارة القصور العربية ٩٦
د. مها الشعار

حجر الألماس ثروة وتراث ١٠٦
د. بثينة جلخي

الموسيقا والغناء في تراثنا العربي ١٢٠
نبيل تللو – سوزان أبو حمزة

عارف النكدي العالم المجمعيُّ ١٣٢
نغم حامد

مِنْ غائلة التَّصحيف ١٣٥
د. محمَّد قاسم

رئيس مجلس الإدارة
أ. محمد ياسين صالح
وزير الثقافة

المشرف العام والمدير المسؤول
د. شهلة سيّد عيسى

رئيس التحرير
د. محمَّد قاسم

هيئة التحرير
د. نبيل أبو عمشة
د. هناء سبيناتي
د. عبد النّاصر عسّاف
د. ضياء الدّين القالش
أ. رضوان المصريّ

التدقيق اللّغوي
د. محمَّد قاسم
أمينة سر المجلة
آ. تانيا حريب
الإشراف الطباعي
أ. أنس الحسن
الإخراج الفني
عبد العزيز محمد

المراسلة باسم السيد رئيس التحرير
E-mail: Almakhtot@syrbook.gov.sy

السعر : ٣٥٠ ل.س أو ما يعادلها

التَّحقيق ومرجعيَّات النَّصّ

رئيس التحرير

من الأصول المرعيَّة عند أشياخ التَّحقيق أَنْ يفطن المُحَقِّقُ لِمَا يقعُ في نصِّه من الإشارات التَّاريخيَّة والرّموز، وأَنْ يكون مُلِمًّا بثقافة صاحب النَّصّ ليتتبَّع أثر هذه الثَّقافة في صناعة نصِّه، وهذا بلا ريب يكشف خَبْءَ النَّصّ، ويفجِّر ما فيه من ماءٍ دفين، ويروي ظمأ القارئ.

فهذا الشَّاعر الأمويُّ الفرزدقُ يَنُصُّ نصًّا على ما يرويه من شعر الشُّعراء الجاهليين الفُحُوْل:

وَهَبَ القَصَائِدَ لي النَّوابغُ إذ مَضَوا ... وأبو يَزِيْدَ وذو القُرُوْحِ وجَرْوَلُ

والفحلُ عَلْقَمَةُ الذي كانتْ لَهُ ... حُلَلُ المُلُوكِ كلامُهُ لا يُنْحَلُ

وأخو بني قيسٍ وهُنَّ قَتَلْنَهُ ... ومُهَلْهِلُ الشُّعراءِ ذاكَ الأَوَّلُ

والأعشيانِ كلاهما ومُرَقِّشٌ ... وأَخُو قُضَاعَةَ قَوْلُهُ يُتَمَثَّلُ

وأخو بني أسدٍ عَبِيْدٌ إذْ مَضَى ... وأَبُو دُؤَادٍ قَوْلُهُ يُتَنَحَّلُ

وابنا أبي سُلْمى زهيرٌ وابنُهُ ... وابن الفُريعةِ حِيْنَ جَدَّ المِقْوَلُ

والجعفريُّ وكان بِشْرٌ قَبْلَهُ ... لي مِنْ قَصَائِدِهِ الكتابُ المُجْمَلُ

ولقد وَرِثْتُ لآلِ أَوْسٍ مَنْطِقًا ... كالسَّمِّ خالط جانبَيْهِ الحَنْظَلُ

والحارثيُّ أخو الحِمَاسِ وَرِثْتُهُ ... صَدْعًا كما صَدَعَ الصَّفَاةَ المِعْوَلُ

يَصْدَعْنَ ضاحيةَ الصَّفا عن مَتْنِها ... ولَهُنَّ مِنْ جَبَلَيْ عَمَايَةَ أَثْقَلُ

دَفَعُوا إليَّ كتابَهُنَّ وصيَّةً ... فوَرِثْتُهُنَّ كأَنَّهُنَّ الجَنْدَلُ

النَّوابغ: نابغة بني ذُبيان، ونابغة بني جَعْدة، ونابغة بني شيبان. أبو يزيد: المُخَبَّل واسمُهُ ربيعة بن مالك. ذو القُرُوْح: امرؤ القيس بن حُجْر. جَرْوَلٌ: الحُطيئة. عَلْقَمَةُ: عَلْقَمَةُ بْنُ عَبَدَةَ الفَحْلُ. أخو بني قيس: طَرَفَةُ بْنُ العبد. مُهَلْهِلٌ: مُهَلْهِلُ بن ربيعة بن الحارث التَّغلبيُّ. الأعشيان: أَعشى بني قيس، وأَعشى باهلة. أَخو قُضَاعة: أبو الطَّمَحَان القَيْنيُّ. أخو بني أَسد: عَبِيْدُ بن الأبرص. أبو دُؤَاد: جارية بْنُ حُمْرَانَ. ابنا أَبي سُلمى: زُهَيْرٌ وابنه كَعْبٌ. ابن الفُريعة:

حسّان بن ثابت. الجَعْفَريُّ: لَبيْدُ بن ربيعة. بِشْر: بِشْرُ بن أَبي خازم الأسديُّ. آل أوس: أوس بن حَجَر. الحارثيّ: النَّجاشيُّ الحارثيُّ. [النقائض لأبي عُبيدة ١/ ٢٠٠-٢٠١، تحقيق بيفان].

فإذا كان أولئك النَّفَرُ قد أَوْصَوا للفرزدق بوراثة أشعارهم، فرواها عنهم وتَمَثَّلَها= فغير شكٍّ أَنَّ ألفاظها ومعانيَها ومعارفها ستَحْضُرُ في شعره، وتُديْرُ عِنْدَهُ القول.

وكان الفرزدق قال بيتًا في أبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ):

ما زلتُ أَفْتَحُ أَبوابًا وأُغْلِقُها ... حتَّى أتيتُ أبا عَمْرِو بْنَ عَمَّارِ

فقال الجاحظ: **فإذا كان الفرزدق وهو راويةُ النَّاسِ وشاعرُهم وصاحبُ أخبارهم**، يقول فيه مِثْلَ هذا القَوْلِ، فهو الذي لا يُشَكُّ في خطابته وبلاغته. [البيان والتبيين ١/ ٣٢١].

انظر شهادة الجاحظ وهو رَبُّ البلاغة وصيرفيُّ البيان في شهادة الفرزدق التَّميميّ الخِنْديفيِّ المُضَريّ النِّزَاريِّ الذي قال:

أَغِثْني بِكُنْهي في نِزارٍ ومُقْبَلي ... فإنِّي كريمُ المشرقَيْنِ وشَاعِرُهْ

= في أبي عَمْرِو بن العلاء قارئ أهل البصرة وإمام العربيَّة في عصره !

وقول الجاحظ «راوية النَّاسِ وشاعرُهم وصاحبُ أخبارهم» يُصَدِّقُهُ قَوْلُ يُونُسَ بْنِ حبيب: «**لولا شِعْرُ الفرزدق لذَهَبَ نِصْفُ أخبار النَّاس**» ! [البيان والتبيين ١/ ٣٢١].

هذا إلى أنَّ الفرزدق صانعُ لُغَةٍ جريءٌ على استيلادها ما يهجم خاطرُهُ به عليه وما تنفتق به قريحتُهُ، فقد ذكروا أَنَّهُ قال بيتًا من الشِّعر جَيِّدًا، فقال: هذا بيتٌ مُخْز ! أي إذا أُنْشِدَ قال النَّاسُ: أَخزى الله قائلَهُ ما أشعرَهُ !

وإنَّما يقولون هذا وشِبْهَهُ بدلَ المدح ليكونَ ذلك واقيًا له من العين، والمراد من كلِّ ذلك إنَّما هو الدُّعاء له لا عليه. وقصيدةٌ مُخْزِيَةٌ، أَيْ نِهَايَةٌ في الحُسْنِ يقال لقائلها: أَخزاهُ الله ! [اللِّسان: خ ز ي].

ومن أمثلة هذه الثَّقافة التي أَدْرَجَها الفرزدقُ في نسيج شعره ما قاله في الوليد بن عبد الملك يمدحه ويشكو إليه ما أَلَمَّ بقبائل العرب مِنْ قَحْطٍ أهلك الزَّرع والضَّرْع، ومنها أسد:

وهَمَّتْ بتَذْبِيحِ الكِلابِ مِنَ الَّذي ... بها أَسَدٌ إذ أَمْسَكَ الغَيْثَ ماطِرُهْ

[ديوان الفرزدق، صنعة أبي سعيد السّكّريّ (ت ٢٩٠ هـ) ص ١٤١٣].

أراد الفرزدق أَنَّ الجَدْبَ بلغ من أسد مبلغًا أوشك أَنْ يحملها على أَكْلِ لَحْمِ الكلاب، وكانت أَسَدٌ تَفْعَلُ ذلك في الجاهليَّة، قال شيخ المعرَّة في الصَّاهل والشَّاحج ص ٤٢٧: «وقد كانتْ بنو أسدٍ في القديم تُعَيَّرُ بأَكْلِ الكلاب، وفي ذلك يقول الرَّاجز:

يا أَسَدِيُّ لِمْ أَكَلْتَهُ لِمَهْ
لو خافَكَ اللهُ عليه حَرَّمَهْ
فما أَكَلْتَ لَحْمَهُ ولا دَمَهْ»اهـ

وقال مُسَاوِرُ بْنُ هند:

بني أَسَدٍ إِنْ تُمْحَلِ العامَ فَقْعَسٌ فهذا إِذنْ دَهْرُ الكِلابِ وعامُها

وقال الفرزدق:

إذا أَسَدِيٌّ جاع يوماً ببَلْدَةٍ وكان سَمِيْنًا كَلْبُهُ فهو آكِلُهْ

[الحيوان ١/٢٦٧، والبخلاء ٢٣٤].

فمِنْ عَمَلِ المحقِّق ههُنا أَنْ يُعَلِّقَ على هذه الإشارة التي اتَّفقتْ في قول الفرزدق:

«وهَمَّتْ بتَذْبِيْحِ الكِلابِ مِنَ الّذي بها أَسَدٌ إذ أَمْسَكَ الغَيْثَ ماطِرُهْ»

وأَنْ يُقَيِّدَ في حاشيته أَنَّ أسدًا كانتْ تُرمى بأَكْل الكلاب في الجاهليَّة، وأَنْ يُحِيْلَ على المصادر التي ذكرتْ ذلك.

وممّا يَحْسُنُ التَّعليق عليه في هذا البيت قولُهُ: «إذ أَمْسَكَ الغيثَ ماطرُه»، فقد سمَّى الله عزَّ وجلَّ «الماطر»، وهو اسمٌ لَمْ يُسَمِّ نَفْسَهُ به، فهذا من **تعجرف أجلاف الأعراب** وجُرْأتهم على تسمية الباري تعالى عُلُوًّا كبيرًا بما لم يَتَسَمَّ به، ومنه قول الرَّاجز:

لاهُمَّ لا أَدري وأَنْتَ الدَّاري

وهذا من **غلط الأعراب**، فكَأَنَّهُ سمع دريت وعلمت يُستعمل كلُّ واحد منهما موضع الآخر كثيراً، فظَنَّ أَنَّهما في كلِّ المواضع كذلك. ومثل هذا من **جفاء الأعراب** وعجرفتهم ما أَنشده بعض البغداديِّيْنَ:

لاهُمَّ إِنْ كُنْتَ الذي كعَهْدي ولم تُغَيِّرْكَ السِّنونَ بَعْدي

وقول العجَّاج:

فارتاح ربِّي وأراد رَحْمتي

وقول الآخر:

يا فَقْعَسِيُّ لِمْ أَكَلْتَهُ لِمَهْ

لَوْ خَافَكَ اللهُ عليه حَرَّمَهْ

وقال أوسٌ:

أَبني لُبَيْنَى لا أُحِقُّكُمُ وَجَدَ الإلهُ بكم كما أَجِدُ

وقالت امرأةٌ من أسد:

أشارَ إليه امرؤٌ فَوْقَهُ هَلُمَّ فأَمَّ إلى ما أَشارا

تعني الله سبحانه.

[الحُجَّة ١/٢٦٠-٢٦٢].

فالكَشْفُ عن هذه المرجعيَّات وبيان وَجْه وُقُوْعها في النَّصِّ من أَجَلِّ الخدمات التي يُقَدِّمُها المُحَقِّقُ لنصِّه وللنَّاظر فيه، ولا رَيْبَ أَنَّ هذا ممَّا يُدْني ثمار النَّصِّ، ويجعل الطَّريقَ إليه لاحبةً مطمئنَّةً، وانتفاعَ الباحثين منه على الوجه الأَمْثَل واقعًا لا محالة.

همزيّةُ ابنِ أبي الطَّلْحِ الشِّهابيِّ

المُحَرِّضةُ على أبناءِ فارسَ باليَمَن

(كان حيًّا سنة ٢٧٥هـ)

د. مقبل التّام عامر الأحمديّ*

يُعدُّ ابنُ أبي الطَّلْحِ الشِّهابيُّ أحدَ الفُصَحاء والعُلَماء بالأَنْساب في اليَمَنِ بالقرن الثّالث الهجريِّ، وكان لسانَ رهطِه بني شِهاب في مُقارعة الأبناء باليَمَن ومُلاحاتهم، وقد عَدَّهُ أبو محمّد، الحسنُ بنُ أحمدَ الهَمْدانيُّ ثاني اثنين كانا أَشْعَرَ أهلِ اليَمَن في عَصْرِهما، فقال: «وكانَ عبدُ الله بنُ محمّد بن عَبّاد، وعبدُ الخالق بنُ أبي الطَّلْحِ الشِّهابيُّ، أَشْعَرَ أهلِ اليَمَنِ في عَصْرِهما، بل دَهْرِهما؛ لأنّا لا نعلم أحدًا في عَصْرِهما يأتي بأَطْبَعَ مِنْ شِعْرِهما»[1]. وقال عنه في موضع آخرَ: «ومِنْ شُعراء صنعاءَ، بل مِن بادِيَتِها، عبدُ الخالق بنُ أبي الطَّلْحِ الشِّهابيُّ، وكان مَطْبوعًا، مُفَوَّهًا، مُفْلِقًا، وقد أَثْبَتْنا قَصائدَ مِنْ شِعْرِهِ في الكتاب الأوّل مِنَ الإكليل، مع أخبار بني شِهاب»[2]. وحَسْبُ ابنِ أبي الطّلْحِ قُدْمةً أن يَعُدَّهُ الهَمْدانيُّ –وهو مَن هو بَصَرًا بالشِّعْر ونَقْدِه، وفِقْهًا بوُجُوهِ العربيّةِ وتَصاريفِها– مَطْبوعًا مُفَوَّهًا مُفْلِقًا معًا.

* أستاذ الأدب القديم بجامعة صنعاء.

١– الإكليل: (مخطوط: ١ / ٣٩أ).

٢– صفة جزيرة العرب: (طبعة موللير: ٥٨، وطبعة الأكوع: ١٠٦).

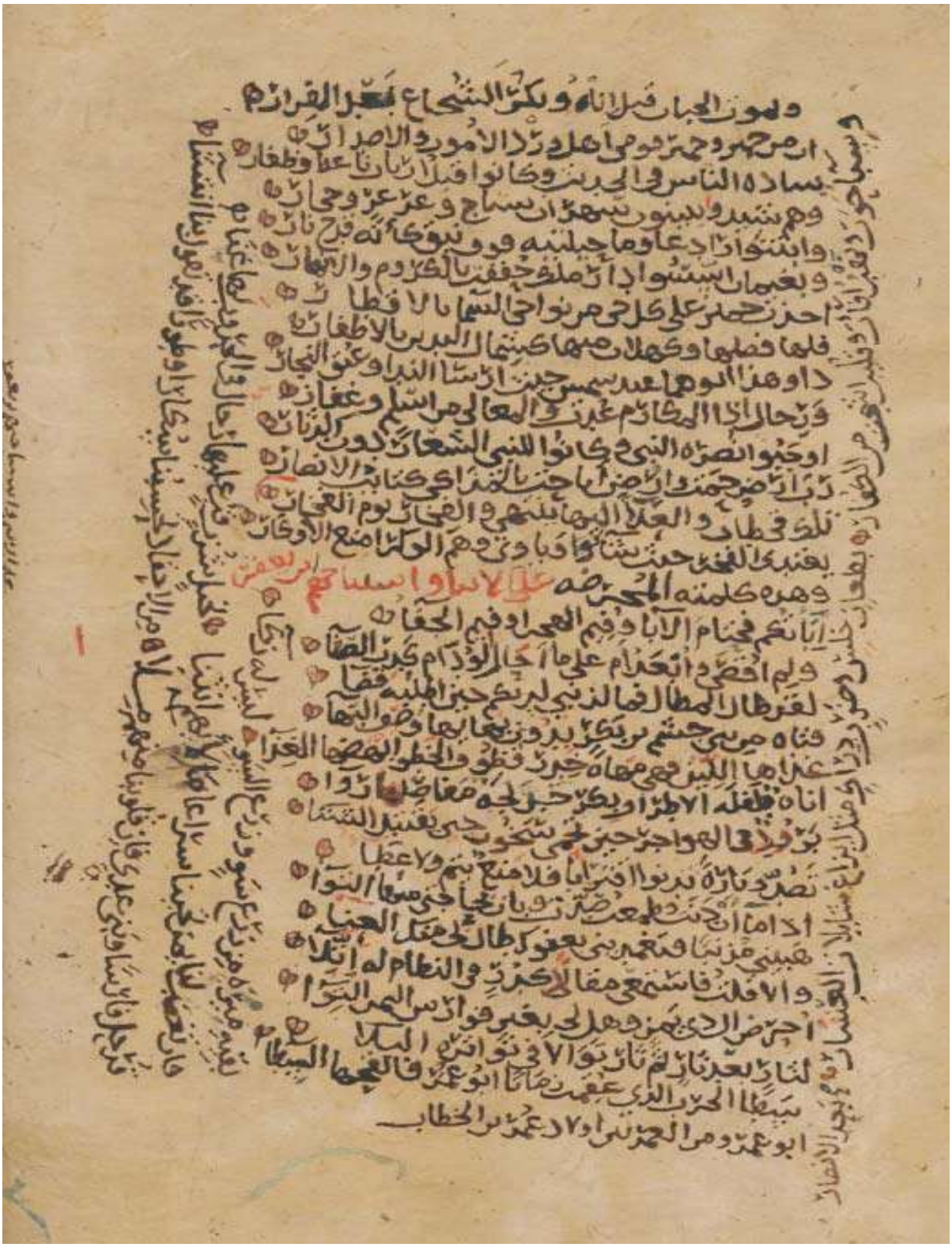

الصفحة الأولى من مخطوط الهمزيَّة

وذكر الـهَمْدانيُّ مكانة ابن أبي الطَّلْح في قومه بَني شهاب؛ فقال وهو يذكرُ أنسابهم، ويَسُوقُ طَرَفًا من أخبارهم وأشعارهـم: «ومـن وُجُوههـم وشُعَرائهم: عبـدُ الخالق بنُ أبي الطَّلْـح بن محمّد بن الـجَهْوَر، وهـو الّذي كان يَهْجُو الأَبْناءَ في أيّام حَرْبِهم، وهو الّذي اسْتَنْجَدَ عليهم محمّدَ بنَ يُعْفِرَ في قصيدته المُحَرِّضة:

إبـاءَتَـكُـمْ، فَـحَـتّـامَ الإبـاءُ؟ وفِيمَ الهَجْرُ، أَوْ فِيمَ الجَفاءُ؟
ولِـمْ أُقْصَـى وأُبْـعَـدُ، أَمْ عَـلامَ أَحـالَ الـوُدُّ، أَمْ كَـدِرَ الصَّفاءُ؟
لقد طـالَ الـمِطالُ، فَما لِدَيْـني لَـدَيْكِ، حِـينَ أَطْـلُـبُـهُ، قَضـاءُ»[1]

سـاق لـه الـهَمْـدانيُّ في كُتُبِـه نُتَفًا من شعـره، وثلاثَ قصائـدَ تامّات، كان مجمـوعُ ما اشتملت عليـه تلك النُّتَفُ والقصائـد ٣٦٤ بيتًـا، في ستِّ كلمـات، وكان أطولُ قصائده المَسوقة طولًا همزيّتُـهُ، في ١٣٥ بيتًا، تتلوها رائيّتُهُ، في ١٣١ بيتًـا، وهـي الّتي صَدَّرَهـا الـهَمْدانيُّ بقوله: «ولأنّ شعرَهُ لا يتبيّن مَداهُ بهذه النُّتَـف، رأينا أن نُثْبِتَ من قصائده على التَّمام، ثلاثَ قصائد؛ فأوّلُـهنّ كلمتُهُ في محمّد بن يُعْفِرَ، وذكرَ المَشيب، وتَلَهَّفَ على الشّباب، فأَحْسَنَ، وهي:

مـا بُـكـاءُ امْـــرِئٍ بِـدِمْـنَـةِ دارٍ بَعْدَ ما لاحَ شَيْبُهُ في العِذارِ؟»[2]

علـى أنّ بعضَ تلك النُّتَف الّتي ساقها الـهَمْدانيُّ كانت في المئـين منَ الأبيات، وفي ذلك يقولُ الـهَمْدانيُّ نفسُهُ عن ابن أبي الطَّلْح، ويصفُ قصائدَهُ بالطُّول: «وهو القائلُ في الأَبْناء:

وأَنَا الـخَبيرُ بِأَنَّهُمْ لم يُـخْلَقُوا إِلّا لِـبَـيْـعِ بَضـائِـعٍ وشِـراءِ
ومَعاصِرٍ ومَـجـازِرٍ ومَـدابِـغٍ تُؤْذي مُجاوِرَها، ونَسْجِ مُلاءِ

وهذه القصيدةُ مُؤُونٌ منَ الأبيات، يذكرُ فيها مَفاخِرَ اليَمَن، على رَسْم ما ذكرَهُ دِعْبِلُ بنُ عليٍّ»[3].

وسيتنـاول البحـثُ فيما يأتي ما لا يحسن تجـاوزُهُ من الكلام على نسب ابن أبي الطَّلـح وترجمته، على أنّه قد يكون مجـالُ القـول ذا سَعةٍ عنه وعن قومه، وعـن مُناوأتهم للأبناء باليَمَن، عند الفراغ من تحقيـق ديوانه أو ما بقي من شعره. يعقب ذلك عرض صورةٍ عن الصّفحة الأولى من مخطوط الـهمزيّة، ثم متنُها محقّقًا قدر الوُسْع والطّاقة، مع تفسيرٍ للغريب من الألفاظ، وتوجيه لبعض الأبيات الّتي لا يتّضح معناها مرسلةً، وترجمة لأعلام لا يُعرفون حيثُ هم منَ القصيدة.

فأمّـا نسبُـهُ، فهو عبدُ الخالق بـن أبي الطَّلْح بن محمّد بن الـجَهْـوَر، يَتَحَدَّرُ من بني شِـهـاب، وهم بطنٌ مُتَنازعٌ بـين قُضاعـةَ، مـن حِمْيَر، وكِندَةَ، من كَهْلانَ، ذكر ذلـك الـهَمْدانيُّ، ولم يُرَجِّح أحدَ القولين علـى الآخر إلّا ما كان من سَوْقـه نَسَبَهم في حِمْيَر، فقال وهـو يَبْسُطُ الكلامَ على أنساب بني شهاب: «في نَسَبهم اختلافٌ، فنُسّابُ حِمْيَرَ تَقولُ: هو شِهابُ بن العاقل بن الأَزْمع بن خولان بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة. قال عبدُ الخالق بنُ أبي الطَّلْحِ الشِّهابيُّ، وكان أحدَ الفُصحاء والعلماء بالأنساب:

فَـإِنّـا مِـنْ قُـضـاعـةَ في ذُراهـا لَـنـا مِـنْ مَـجْـدِهـا الحَـظُّ الـجَـزيـلُ

١- الإكليل (مخطوط: ١ / ٦٨أ).
٢- الإكليل: (مخطوط: ١ / ٦٥ب).
٣- الإكليل: (مخطوط: ١ / ٦٥ب).

وحـــمْـيرُ جَـدُّنـا، وبِـــهِ نُسـامي، فُـــرُوعٌ، والـفُـرُوعُ لَـهـا أُصُـــولُ
نَـعُـدُّ تَـبـابِـعًـا سَـبْـعِـينَ مِـنّـا إذا مـا عَـــدَّ مَـكْـرُمَـةً قَـبِـيـلُ

وقال أيضًا:

إِنَّمـــا حِـــمْـيرٌ، وحِـــمْـيرُ قَـوْمـي، أَهْـــلُ وِرْدِ الأُمُـــورِ والإِصْـــدارِ

وقال أيضًا:

وكَـهْـلانُ الأُلَى كَـــثَّرُوا، وطـابُـوا لَـنـا ولَـــهُـمْ إِلى سَـبَـأٍ لِـقـاءُ

وقيل: بل هو شِهابُ بنُ العاقل بن ربيعة بن وهب بن الحارث الأكبر بن معاوية بن مُرَتِّع بن ثَوْر، وهو كندةُ ابن مُرَتِّعِ بن معاوية أخي الأَشْرسِ، أبي السَّكُون وسَكْسَك بن كنديّ بن عُفَير بن عَديّ بن الحارث بن مُرّة بن أُدَد ابن زيد بن عمرو بن عريب بن زيد بن كَهْلان»[1].

وقد ساق الهَمْدانيُّ القولين، واستشهد عليهما معًا بأبياتٍ من شِعْر عبد الخالق بن أبي الطَّلْح نفسِه، غير أنّ نشوان بن سعيد الحِمْيريّ، رَجَّحَ نسبة بني شهابٍ إلى حِمْيَر، فقال بعد نَقْلِه كلامَ الهَمْدانيّ حول نسب بني شهاب في حِمْيَر: «وهو الصّحيحُ المُعَوَّلُ عليه»[2].

أمّا التَّعَصُّبُ في الشِّعْر بقُضاعة وكندةَ وغيرهما من القبائل فلا يُثبت نَسَبَ الشّاعر إلى القبيلة الّتي يَتَعَصَّبُ لها، ولا يدفعُهُ عن القبيلة الّتي يَهْجوها؛ فالشّعراءُ قد يُعرضون عن الفخر بالبُطون الّتي ينتمون إليها صليبةً، بل ربّما غَلَّبَ الشّاعرُ الفَخْرَ بغيرِ البَطْن الّذي هو منه، ولذلك أسبابٌ كثيرةٌ، منها أن يكون في بني عُمومتِه مَن هو أَنْبَهُ وأَشْهَرُ، وأَسْيَرُ ذِكْرًا.

١- الإكليل: (مخطوط: ١ / ٦١أ)، وعنه في شمس العلوم: ٦ / ٣٥٦٥-٣٥٦٦.

٢- شمس العلوم: ٦ / ٣٥٦٥.

مَتْنُ الـهَمْزيّة

في مخطوط الإكليل (١/٦٨أ-٧٠ب):

(منَ الوافر)

١ إبـاءَتَـكُـمْ، فَـحَـتّـامَ الإبـاءُ؟ وفِيمَ الهَجْرُ، أَوْ فِيمَ الجَفاءُ؟[١]

٢ ولِـمْ أُقْصَـى وأُبْـعَـدُ، أَمْ عَـلامَ أَحـالَ الـوُدُّ، أَمْ كَـدِرَ الصَّفاءُ؟[٢]

٣ لقد طـالَ الـمِطالُ، فَما لِدَيْني لَـدَيْـكِ، حِـينَ أَطْـلُـبُـهُ، قَضـاءُ[٣]

٤ فَـتـاةٌ مِـنْ بَـني جُشَـمِ بْـنِ بَكْرٍ بِـدُونِ بَـهـائِـها وُصِـفَ البَـهـاءُ

٥ غَـذاهـا الـلِّـينُ، فَـهْـيَ مَـهـاةُ خِـدْرٍ قَطُوفُ الخَطْوِ، أَبْهَضَها الغِذاءُ[٤]

٦ أَنـاةٌ طَـفْـلَـةُ الأَطْـرافِ بِكْـرٌ خَـدَلَّـجَـةٌ، مَـفاصِـلُـها رِواءُ[٥]

٧ بَـرُودٌ في الـهَواجِرِ حِـينَ تَحْمَى سَـخُـونٌ حِـينَ يَقْتَبِلُ الشِّـتـاءُ[٦]

٨ تَصُـدُّ، وتـارَةً تَـدْنُـو اقْـترابًـا، فَـلا مَـنْـعٌ يَـتِـمُّ، ولا عَـطـاءُ[٧]

٩ إذا ما أَنْ دَنَتْ، وطَمِعْتُ، صَدَّتْ وبـانَ بحاجَتي مِنْـها الْـتِـواءُ[٨]

١٠ هَـبِـيـنـي مُـذْنِـبًـا، فَـتَـغَـمَّـدِيـنـي بِـعَـفْـوِكِ، طـالَ بِـي مِنْـكِ الـعَـنـاءُ[٩]

١١ وإلّا قُـلْـتُ، فـاسْـتَـمِـعـي مَـقـالًا كَـدُرٍّ في الـنِّـظـامِ لَـهُ اتِّـلاءُ[١٠]

١٢ أُحَـرِّضُ آلَ ذِي يَمَـنٍ، وهَـلْ لي بِغَيْرِ فَوارِسِ اليَمَنِ انْـتِـواءُ؟[١١]

١- في الأصـل: « »، ويحتمـل الرّسـمُ: «أَبَأْتُكُمْ». والإباءَةُ: الأَنَفةُ، كالإباء، ونَصَبَهُ على الإغراء. فحَتّامَ الإباءُ: أي حتّامَ الرَّفْضُ والامتناعُ، وتركُ الاستجابة للمناشدة والنّداء.

٢- أَحالَ الوُدُّ: تَغيَّرَ، واختلف عمّا كان عليه. وكَدِرَ / كَدُرَ الصَّفاءُ: تَعَكَّرَ صَفْوُهُ.

٣- في الأصل: «لذَنْبي»، ولا يَتَّجِهُ به المعنى. والمطالُ: التَّأْجيلُ والتَّسْويفُ.

٤- اللِّينُ: النُّعومةُ. والمَهاةُ: البقرةُ الوحشيّة، يُشَبَّهُ بها في حُسْنِ العَيْنَين. والخِدْرُ: الموضعُ المخصّصُ لسَتْرِها. وأَبْهَضَهُ الحِمْلُ ونَحْوُهُ: أَثْقَلَهُ وغَلَبَهُ، وهي لُغةٌ في (أَبْهَظَهُ). وقَطُوفُ الخَطْوِ: بَطيءُ السَّيْر.

٥- الأَنـاةُ مـنَ النِّساء: الّتي فيها فُتورٌ عند القيام. وطَفْلَةُ الأطراف: ناعِمَتُها في بَياضٍ. والخَدَلَّجَةُ: المُمْتلئةُ الذِّراعين، الغليظةُ السّاقين. وورد في الأصـل: «رُواء» بالضّـم، وهو بمعنى: حُسْن المَظْهَر، أمّا في البيت فالموصوف به جمـعٌ، وهو (المَفاصل)، ولذا فهو بكسر الرّاء المهملة أوّله (رِواء)، ومفردُهُ رَيّان، وهو منَ الأعضاء الضَّخْمُ المُمْتلئ.

٦- الـهاجِرةُ: حَرُّ مُنْتَصَفِ النَّهار، وَشِدَّةُ قَيْظِه. واقْتَبَلَ الشِّتاءُ: أَقْبَلَ وأَتَى.

٧- تَصُدُّ عنه: تُعْرِضُ عنه.

٨- الالْتِواءُ: الاعْوِجاجُ.

٩- تَغَمَّدَهُ بعَوْفِه: غَمَرَهُ به، وتَجاوَزَ عن سيّئاتِه. والعَناء: التَّعَبُ والمَشَقّةُ.

١٠- النِّظامُ: ما يُرَتَّبُ في سِلْكٍ من خَرَزٍ ونحوِه. والاتِّلاءُ: التَّتابُعُ.

١١- الانْتِواءُ: القَصْدُ.

١٣ لِـثَـأْرٍ بَـعْـدَ ثَـأْرٍ ثُـمَّ ثَـأْرٍ تَـوالَى في تَـواتُـرِهِ الـبَـلاءُ
١٤ سَطا الحَرْبَ الّذي عُقِمَتْ زَمانًا أَبُو عَمْرٍو، فَأَلْقَحَها السِّطاءُ[١]
١٥ بَقِيَّةَ مِيرَةٍ مِنْ زَرْعِ سَوْءٍ وزَرْعُ السَّوْءِ لَيْسَ لَهُ زَكاءُ[٢]
١٦ فَإِنْ تَغْضَبْ لَنا يَمَنٌ تَجِئْنا سِراعًا، ما لِأَيِّهِمُ انْثِناءُ
١٧ بِخَيْلٍ شُزَّبٍ قُبٍّ عَلَيْها رِجالٌ في الحُرُوبِ لَها غَناءُ[٣]
١٨ تُرَحِّلُ فارِسًا وبَني عَدِيٍّ، فَإِنَّ قُلُوبَنا مِنْهُمْ مِلاءُ[٤]
١٩ مِنَ الأَحْقادِ تَحْسَبُنا سُكارَى، وطَوْرًا قد تَقُولُ بِنا انْتِشاءُ[٥]
٢٠ إِلَى أَوْطانِ أَوَّلِهِمْ، وكُلٌّ إِلَى صَنْعاءَ كانَ لَهُ انْتِواءُ[٦]
٢١ فَواجَذَلًا، وذاكَ يُقِرُّ عَيْني، إِذا نُقِلُوا كما نُقِلَ السِّباءُ[٧]
٢٢ وأَضْحَتْ فارِسٌ وبَنُو عَدِيٍّ عَلَى آثارِ دِمْنَتِها العَفاءُ[٨]
٢٣ يَقُولُ القائِلُونَ: لقد تَوَلَّوْا، فَتِلْكَ دِيارُهُمْ مِنْهُمْ خَلاءُ
٢٤ وذَلِكَ كائِنٌ إِنْ شاءَ رَبِّي؛ لِأَنَّ اللهَ يَفْعَلُ ما يَشاءُ
٢٥ وما في ذاكَ مِنْ دَرَكٍ، وإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّ ذاكَ بِهِ اللِّفاءُ[٩]
٢٦ وقد نامَتْ عُيُونُ ذَوِي يَمانٍ فطابَ لَها عَلَى الفُرُشِ اتِّكاءُ
٢٧ أَقُولُ، وقد جَرَتْ عَبَراتُ عَيْني أَضَرَّ بِها مَعَ الأَرَقِ البُكاءُ:
٢٨ أَراني اللهُ في كَنَفَيْ أَزالٍ رِعالَ الخَيْلِ تُنْعِلُها الدِّماءُ[١٠]
٢٩ وأَسْمَعَني عَلَى غُمْدانَ صَوْتًا لَهُ بِقَبائِلِ اليَمَنِ اعْتِزاءُ[١١]

١- ورد في الأصل بعد البيت: «أبو عَمْرو: مِنَ العُمَرِيِّين، أولاد عُمَرَ بن الخطّاب». وسَطا الحَرْبَ: أَثارَها وهَيَّجَها، وهو ممّا غَفَلَتْ عنه المعجمات، وكذلك مصدرُهُ. وعُقِمَت الأُنثى: لم تَلِدْ لعلَّة، على التّشبيه بها، وهي لُغةٌ في (عَقِمَتْ). وأَلْقَحَ الحَرْبَ: هَيَّجَها بعد هَدْأَةٍ وسُكونٍ. والسِّطاءُ: التَّهْييجُ والإثارة.

٢- الميرةُ: الطَّعامُ المُجْتَلَبُ للأَكْلِ أو البَيْع. والزَّكاءُ: الزِّيادةُ والنَّماءُ.

٣- الشُّزَّبُ: جمعُ الشّازِب، وهو من الخيل ونحوها: الضّامرُ، اليابس الأعضاء. والقُبُّ: جمعُ الأَقَبِّ، وهو: الضّامر البطن.

٤- فارس: يريد أبناء فارس باليَمَن. وبنو عَدِيّ: نسبةً إلى عَدِيّ بن كعب بن لُؤيّ بن غالب بن فِهْر، وكان منهم بعض الولاة على اليَمَن، وكانوا إِلْبًا على الشِّهابيّين مع الأَبْناء ؛ وأوّل مَن اسْتُعْمِلَ مِنَ العَدَوِيّين على اليَمَن: عُمَرُ بن عبد الحميد العَدَوِيُّ، في خلافة أبي العَبَّاس السَّفّاح، أوّل خلفاء بني العبّاس؛ العسجد المسبوك: ١ / ٥٧.

٥- الانْتشاءُ: أوّلُ السُّكْر ومُقَدّماتُهُ.

٦- الانْتِواءُ: القَصْدُ.

٧- الجَذَلُ: الفَرَحُ والسُّرور. والسِّباءُ: جماعة الأسرى. وقولُهُ: «نُقِلُوا كما نُقِلَ» كذا في الأصل، وهو يحتمل: «نُفِلُوا كما نُفِلَ».

٨- الدِّمْنَةُ: ما بقي من آثار النّاس أو الدّيار. والعَفاءُ: الزَّوالُ وامّحاءُ الأَثَر.

٩- الدَّرَكُ: الأَخْذُ بالثّأر، والاشْتِفاءُ مِنَ العَدُوّ. واللِّفاءُ: النُّقْصان.

١٠- أَزالُ: الاسم القديم لصنعاء. والرِّعالُ: جمعُ الرَّعيل، وهو القطعةُ المتقدّمة مِنَ الخيل ونحوها. أَنْعَلَهُ: جعل له نعلًا، على المجاز.

١١- الاعْتِزاءُ: الافتخارُ.

٣٠ يُنادي: يالَ حِمْيَرَ، وَهْيَ مِنْهُ قَريبٌ حَيْثُ يُسْتَمَعُ النِّداءُ

٣١ كَتائِبُ كالهِضابِ؛ هِضابِ رَضْوَى يَضِيقُ بِها، لِكَثْرَتِها، الفَضاءُ

٣٢ عَلَيْها كُلُّ سابِغَةٍ طِلاسٍ وفي أَيْمانِها الأَسَلُ الظِّماءُ[١]

٣٣ وكُلُّ مُهَنَّدٍ كالمِلْحِ عَضْبٍ رَقِيقِ اللَّحْيِ، حادَثَهُ الجِلاءُ[٢]

٣٤ وتَحْتَ سُرُوجِها قُبٌّ عِتاقٌ ضَوامِرُ في أَياطِلِها انْطِواءُ[٣]

٣٥ وكَهْلانُ الحُماةُ لِكُلِّ ثَغْرٍ كَأُسْدِ الغابِ عادَتُها اللِّقاءُ

٣٦ أُولئِكَ مَعْشَرٌ أُنُفٌ حُماةٌ يُجَنِّبُ عَنْهُمُ الخَسْفَ الإِباءُ[٤]

٣٧ إذا فَزِعُوا فمُرْهَفَةٌ رِقاقٌ وفي الأَمْنِ السَّماحةُ والسَّخاءُ[٥]

٣٨ هُناكَ تُشَخَّلُ الأَسْقامُ عَنِّي ويَعْقُبُها، مَعَ الفَرَحِ، الشِّفاءُ[٦]

٣٩ وتَنْقَعُ غُلَّةٌ لِلضَّيْمِ هَيْما كما يَشْفي مِنَ الدّاءِ الدَّواءُ[٧]

٤٠ وتَعْلَمُ فارِسٌ وبَنُو عَدِيٍّ لِأَيِّ بَنِي أَبٍ نُصِبَ اللِّواءُ

٤١ ومَنْ أَهْلُ البِلادِ، أَنَحْنُ أَمْ هُمْ؟ غَداةَ غَدٍ إذا انْقَطَعَ المِراءُ[٨]

٤٢ ووُطِّئَتِ الجِيادُ أَزالَ حتّى تَبَرَّأَ مِنْ بُعُولَتِها النِّساءُ[٩]

٤٣ فيُطْفَأُ باطِلٌ، ويُضِيءُ حَقٌّ وتَحْيا صِحّةٌ، ويَمُوتُ داءُ

٤٤ وتُشْفَى حِكَّةٌ بِجُلُودِ قَوْمٍ كما يَشْفي مِنَ الجَرَبِ الطِّلاءُ[١٠]

٤٥ فَإِنَّ العُرَّ لَيْسَ لَهُ دَواءٌ ولا لِحَسِيسِهِ إِلّا الهِناءُ[١١]

١- السّابغةُ: الدِّرْعُ الواسعة. والطِّلاسُ: اللَّيِّنةُ الملساء، ولعلّها لُغةٌ في (دِلاص)، الواحدُ والجمع على لفظٍ واحدٍ، وأراد به هنا الواحدَ. والأَسَلُ: الرِّماحُ، واحدتُها الأسَلَةُ.

٢- العَضْبُ منَ السُّيوف ونحوها: الحادُّ القاطع. واللَّحْيُ: الجانبُ. وحادَثَ السَّيْفَ ونَحوَهُ: تَعَهَّدَهُ بالصِّقالِ مرّةً تلو المرّة. والجِلاءُ: الصَّقْلُ.

٣- القُبُّ: جمعُ الأَقَبِّ، وهو: الضّامرُ البطنِ. والعِتاقُ: جمعُ العَتيقِ، وهو منَ الخيل ونحوها: الكريمُ الرّائع. والأَياطِلُ: جمعُ الأَيْطَلِ، أي الخاصرة. والانْطواءُ: الضُّمورُ والخَماصةُ.

٤- الأُنُفُ: جمعُ الأَنُوف، وهو الشّديدُ الأَنَفة. ويُجَنِّبُهُ عن الشيءِ: يُنَحِّيهُ عنه، ويُبْعِدُهُ. والخَسْفُ: الإذْلالُ والمَهانة. والإباءُ: الامتناعُ والرَّفْض.

٥- المُرْهفةُ: أي بسُيُوفٍ مُرْهفة، وهي المُرَقَّقةُ الحَدِّ. والرِّقاقُ: جمعُ الرَّقيقِ، وهو منَ السُّيُوف: الدَّقيقُ الحادُّ.

٦- شَخَّلَ الشَّرابَ ونحوَهُ: صَفّاهُ.

٧- نَقَعَ: ارْتَوَى واشْتَفَى. والغُلَّةُ: حرارةُ الجوفِ من عَطَشٍ ونحوِه. والضَّيْمُ: القَهْرُ والظُّلْم. وهيما: أراد هَيماء، وهي العَطْشَى، وقَصَرَ للضّرورةِ الشِّعْريّة.

٨- المِراءُ: الجِدالُ.

٩- تَبَرَّأَ: أي تَتَبَرَّأَ، وحذف إحدى التّاءين تخفيفًا.

١٠- الطِّلاءُ: القَطِرانُ، وكُلُّ ما يُطْلَى به.

١١- العُرُّ: داءُ الجَرَبِ. والحَسيسُ: الحِسُّ وحركة التَّلَهُّبِ. والهِناءُ: القَطِرانُ.

٤٦ كما كانَتْ زَمانَ يَزيدُ لَمّا ... أَنارَ الحَقُّ، وانْكَشَفَ الغِطاءُ[١]

٤٧ فَإِنْ نَظْفَرْ بِذَلِكَ مِنْ عَدِيٍّ، ... وما فِيهِمْ لِمُنْتَقِمٍ جَزاءُ،

٤٨ نَكِلْ لَهُمْ، كما كالُوا، جَزاءً ... بِما قد أَسْلَفُوا وبِما أَساؤُوا

٤٩ وأُقْسِمُ بَعْدَ ذَلِكَ لا أُبالي ... حَياتي إِنْ بِها نَزَلَ القَضاءُ

٥٠ ولا صَرْفُ النَّوائِبِ ما أُبالي ... ولا ماذا بِهِ مُخِضَ السِّقاءُ[٢]

٥١ ولا عِنْدَ المَعادِ إذا سُئِلْنا ... عَنِ الأَعْمالِ، ما كانَ الجَزاءُ

٥٢ ولا صَرْفُ الدَّوائِرِ ما أُبالي ... ولا ماذا بِهِ حَمَلَ النِّساءُ

٥٣ وإِنْ أُخْذَلْ فَما لي في نِزارٍ ... أَبٌ أُدْعى إِلَيْهِ ولا انْتِماءُ

٥٤ ولا في الفُرْسِ لي نَسَبٌ قَرِيبٌ ... ولا لي في دِمائِهِمُ بَواءُ[٣]

٥٥ سَأَتْرُكُ دارَ مَضْيَعَةٍ وذُلٍّ ... لِدارٍ لا يُرامُ لَها فِناءُ[٤]

٥٦ وأُوشِكُ رِحْلَةً منها لأُخْرَى ... يُسَرُّ لَها المُقِيمُ ولا يُساءُ

٥٧ فَلِي عَنْ فارسٍ وبَني عَدِيٍّ ... رَواحٌ، إِنْ خُذِلْتُ، ولي اغْتِداءُ[٥]

٥٨ ولي أَرْضٌ أَعِيشُ بِها وأَغْنَى، ... حَياتِي ما حَيِيتُ، ولي سَماءُ

٥٩ وإِنْ يَرْبِطْ حِمامُ المَوْتِ نَفْسي، ... وما لِلنَّفْسِ عَنْ قَدَرٍ نَجاءُ،[٦]

٦٠ فَإِنَّ المَوْتَ أَكْرَمُ ما تُمُنِّي ... عَلَى ذُلٍّ يَدُومُ بِهِ البَقاءُ

٦١ إلى اللهِ المُعَوَّلُ، يا لَقَومي، ... أَلَيْسَ لِهَذِهِ الظُّلَمِ انْجِلاءُ؟

٦٢ ولا لِلشَّرِّ والكُرَبِ اللَّواتي ... يُشِبْنَ ذَوائِبَ الطِّفْلِ، انْقِضاءُ؟[٧]

٦٣ أَلَحَّ بِنا الزَّمانُ مَعَ الأَعادي، ... فَعِيلَ الصَّبْرُ، واسْتُلِبَ العَزاءُ[٨]

٦٤ فَيا لَهْفي، ولَهْفَ أَبي وجَدِّي! ... وما لَهْفي لِمُؤْلِمَتي كِفاءُ!

١- يزيدُ: أراد يزيدَ بنَ جرير بن يزيد بن خالد بن عبد الله القَسْريَّ، وكان واليًا للمأمون على اليَمَن، فتعصّب للعَرَب وقومِه من أهل اليَمَن خاصّة على الأبناء، وأمرهم بطلاق نساء العَرَب اللّواتي في أيديهم؛ العسجد المسبوك: ١ / ٦٧..

٢- صَرْفُ النَّوائبِ: حدْثانُها. والسِّقاءُ: وِعاءٌ من جِلْدٍ، يُتَّخَذُ للَّبَنِ ونحوِه. ومُخِضَ السِّقاءُ: خُضَّ وحُرِّكَ لإخراجِ الزُّبْدةِ منَ اللَّبَنِ الّذي بداخِلِه.

٣- البَواءُ: النَّظيرُ والكُفْءُ.

٤- الفناءُ: السّاحة الّتي تكون أمام الدّار.

٥- الرَّواحُ: الرُّجوعُ في العَشيِّ. والاغْتداءُ: السَّيرُ أوّل اللّيل.

٦- حِمامُ الموت: قَضاؤُه.

٧- الكُرَبُ: جمعُ الكُرْبةِ، وهي الغَمُّ والحُزْن. والذَّوائبُ: جمعُ الذُّؤابة، وهي ما نَبَتَ من شعرٍ في مُقَدَّم الرَّأْس.

٨- عِيلَ الصَّبْرُ: يحتملُ أن يكون أراد (عِيلَ عَلَيَّ الصَّبْرُ)، فحذف وعَدَّى، ويحتمل أن يجوز على قوله: (عِيلَ الرَّجُلُ صَبْرَهُ)؛ التّاج: (ع و ل).

٦٥ أَتَرْضَى حِمْيَرٌ لِبَني شِهابٍ، وحِمْيَرٌ العَصا، وهُمُ اللِّحاءُ،[١]

٦٦ بِذُلٍّ بَعْدَ مَمْلَكةٍ، وعِزٍّ؟ إلى اللهِ التَّضَرُّعُ، والشَّكاءُ[٢]

٦٧ لَنا المُلْكُ القَديمُ؛ وكُلُّ مُلْكٍ، إذا أَمْلاكُنا ذُكِروا، هَباءُ[٣]

٦٨ هَبُونا أَنَّنا لَكُمُ عَبيدٌ وأَنَّ نِساءَنا لَكُمُ إِماءُ

٦٩ وأَنّا لَيْسَ يَعْطِفُكُمْ عَلَيْنا قَرابَاتٌ تُعَدُّ، ولا إِخاءُ

٧٠ فَإِنَّ جِوارَنا لَكُمُ قَديمٌ وإِنَّ بَلاءَنا فِيكُمْ بَلاءُ

٧١ وجارُ القَوْمِ بَيْنَهُمُ وفِيهِمْ، كذا القُرْبَى حُقُوقُهُمُ سَواءُ

٧٢ فَلا تُغْضُوا عَلَى خَسْفٍ وهَضْمٍ فَيَقْبُحُ فِيَّ عِنْدَكُمُ الثَّناءُ[٤]

٧٣ فَكَيْفَ، ونَحْنُ إِخْوَتُكُمْ ومِنْكُمْ، لَنا بِكُمُ مِنَ الكُرَبِ احْتِجاءُ؟[٥]

٧٤ وأَنْتُمْ رِيشُنا، وبِكُمْ نَهَضْنا كما يَسْتَنْهِضُ الدَّلْوَ الرِّشاءُ[٦]

٧٥ فَيا يَمَنًا، أَبَعْدَ العِزِّ ذُلٌّ؟ وبَعْدَ الذُّلِّ يُفْتَرَشُ الوِطاءُ[٧]

٧٦ ويا يَمَنًا، لَئِنْ تُرِكَتْ عَدِيٌّ بِما ارْتَكَبُوا، لقد عَظُمَ البَلاءُ!

٧٧ ويا يَمَنًا، أَأُغْضَبُ وَسْطَ قَوْمي وتُفْرَسُ ثَلَّتي، ولَها رِعاءُ؟[٨]

٧٨ ويا يَمَنُ، اغْضَبُوا وطَؤُوا عَدِيًّا بِأَجْمَعِكُمْ كما وُطِئَ الحِذاءُ

٧٩ وفارِسَ، إِنَّها بَطِرَتْ فَرامَتْ مَرامَكُمُ، فَأَخْلَفَها الرَّجاءُ

٨٠ عَبِيدَ القَيْلِ ذي يَزَنٍ حَباهُمْ بِهِ كِسْرَى، وقَلَّ لَهُ الحِباءُ[٩]

٨١ وشُكْدَتَهُ الّتي سِيقَتْ إِلَيْهِ على عَمْدٍ، وكالهِبَةِ الشِّراءُ:[١٠]

١- لِحاءُ العُودِ: قِشْرَتُهُ، على التّشبيه به.

٢- الشَّكاءُ: الشَّكْوى.

٣- الهَباءُ: الغُبارُ المُتَناثِرُ في الهواء، على التّشبيه به.

٤- الهَضْمُ: الظُّلْمُ والقَهْرُ.

٥- الاحْتِجاءُ بالشَّخص: اتِّخاذُهُ سِتْرًا ومَلْجَأً.

٦- الرِّشاءُ: الحَبْلُ.

٧- الوِطاءُ: الفِراشُ اللَّيِّنُ.

٨- الثَّلَّةُ: القَطيعُ الصّغيرُ منَ الغَنَم ونحوها. وتُفْرَسُ: تَصيرُ فَريسةً.

٩- الحِباءُ: ما يُكْرِمُ بِهِ المَرْءُ صَاحِبَهُ، وَيُكَافِئُهُ بِهِ.

١٠- الشُّكْدَةُ: العَطِيَّةُ.

٨٢ بَـنـي وارامَـنُـوشَ وخُـــرَّزادٍ مَـوالِـيـكُـمْ، فما حُـفِـظَ الــوَلاءُ[١]

٨٣ وسِـفْـلَـةَ دادَوَى وبَـنـي بُـزُرْجٍ وزامَـــرْدٍ، أَلا بَـطِـرُوا ونـامُـوا[٢]

٨٤ ودُقَّـــةَ بَـرْدَنُـوشَ وآلِ خَـسْـرٍ، وكُـــلًّا بـالـقَـلِـيـسِ لَـــهُ جِـــراءُ[٣]

٨٥ وفَـــيْـرُوزَ، الّـتـي شَـتَـمَـتْ لِـتُـزْري بـذي يَـمَـنٍ، ولَـيْـسَ بِـها زَراءُ[٤]

٨٦ هَـجَـتْ قَـحْـطـانَ آفِـكـةً عَـلَـيْـها فَما أَزْرَى بِمَـحْـتِـدِها الـهِـجاءُ[٥]

٨٧ وهَـلْ لِـلْـكَـلْـبِ خَـوْفَ الـفِـهْـرِ إِلّا هَـريـرٌ أَوْ نُـبـاحٌ أَوْ عُـــواءُ؟[٦]

٨٨ وسـابُـورٌ وأُسْـــرَةُ جُـنْـدُوَيْـهِ، ولَـيْـسَ يَـكُـونَ كالنَّطِفِ الـبَراءُ[٧]

٨٩ بُـيُـوتـاتٌ ظَـفِـرْتُ بِـهـا، وأُخْـرَى تَـــدِقُّ؛ مُـشـالِـفُـونَ وأَدْعِـيـاءُ[٨]

٩٠ رِجـــالُ الـتَّـرْجُـمـانِ وآلُ نَـغْـشٍ وأَوْبـاشٌ بِـأَلْـسُـنِـهِـمْ خَـنـاءُ[٩]

٩١ مَـجُـوسٌ يَـنْـكِـحونَ نِكاحَ كِسْرَى، وخَـيْـرٌ مِـنْ نِـكـاحِـهِـمُ الـبِـغـاءُ[١٠]

٩٢ فَـدُوسُـوهُـمْ بِـأَرْعَـنَ حِـمْـيَـرِيٍّ كَـهَـضْـبِ الجَـمَّـتَـيْـنِ لَـهُ زُهـاءُ،[١١]

٩٣ لُـــهـامٍ، لـو رَمَـيْـتَ بِـهِ حِـــراءً، لَـزُلْـزِلَ عَـنْ قَـواعِـدِهِ حِـــراءُ،[١٢]

١- بنـو وارامَنُوش، وخُـرَّزاد، وكذا الأسماء الّتي ستذكر في الأبيـات الآتية، وهي: دادَوَى، وبُزُرْج، وبَردَنُوش، وآل خَسْر، وزامَرْد، وفيروز، وسابور، وجُنْدُوَيْه، وآل نَغْش: كلّها أُسَرٌ من بقايا أبناء الفُرْس في اليَمَن.

٢- قولُـهُ: «يزرج» كـذا في الأصـل، بفتح الزّاي ثانيه، والمعروف أنّها بالضّمّ. والسِّفْلـةُ: الأراذلُ والحُثالةُ. ودادَوَى: قال الزَّبيديُّ (التّاج: ب ن ي): «ورأيـتُ في بعض تواريـخ اليَمَن: أنّ أبناءَ اليَمَن يَنْتَسبون إلى هُرْمُز الفارسيّ، الّذي أرسلَهُ كسرى مع سيف بن ذي يزن، فاستوطن اليَمَنَ، وأولد ثلاثةً: بَهْلَوانَ ودادَوان وبانيان، فأعقب بَهْلَوان بُهْلول، والدّادويّون بسَعْوان، ومنهم بنو المُتَمَيِّز بصنعاءَ وصَعْدةَ، وجِراف الطّاهر، ونحر البَوْن».

٣- قولُـهُ: «وذمه» كـذا في الأصل، بضمّ الدّال المهملة أوّله، وفي المعجمات: (الدِّقّةُ) بكسرهـا، أي الخَساسةُ والحَقارةُ. والجِراءُ: جمعُ الجِرْوِ، وهو الصّغيرُ منَ الكلاب والسِّباع.

٤- زَرَى عليه: عابَهُ، وانتقصَ فعْلَهُ. والزَّراءُ عليه: تحقيرُهُ، والانْتِقاصُ من قَدْرِه.

٥- أَزْرَى به: احتقرَهُ، وانتقصَ من قَدْرِه. والمَحْتِدُ: الأصلُ.

٦- الفِهْرُ: الحَجَرُ ملْءَ الكَفِّ.

٧- قولُـهُ: «جندويه» كـذا في الأصـل، بضمّ الجيم أوّله، والمعـروف في ضبطه: (جَنْدُوَيْه) بفتحهـا، معجم البلدان: (جَنْدُوَيْـه). والنَّطِفُ: المُلَطَّخُ بالعَيْبِ والفَساد. والبَراءُ: المُنَزَّهُ منَ الفَساد، المُبَرَّأُ منَ التُّهَم.

٨- قولُهُ: «مشالفون» كذا في الأصل، بالفاء قبل الواو، ولم يتّجه لي معناهُ بدقّة، ولعلّ المُرادَ: «مُشالِقون»؛ والمُشالِقُ غيرَهُ، المُراميه بالحِجارة، كناية عن سفاهتهم، وهو مبنًى غَفَلَتْ عنه المعجمات.

٩- الخَناءُ: الخَنَى، وهو الفُحْشُ وسُوءُ الخُلُق.

١٠- البِغـاءُ: التَّكَسُّـبُ بالفُجـور. وهـو يُشير إلى أنواع النِّكاح التي كانتْ عليهـا فارسُ قبل الإسلام، نحو: نكاح المَقْت، وهـو زواج الرَّجُل امرأةَ أبيـه بعـدَهُ. ونكاح الشِّغـار: زواج الرَّجلِ بقريبة رجلٍ آخر، على أن يُزَوِّجَهُ الآخرُ بقريبته، بغير مهرٍ منهما. ونِكاحُ الاستبضاع، وهو: نكاحُ المرأة بأمر زوجها طلبًا لنَجابة الولد.

١١- الأَرْعَنُ منَ الجُيوش: الكثيرُ العدد. والزُّهاءُ: العددُ الكثيرُ.

١٢- اللُّهامُ منَ الجُيوش: الكثيرُ العدد.

٩٤ يُـقِـرُّوا بِـالـوَلاءِ ويَـعْـرِفُـوهُ فقد أَمْسَى بِهِمْ عَنْهُ انْتِفاءُ[١]

٩٥ وقالوا الـدّارُ دارُهُـمُ ادِّعـاءً، ولَـيْسَ يَكُونُ كالـحَقِّ ادِّعـاءُ

٩٦ ونالُوكُمْ بِشَتْمٍ بَعْدَ قَصْبٍ، وذَلِـكَ مِـنْ مَقالِـهِمُ افْـتِراءُ[٢]

٩٧ فَقَدْ عَمَّتْ ذَوِي يَمَنٍ جميعًا مِنَ الفُرْسِ، الشَّتِيمةُ والبَذاءُ[٣]

٩٨ وسارُوا نَحْوَ رَبْعِ بَني شِهابٍ لِكُلِّ ثَنِيّةٍ بِهِمُ امْتِلاءُ[٤]

٩٩ إلى الدُّورِ الّتي فيها نِساءٌ يُزَيِّنُها، مَعَ الخَفَرِ، الحَياءُ[٥]

١٠٠ فَحامَى دُونَها نَفَرٌ حُماةٌ لَهُمْ في كُلِّ مَعْرَكَةٍ مَضاءُ[٦]

١٠١ أَقامُوا دُونَهُنَّ لَهُمْ قِراعًا وضَرْبًا في الرُّؤُوسِ لَهُ انْتِحاءُ[٧]

١٠٢ وذَلِكَ مِنْ وُجُوبِ الشَّمْسِ دَأْبًا إلَى أَنْ كانَ مِنْ غَدِهِ الضَّحاءُ[٨]

١٠٣ وقالَ كُهُولَةٌ سارُوا إلَيْنا: أَمَا لَكُمُ عَنِ الفِتَنِ ارْعِواءُ؟[٩]

١٠٤ فَمِلْنا لِلْمَواعِظِ، وازْدَجَرْنا مَخافَةَ أَنْ يُحِيطَ بِنا الشَّقاءُ

١٠٥ وأُقْحِمَ مَعْشَرٌ خَسِرُوا وضَلُّوا، وكانَ لَهُمْ عَلَى اللهِ اجْتِراءُ[١٠]

١٠٦ فَكَمْ مِنْ حُرَّةٍ بَرَزَتْ، وكانَتْ يُكِنُّ ضِياءَ سُنَّتِها الحَياءُ[١١]

١٠٧ حَواسِرَ يَلْتَطِمْنَ، وهُنَّ بُحٌّ لَهُنَّ بِحِمْيَرِ الصِّيدِ انْتِداءُ[١٢]

١٠٨ وهُنَّ يَقُلْنَ: وايَمَنًا، سُلِبْنا، وسَلْبُ إِمائِنا لَكُمُ خَزاءُ[١٣]

١٠٩ وكَهْلانُ الأُلَى كَثُرُوا وطابُوا لَنا ولَهُمْ إِلَى سَبَأٍ لِقاءُ[١٤]

١- الانْتفاءُ منَ الشّيء: التَّبَرُّؤُ منه، والتَّنَكُّرُ له.

٢- القَصْبُ: الشَّتْمُ، والذِّكْرُ القبيح.

٣- البَذاءُ: فُحْشُ الكلام وقُبْحُهُ.

٤- الثَّنِيّةُ: طريقُ العقبةَ يكون في الجبل.

٥- الخَفَرُ: شدّةُ الحياء.

٦- المَضاءُ: التَّقَدُّمُ.

٧- الانْتِحاءُ: المَيلُ.

٨- وُجُوبُ الشّمس: غُروبُها. والضَّحاءُ: امتدادُ النّهار، ودُنُوّ انتصافه، مع اشتدادِ وَقْعِ الشّمس فيه.

٩- الارْعواءُ عن الأمر: حُسْنُ الرُّجوع عنه.

١٠- الاجْتِراءُ: التَّجاسُرُ.

١١- سُنَّةُ الشّخص: وجهُهُ ومُحَيّاهُ.

١٢- البُحُّ: جمعُ الأَبَحِّ، وهو الضّعيفُ الصّوتِ. والصِّيدُ: جمعُ الأَصْيَدِ، وهو منَ النّاس: مَن يرفعُ رأسَهُ، ولا يلتفتُ كِبْرًا أو تَعَظُّمًا. والانْتِداءُ: الاجتماعُ.

١٣- الخَزاءُ: الاسْتِحْياءُ من فعل قبيح.

١٤- تقدّمَ سَوْقُ البيتِ في مخطوط الإكليل: ١ / ٦١أ، وفيه ثمّة بعد سوق أبياتٍ لعبد الخالق بن أبي الطَّلْح الشِّهابيِّ من لاميّته: «وقال أيضًا: وكَهْلانُ الأُلى كَثُروا وطابوا ... (البيت)»، وعنه في شمس العلوم: ٦ / ٣٥٦٦.

١١٠ فَصُولُوا فارِسًا وبَني عَدِيٍّ ... وقَلَّ لَهُمْ -بِما انْتَهَكوا- الجَلاءُ[١]

١١١ وقُومُوا، فاغْسِلُوا عارًا وجَشْمًا ... بِحَدِّ السَّيْفِ، ما يُنْقِيهِ ماءُ[٢]

١١٢ فلو أَنَّ الخَليفَةَ رامَ مِنْكُمْ ... مَرامَهُمُ، لَحَلَّ بِهِ الفَناءُ

١١٣ وجُوذِبَتِ الخِلافةُ في عُراها، ... ولم يُقْنِعْكُمُ إلّا الوَفاءُ[٣]

١١٤ فما هَمَّتْ بِخالِدِ آلِ قَسْرٍ ... أُمَيّةُ حِينَ حاقَ بِهِ التَّواءُ[٤]

١١٥ مَعَ الأَرْذالِ مِنْ سَلَفَيْ ثَقيفٍ ... فَدارَتْ بالوَليدِ رِحًى وِحاءُ[٥]

١١٦ وبِابْنَيْهِ وجَدِّهِما مَناف ... كَذاكَ البَغْيُ، لَيْسَ لَهُ نَماءُ

١١٧ أَحَلَّهُمُ التَّقَحُّمُ دارَ ذُلٍّ، ... وهُمْ مُسْتَخْلَفُونَ وأَوْلِياءُ

١١٨ فَيا عَجَبًا، أَمَا لِبَني عَدِيٍّ ... وسِفْلَةِ فارِسٍ بِهِمُ اقْتِداءُ؟

١١٩ أَلَيْسَ مِنِ انْقِلابِ الدَّهْرِ أَنِّي ... رَأَيْتُ النُّمْرَ تَفْرِسُها الجِداءُ؟[٦]

١٢٠ فَأَعْجَبَني، وذا عَجَبٌ عجيبٌ ... لُيُوثُ الغابِ تَفْرِسُهُنَّ شاءُ![٧]

١٢١ جَزَى اللهُ ابْنَ يُعْفِرَ كُلَّ حُسْنَى، ... فَكانَ لَهُ بَنُصْرَتِنا احْتِفاءُ[٨]

١٢٢ مُحَمَّدًا الكَريمَ، وكُلُّ نَفْسٍ ... لِنَفْسِ مُحَمَّدٍ مِنّا الفِداءُ

١٢٣ تَدارَكَنا الأَميرُ بِخَيْرِ أَزْرٍ ... وسَيْبٍ ما تُكَدِّرُهُ الدِّلاءُ[٩]

١٢٤ فَتَى اليَمَنِ الّذي سَنَّ المَعالي ... وشَيَّدَها، فَقَدْ شَمَخَ البِناءُ[١٠]

١٢٥ مُقارِيٌّ تَفَرَّعَ بَيْتَ مُلْكٍ ... لَهُ مِنْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ رِداءُ

١٢٦ حِوالِيٌّ يَقُومُ بِكُلِّ ثِقْلٍ، ... وتُعْجِبُهُ المَمادِحُ والثَّناءُ

١٢٧ أَغَرُّ، كَأَنَّهُ بَدْرٌ مُنِيرٌ ... لَهُ بِالعُرْفِ والعَفْوِ ابْتِداءُ

١- صالَ خصمَهُ: انْقَضَّ عليه وجالَدَهُ. والجَلاءُ: الإبْعادُ منَ البلاد.

٢- الجَشْمُ: الثِّقَلُ. ويحتمل الرّسم «وحَشْمًا»، وفي توجيه عُسْرٌ.

٣- عُرْوةُ المكان: فناؤُهُ وساحَتُهُ.

٤- التَّواءُ: الهَلاكُ.

٥- الرِّحى: جمعُ الرَّحَى، ورَحَى الحرب: حَوْمَتُها. والوِحاءُ: السِّراعُ، وواحدُهُ الوَحِيُّ.

٦- النُّمْرُ: جمعُ النَّمِر، وهو معروفٌ. والجِداءُ: جمعُ الجَدْي، وهو الذَّكَرُ من أولاد المَعز.

٧- أَعْجَبَهُ: أَثارَ عَجَبَهُ واسْتِغْرابَهُ. وفَرَسَهُ: افْتَرَسَهُ.

٨- ابنُ يُعْفِرَ: المخاطَبُ بالقصيدة، وهو: محمّدُ بنُ يُعْفِر بن عبد الرّحمن بن كُريبٍ الحِوالِيُّ الحِمْيَريُّ. والاحْتِفاءُ بالشّيءِ: المُبالغةُ في العِناية به.

٩- السَّيْبُ: المعروفُ والعطاءُ.

١٠- شَمَخَ: ارتفعَ وعَلا.

١٢٨ إذا ما كُرْبَةٌ نَزَلَتْ عَلَيْنا ... دَعَوْناهُ، فَلَمْ يَخِبِ الدُّعاءُ

١٢٩ سَما بِكَ، يا مُحَمَّدُ، أَيُّ أَصْلٍ! ... جُدُودٌ، ما بِأَيِّهِمُ قَماءُ:[١]

١٣٠ حِوالٌ والمُهَذَّبُ ذُو مُقارٍ ... وذُو الأَذْعارِ، واتَّصَلَ السَّناءُ[٢]

١٣١ مَقاوِلُ حِمْيَرٍ وذَوُو نُهاها ... فَأَبْزَلَكَ المآثِرُ والعَلاءُ[٣]

١٣٢ لِأَنَّكَ لا تَزالُ إلى المَعالي، ... بِمَحْمُودِ الفَعالِ، لَكَ ارْتِقاءُ

١٣٣ بَنَتْ لَكَ أَصْبَحٌ وبَنُو حِوالٍ ... جُدُودُكَ، إنَّهُمْ بِكَ أَصْلِياءُ[٤]

١٣٤ مَكارِمَ لا تَبِيدُ، وبَيْتَ مُلْكٍ ... سَما في الجَوِّ، لَيْسَ لَهُ انْتِهاءُ

١٣٥ إذا نُظِرَتْ بُيُوتُ العِزِّ عُلْوًا، ... فَبَيْتُكَ فَوْقَها، ولَها سَماءُ

١- قولُهُ: «أَيَّ أَصْلٍ» كذا في الأصل، على التَّعجّب من أصالته، وهو متّجهٌ، ويتّجه أيضًا لو قرئ الرّسم: «أُسُّ أَصْلٍ» والأُسُّ: الأساسُ، على التّأكيد. والقَماءُ: الصَّغارُ والمَذلّةُ.

٢- السَّناءُ: العُلُوُّ والرِّفْعةُ.

٣- النُّهَى: جمعُ النُّهْية، وهي العَقْلُ. وأَبْزَلَهُ: جعلَهُ بازلًا، أي كامل التَّجْربة، على التّشبيه بالبازل منَ الإبل، ورسم اللّفظ في أصل: «فَأَبْزَلَكَ»، وهو يحتمل القراءة بـ: (فَأَبْزَلَ لَكَ)، ومعناه باردٌ، وفيه اختلال أيضًا.

٤- الأَصْلِياءُ: الدَّواني، من قولهم: صالَى الشَّيءَ، إذا داناهُ، وهي لفظة يمانية غَفَلَتْ عنها المعجمات.

مصادر البحث ومراجعه

الإكليل (مخطوط الجزأين الأوّلين): الحسن بن أحمد الهَمْدانيّ (٣٣٤هـ)، مكتبة برلين، ألمانية، تحت رقم: PPN1677407891.

تاج العروس من جواهر القاموس: الزَّبيديّ (١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحقّقين، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، الكويت، ط١، (١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م- ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م).

صفة جزيرة العرب: الحسن بن أحمد الهَمْدانيّ (٣٣٤هـ)، حقّقه وعلّق عليه ثمّ صنع فهارسه: داود هنريك موللير، قدّم له وسعى إلى إخراجه علقًا نفيسًا مصوّرًا: مقبل التّام عامر الأحمديّ، مجمع العربيّة السّعيدة، صنعاء، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م. وتحقيق: محمّد بن عليّ الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: نشوان بن سعيدٍ الحِمْيريّ (٥٧٣هـ)، تحقيق: حسين العَمْريّ، ومُطَهَّر الإريانيّ، ويوسف محمّد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر دمشق، ط١، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

العسجد المسبوك والزَّبرجد المحكوك في تاريخ دولة الإسلام وطبقات الملوك: عليّ بن الحسن الخزرجيّ (٨١٢هـ)، تحقيق: مقبل التّام عامر الأحمديّ، الجيل الجديد ناشرون، صنعاء، ط١، ٢٠٢٠م.

السَّيْفِيَّةُ الثّانيَةُ
مِنْ دِيوَانِ أَبِي الطَّيِّبِ المُتَنَبِّي (ت٣٥٤هـ)
بِشَرْحِ الوَاحِدِيّ (ت ٤٦٨هـ)

تَحْقِيق: الدكتور إِبْرَاهِيم مُحَمَّد المَحْمُود*

السّيْفِيَّةُ الثّانيَةُ لأبي الطَّيِّبِ المُتَنَبِّي

أبو الطَّيِّب المُتَنَبِّي[1]: أَحْمَدُ بنُ الحُسين بن الحَسَن بن عَبْد الصَّمَد الجُعْفِيُّ الكِنْدِيُّ الكُوفِيُّ (٣٠٣-٣٥٤هـ). الشّاعرُ الفَذّ الَّذي سارَتْ بشِعْرِه الرُّكْبانُ، وطبقَتْ شُهْرتُهُ الآفاقَ، وتوارثَتْ أدبَهُ الأَجْيالُ كابرًا عن كابرٍ حتّى يَوْمِ النّاسِ هذا. حَفَلَ شِعْرُهُ بالجَمَالِ والجَلَال، واغتَنَى باللُّغة وتَزَيّنَ بالبَلاغة وكَثيرٍ من فُنونِ العربيَّة؛ فقد «اشتغلَ بفُنُونِ الأَدَبِ ومَهَرَ فيها، وكانَ من المُكْثِرينَ من نَقْلِ اللُّغة والمطَّلِعينَ على غَرِيبِها وحُوشِيِّها، ولا يُسألُ عن شَيْءٍ إلَّا واستَشْهَدَ فيه بِكَلامِ العَرَبِ من النَّظْم والنَّثْر[2]».

* دكتوراه في النَّحو والصَّرف من جامعة دمشق، باحثٌ في تحقيق النُّصوص وشؤون التُّراث العربيّ.

١- انظر ترجمته في: يتيمة الدهر ١ / ١٣٩، وتاريخ بغداد ٥ / ١٦٤، وتاريخ دمشق ٧١ / ٧٦، ونزهة الألباء ٢١٩، ووفيات الأعيان ١ / ١٢٠، وتاريخ الإسلام ٨ / ٦٥، والوافي بالوفيات ٦ / ٢٠٨، وسير أعلام النبلاء ١٢ / ٢٥٥، ولسان الميزان ١ / ٤٤٠، والأعلام ١ / ١١٥، وغير ذلك كثير. ٢- صفة جزيرة العرب: (طبعة موللير: ٥٨، وطبعة الأكوع: ١٠٦).

٢- وفيات الأعيان ١ / ١٢٠.

وما يَزالُ مالِئُ الدُّنيا وشاغِلُ النّاسِ يَمْلَأُ الآفاقَ بشِعْرِه، ويَشْغَلُ الخَلْقَ في تَفْسيرِ ظواهِرِه، وتَأْويلِ مُشْكِلِه، وجَمْعِ شَوارِدِه، وفَتْحِ مَغالقِه، وفَسْرِ مَعانيه. هذا، ولم يُشرَحْ ديوانُ شاعرٍ في الجاهليَّة والإسلام كما شُرِحَ ديوانُ المتنبي[٣]. وقد تَشَعّبَ النّاسُ حيال المتنبّي بينَ مُجِلٍّ له ومُقدِّم، وبينَ شانِئٍ له ومُبْغِضٍ ومُتَتبِّعٍ لسَقَطاته، وبينَ مَن اتّخذَ مَوْقفًا وسَطًا فأَقَرَّ ما له، وعَرَضَ ما عليه.

ولا يَخْفَى على كَثيرٍ من أَهْلِ الأدَبِ واللُّغة تلك المكانةُ السّامقَةُ الَّتي كانَتْ لأَبي الطَّيِّبِ المُتَنَبِّي، وذلك الإبْداعُ والجَمالُ في شِعْرِه. وقد طَرَقَ شاعرُ العَرَبيَّة مُعْظَمَ أَبْوابِ الشِّعْر، فَنَظَمَ في المَدْحِ والرِّثاءِ والهجاءِ وغَيْرِ ذلكَ من أَغْراضِ الشِّعْر. على أنَّ أَشْهَرَ قصائدِه في المدحِ القَصائدُ السَّيْفيّاتُ الَّتي خَصَّ بها سَيْفَ الدَّوْلَة الحَمْدَانيَّ أبا الحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَمْدَانَ (ت٣٥٦هـ). وهي قَصائدُ عاليَاتٌ جِيادٌ، غَنِيَّاتٌ باللُّغَة والمَعاني غِنَى بَقِيَّةِ شِعْرِه.

وكنتُ قد نشرتُ في هذه المجلّة الغرّاء[٤] شَرْحَ السَّيْفيَّةِ الأُولى الَّتي مَطْلَعُها:

وَفَاؤُكُمَا كَالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمُهْ ... بِأَنْ تُسْعِدَا وَالدَّمْعُ أَشْفَاهُ سَاجِمُهْ

وأمّا السَّيْفيَّةُ الثّانيَةُ فمَطْلَعُها:

أَيْنَ أَزْمَعْتُ أَيُّهَذَا الهُمَامُ ... نَحْنُ نَبْتُ الرُّبَا وَأَنْتَ الغُمَامُ

وقد اقْتَطَفْتُ هذه القَصيدةَ أَيْضًا من شَرْحِ ديوانِ المُتَنَبِّي للْواحِديِّ عَلِيِّ بن أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ النَّيْسَابُوريّ (ت ٤٦٨هـ)[٥]؛ إذ يُمَثِّلُ شَرْحُهُ مَرْحلةً وُسْطَى بينَ الشُّرُوحِ المُطَوَّلَة كالفَسْر، وبَيْنَ الشُّرُوحِ المُقْتَضَبَة أو تلكَ الَّتي اقتصَرَتْ على تَفْسيرِ الأَبْياتِ المُشْكِلَة، كَتَفْسيرِ أَبْيَاتِ المعاني لأبي المُرْشِدِ المَعَرّيّ (ت بعد ٤٩٢هـ). هذا، وقد سارَ الواحِديُّ في شَرْحِه لديوانِ الشّاعرِ على التَّرتيبِ التّاريخيِّ للقصائد، لا على التَّرْتيبِ الأَلفْبائيِّ للقَوافي.

وشَرْحُ الواحِديِّ شَرْحٌ غَنِيٌّ نَفيسٌ ليسَ بالمُفَصَّلِ المُتَطاوِل، ولا هو بالوَجيزِ المُتَضائل، وهذا مَنْهَجُهُ الَّذي أَلْمَحَ إليه في مُقدّمَته؛ إذ قال: «**ومن حقِّ المصنّفِ أنْ يكونَ كلامُهُ مقصورًا على المقصودِ بكتابِه، وما يتعلَّقُ به من أسبابِه، غيرَ عادلٍ إلى ما لا يحتاجُ إليه، ولا يعرّجُ عليه**». وهو كما قال؛ إذ شَرَحَ الأبياتَ الواضِحَةَ المعاني شَرْحًا يَسيرًا، وثَمَّةَ عَدَدٌ يَسيرٌ من الأبياتِ كانَ قد تَجاوَزَها لوُضُوحِها. وأمَّا الأبياتُ التي تَحْتاجُ إلى إيضاحٍ وتأويلٍ فقد بَسَطَ الكلامَ عليها، ونَقَلَ أقوالَ الأئمَّة فيها، مع شَيْءٍ من النَّقْدِ فيما ذَهبُوا إليه، واعْتِدادٍ بما ظَهَرَ له ممَّا لم يَظْهَرْ لغَيْرِه في تَفْسيرِ الأبياتِ على الوَجْهِ الَّذي يُرْضَى.

وقد اشْتَمَلَ شَرْحُ الواحِديِّ إلى جانبِ تَفْسيرِ مَعاني أبياتِ أبي الطَّيِّبِ على جُمْلَةٍ صالحةٍ من مسائلِ العربيَّة، وشواهدَ مَشْهُورةٍ في مُعْظَمِها، وبَعْضُها نادرٌ لا تَكادُ تَجِدُهُ إلَّا عِنْدَه، أو عِنْدَ صاحبِ التِّبْيانِ الَّذي اقْتَفَى قَفْوَ الواحِديِّ في شَرْحِه؛ سَواءٌ أَذْكَرَ ذلكَ عنه تَصْريحًا أَمْ سَكَتَ عَنْه، وكثيرًا ما فَعَل.

وقد حَفِظَ لنا هذا الشَّرْحُ أَيْضًا نُقولًا كثيرةً عن ابْنِ جِنِّي (ت ٣٩٢هـ)، وابنِ فُورَّجَة (ت ٤٥٥هـ)، ومن هؤلاء

٣- انظر الصبح المنبي ٤٢٤.

٤- مجلة المخطوط العربي، العدد ٢، ٢٠٢١م.

٥- صاحب التصانيف المشهورة: أسباب النزول، وتفاسير القرآن الكريم: البسيط، والوسيط، والوجيز. وغير ذلك كثير. وقد ترجم له ياقوت الحموي في معجم الأدباء ١٦٥٩.

الشُّرّاحِ الَّذينَ نَقَلَ عنهم مَن لم تَصِلْ إلينا شُرُوحُهم لِأَبْياتِ أبي الطِّيِّب؛ كأبي بَكْرٍ الخُوَارِزْمِيِّ (ت ٣٨٣هـ)، وأبي الفَضْلِ العَرُوضِيّ (ت بعد ٤١٦هـ)، وابن دُوْسْت (ت ٤٣١هـ).

ولِشَرْحِ الواحِدِيِّ نَشْرتانِ الأُولى نَشْرةُ برلين بعناية ديتريصي (١٨٦١م)، والثّانية نَشْرةُ دار الرائد العربي (١٩٩٩م) الّتي أخرجها مُحَقِّقاها عن النَّشْرةِ الأولى، دون الرجوع إلى أَصْلٍ مخطوط. ومِنْ توفيقِ اللهِ إيَّايَ أني وَقَفْتُ بأَخَرةٍ على مخطوطٍ لهذا الشَّرْحِ حَمَلَني على المُضيِّ قُدُمًا في إخراجه بِحُلَّةٍ جَديدة.

وقد رَجَعْتُ في تحقيقِ هذه القصيدةِ من (**شَرْحِ ديوَانِ المُتَنَبِّي**) للواحديّ (ت ٤٦٨هـ)، إلى جُملةٍ صالحةٍ من شُروحِ المُتَنَبِّي؛ في مقدمتها كتاب (**الفَسْر**) لابن جنِّي (ت ٣٩٢هـ)، و(**شَرْحِ شِعْرِ المُتَنبي**) لابن الإفْليلي (ت ٤٤١هـ)، و(**اللَّامِع العَزِيزِيّ**) لأبي العلاء المعريّ (ت ٤٤٩هـ)، و(**مُعْجِز أحمد**) المنسوب لأبي العلاء أيضًا، و(**المُوضِح**) للتِّبريزيّ (ت ٥٠٢)، و(**التِّبيان**) المنسوب للعُكْبَرِيّ (ت ٦١٦هـ)، وقد يكون لابن عَدْلان (ت ٦٦٠هـ)، أو لغيره.

ومن الكتب التي دارت حول أبي الطيب وقضايا شعره، وأفدتُ منها في التَّحقيق: كتاب (**الوَساطة**) للقاضي الجُرجانيّ (ت ٣٦٦هـ)، وكتاب (**المُنْصِف**) لابن وَكِيع (ت ٣٩٣هـ)، وكتاب (**الفَتْح على أَبِي الفَتْح**) لأبي عَلِيٍّ بن فُورَّجَةَ البَرُوجِرْدِيِّ (ت ٤٥٥هـ)، وكتاب (**المآخذ على شُرَّاح ديوان أبي الطَّيِّب المُتَنَبِّي**) لابن مَعْقِل الأَزْدِيّ (ت ٦٤٤هـ)، وكتاب (**الصُّبح المُنْبي عن حَيْثِيّة المُتَنَبِّي**) ليُوسُفَ البَدِيعِيّ (ت ١٠٧٣هـ). هذا كلُّه بعد توثيق شعر المُتَنَبِّي من ديوانه بتحقيق عبد الوهاب عزام.

وقد جعلْتُ (الفَسْر) في مُقدّمة المصادر لقدَمِه ولأهميَّته، أمَّا قِدَمُهُ فَلأَنَّ ابنَ جنِّي أَوَّلُ مَنْ شَرَحَ ديوانَ صَديقِه المُتَنَبِّي، وأمَّا أهميَّتُهُ فلأنَّ الشَّارحَ قَرَأَ الدِّيوانَ على الشاعر نفسه، وهذا الاتِّصالُ المباشرُ بَيْنَ الشَّارحِ والشَّاعرِ أَعْطَى (الفَسْر) قيمةً كبيرةً بين شروح المُتَنَبِّي، بل إنَّ شرَّاح المُتَنَبِّي اتَّكَؤُوا عليه، ونَهَلُوا منْه، بتصريحٍ أو بغير تصريح.

وهذا لا يقلِّلُ من أهميَّةِ الشُّروح الأخرى؛ سواءٌ تلك التي جاءَتْ قبل الواحديِّ كاللَّامِع، أم تلك التي جاءَتْ بعدَهُ كالمُوضِحِ والتِّبْيان، أم تلك التي عُنِيَتْ بِمُشْكِلاتِ شِعْرِ أبي الطَّيِّبِ أو دارَتْ حَوْلَه ممَّا ذكرتُ قبلَ قليل.

صورتا القصيدة في المخطوط (الأصل)

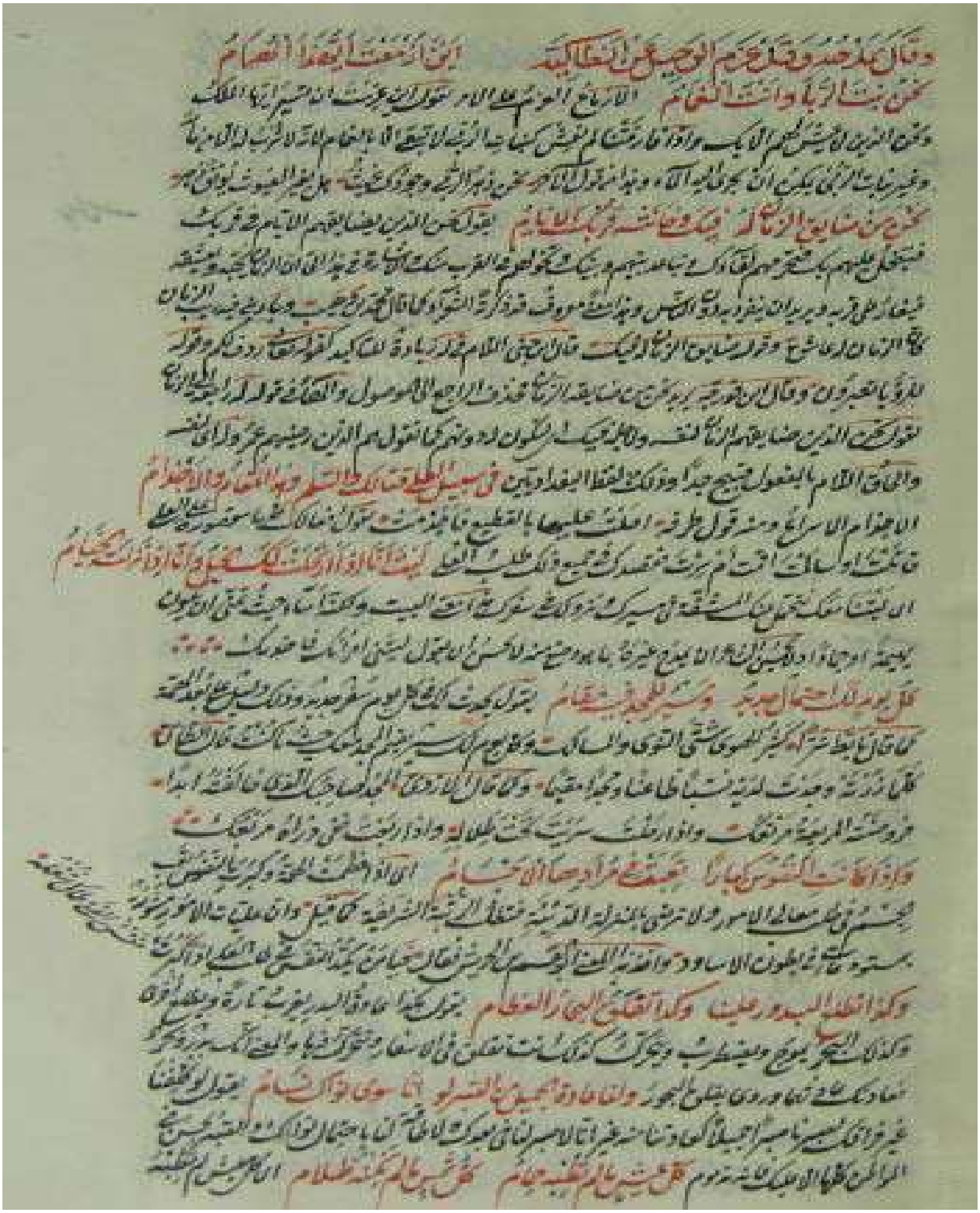

الصفحة ١٢٥ [ب]

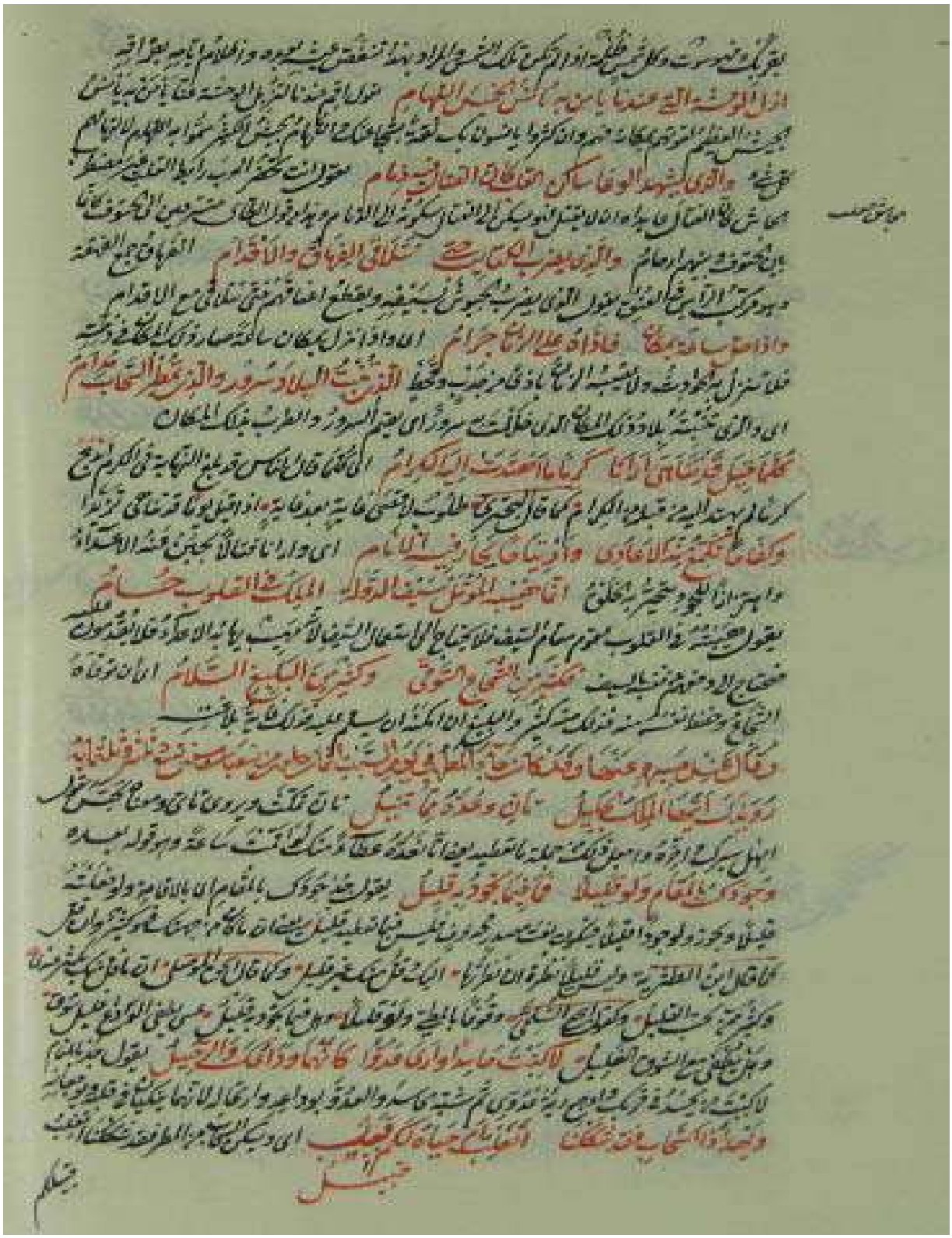

الصفحة ١٢٦ [أ]

[السَّيْفِيَّات]

[١٦١]

وقالَ يَمْدَحُهُ وقَدْ عَزَمَ الرَّحيلَ عَنْ أَنْطَاكِيَةَ[٦]: [الخفيف]

أَيْـــنَ أَزْمَـــعْـــتَ أَيُّـــهَـــذَا الـهُـمَـامُ ... نَـحْـنُ نَـبْـتُ الـرُّبَـا وَأَنْـــتَ الـغُـمَـامُ

الإِزْمَاعُ: العَزْمُ على الأَمْر.

يَقُولُ: أَيْنَ أَزْمَعْتَ أَنْ تَسيرَ أَيُّها المَلِكُ ونَحْنُ الَّذينَ لا عَيْشَ لنا إِلَّا بِكَ، وإِذَا فارَقْتَنا لَمْ نَعِشْ، كَنَبَاتِ الرُّبَا لا يَبْقَى إِلَّا بالغَمام؛ لِأَنَّهُ لا شُرْبَ لَهُ إِلَّا من مَائِه، وغَيْرُ نَباتِ الرُّبا يُمْكِنُ أَنْ يَجْرِيَ إِليه الماءُ. وهذا من قَوْلِ الآخَر[٧]:

نَـحْـنُ زَهْـرُ الـرُّبَـا وَجُـــودُكَ غَـيْـثٌ ... هَـلْ بِـغَـيْرِ الـغُـيُـوثِ يُـونِـقُ زَهْـرُ

نَـحْـنُ مَـنْ ضَـايَـقَ الـزَّمَـانُ لَـهُ فِيـ ... ـكَ وَخَـانَـتْـهُ قُـرْبَـكَ الأَيّـــامُ

يَقُولُ: نَحْنُ الَّذينَ تُضَايِقُهُمُ الأَيَّامُ في قُرْبِكَ، فَتَبْخَلُ عَلَيْهِم بِكَ، فَتَحْرِمُهُم لِقَاءَك، وتُباعِدُ بَيْنَهُم وبَيْنَكَ، وتَخُونُهُم في القُرْبِ منْك.

والإِشَارةُ في هذا إلى أَنَّ الزَّمَانَ يُحِبُّهُ ويَعْشَقُهُ فَيَغارُ على قُرْبِه، ويُرِيدُ أَنْ يَنْفَرِدَ بِه دُونَ النّاس. وهذا مَعْنًى مَعْرُوفٌ قد ذَكَرَتْهُ الشُّعَراءُ، كمَا قالَ مُحَمَّدُ بنُ وُهَيْبٍ[٨]:

وَحَـارَبَـنِـي فِـيْـهِ رَيْـبُ الـزَّمَـانِ ... كَـــأَنَّ الـــزَّمَـــانَ لَـــهُ عَـاشِـقُ

وقَوْلُـهُ: «ضَـايَقَ الزَّمَـانُ لَهُ فيكَ». قالَ ابنُ جِنِّي[٩]: "اللَّامُ في "لَهُ" زائِدَةٌ لِلتَّأْكِيد، كَقَوْلِه تَعالَى: ﴿رَدِفَ لَكُمْ﴾ [النمل: ٢]، و[قَوْله][١٠]: ﴿لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣].

وقالَ ابنُ فُورَّجَةَ[١١]: يُرِيدُ: نَحْنُ مَنْ ضَايَقَهُ الزَّمَانُ، فَحَذَفَ الرَّاجِعَ إِلى المَوْصُولِ. والهَاءُ في قَوْلِه "لَهُ" راجِعَةٌ إِلى الزَّمَان.

يَقُولُ: نَحْنُ الَّذينَ ضايَقَهُمُ الزَّمَانُ لِنَفْسِه ولِأَجْلِه فيكَ، أَيْ: لِتَكُونَ لَهُ دُونَهُم كمَا تَقُولُ: هُمُ الَّذينَ رَضِيَهُمْ عَمْرٌو لَهُ، أَيْ: لِنَفْسِه. وإِلْحَاقُ اللَّامِ بالمَفْعُولِ قَبِيحٌ جِدًّا. وذلكَ مِنْ لَفْظِ البَغْدادِيِّينَ.

فِي سَـبِـيـلِ الـعُـلَـى قِـتَـالُـكَ وَالـسِّـلْـ ... ـمُ وَهَـــذَا المُـــقَـــامُ وَالإِجْـــذَامُ

٦- انظر: ديوان المتنبي ٢٤٩، والفسر ٣ / ٣٤٣، واللامع ١١٣٣، والمعجز ٣ / ٢٨، والموضح ٤ / ٤٨٩، والتبيان ٣ / ٣٤٣. وفي ط: «وقالَ يَمْدَحُ سَيْفَ الدَّوْلَة وقَدْ عَزَمَ على الرَّحيلِ عَنْ أَنْطَاكِيَة».

٧- لم أعرفه. والبيت في: التبيان ٣ / ٣٤٣.

٨- أبو جعفر الحِمْيريّ (توفي نحو ٢٢٥هـ) في ديوانه ٨٤ (شعراء عباسيون). والبيت في: الوساطة ٢٤٠، وأسرار البلاغة ٢٧٩، ومحاضرات الأدباء ٢ / ٧٤، والتبيان ٢ / ٧٤، ٣ / ٣٤٤، ٤ / ٤٧، ومعاهد التنصيص ١ / ٢٢٢، والدر الفريد ٣ / ٢٠٠.

٩- الفسر ٣ / ٣٤٤. وعنه في التبيان ٣ / ٣٤٣.

١٠- ما بين حاصرتين ليس في ط.

١١- الفتح على أبي الفتح ٢٨١. وعنه في التبيان ٣ / ٣٤٤.

الإِجْذَامُ: الإِسْرَاعُ. ومِنْهُ قَوْلُ طَرَفَةَ[١٢]:

أَحَلْتُ عَلَيْهَا بِالقَطِيعِ فَأَجْذَمَتْ ....

يَقُولُ: أَفْعالُكَ كُلُّها مَقْصُورةٌ على العُلَى قاتَلْتَ أو سَالَمْتَ، أَقَمْتَ أَمْ سِرْتَ؛ فَقَصْدُكَ في جَمِيعِ ذلكَ طَلَبُ العُلَى.

لَيْتَ أَنَّا إِذَا ارْتَحَلْتَ لَكَ الخَيْـ ـلُ وَأَنَّا إِذَا نَزَلْتَ الخِيَامُ

أَيْ: لَيْتَنا مَعَكَ نَتَحَمَّلُ عَنْكَ المَشَقَّةَ في مَسيرِكَ ونُزُولِكَ في سَفَرِكَ.

هذا مَعْنَى البَيْتِ، ولَكِنَّهُ أَسَاءَ حَيْثُ تَمَنَّى أَنْ يَكُونَ بَهِيمَةً أو جَمَادًا. ولا يَحْسُنُ بالشَّاعِرِ أَنْ يَمْدَحَ غَيْرَهُ بما هو وَضْعٌ مِنْهُ، فلا يَحْسُنُ أَنْ تَقُولَ: لَيْتَنِي امْرَأَتُكَ فَأَخْدُمَكَ.

كُلَّ يَوْمٍ لَكَ احْتِمَالٌ جَدِيدٌ وَمَسِيرٌ لِلْمَجْدِ فِيهِ مُقَامُ

يَقُولُ: يَحْدُثُ لكَ في كُلِّ يَوْمٍ سَفَرٌ جَدِيدٌ، وذلكَ دَلِيلٌ على بُعْدِ الهِمّةِ، كمَا قالَ تَأَبَّطَ شَرًّا[١٣]:

.... كَثِيرُ الهَوَى شَتَّى النَّوَى وَالمَسَالِكِ

وكُلَّ يَوْمٍ لكَ سَيرٌ يُقِيمُ المَجْدُ [عِنْدَكَ في ذلكَ السَّيْرِ؛ لِأَنَّ ذلكَ السَّيرُ لِطَلَبِ المَجْدِ؛ أو لِأَنَّ المَجْدَ مُقِيمٌ][١٤] مَعَكَ حَيْثُما كُنْتَ، [كَمَا][١٥] قالَ الطَّائِيُّ[١٦]:

كُلَّمَا زُرْتُهُ وجَدْتُ لَدَيْهِ نَشَبًا ظَاعِنًا وَمجْدًا مُقِيمَا

وكمَا قالَ الأَزْدِيُّ[١٧]:

المَجْدُ صَاحِبُكَ الَّذِي حَالَفْتَهُ أَبَدًا فَرَوْضَتُهُ المُرِيعَةُ مَرْتَعُكْ

١٢- في ديوانه ٤١. وعجزه:

.... وَقَدْ خَبَّ آلُ الأَمْعَزِ المُتَوَقِّدِ

والبيت من معلقته الشهيرة، وهو في: جمهرة أشعار العرب ٣٢١، وشرح: القصائد السبع ١٨٤، والمعلقات السبع ١٠٣، والقصائد العشر ٧٦، والفسر ٣ / ٣٤٦، والتبيان ٢ / ٢٨٨. أحلت عليها بالقطيع: أقبلت على الناقة بالسوط. أجذمَتْ: أسرعت. خبَّ: جرى واضطرب. الآل: السَّراب. الأمعز: الموضع الغليظ الكثير الحصى. عن الديوان بتصرف.

١٣- في ديوانه (شاكر) ١٥١. وصدر البيت:

قَلِيلُ التَّشَكِّي لِلْمُهِمِّ يُصِيبُهُ ....

والبيت في: العقد ١ / ١٠٧، ٢ / ٣٣٧، ٣ / ١٥٤، ونقد الشعر ٢٩، والأمالي ٢ / ١٣٨، والحماسة ٦٥، وشرحها: للمرزوقي (ط. العلمية) ٤٤٨، وللفارسي ٢ / ٩٨، وللتبريزي ٢٢، وزهر الآداب ٢ / ٣٥٨. والبيت في مدح شمس بن مالك، وأنه قليل الجزع والشكوى من الأمر المهم إذا أصابه، وكثير الإرادات، مختلف الطرق والمذاهب. عن شرح الحماسة للفارسي بتصرف.

١٤- ما بين حاصرتين ليس في صل.

١٥- ما بين حاصرتين ليس في صل.

١٦- أبو تمام في ديوانه ٣ / ٢٢٨. والبيت في الموازنة ٣ / ١٦٢، والتبيان ٣ / ٣٤٥. والنَّشَب: المال. ورواية الديوان: «نسبًا».

١٧- لم أهتدِ إليه. والبيتان في التبيان ٣ / ٣٤٥.

فَـــإِذَا رَحَـلْـتَ سَـرَيْـتَ تَحْـتَ ظِـلَالِـهِ وَإِذَا رَبَـعْـتَ فَـفِـي ذُرَاهُ مَـرْبَـعُـكْ
وَإِذَا كَـانَـتِ الـنُّـفُـوْسُ كِـبَـارًا تَـعِـبَـتْ فِي مُـرَادِهَـا الأَجْـسَـامُ

أَيْ: إِذَا عَظُمَت الهِمّةُ وكَبُرَت النَّفْسُ تَعِبَ الجِسْمُ [في تَحْصِيلِ مُرادِها؛ وذلكَ أَنَّ الهِمَّةَ العالِيَةَ تُعَنِّي الجِسْمَ][18] في طَلَبِ مَعالِي الأُمُور، ولا تَرْضَى بالمَنْزِلَةِ الدَّنِيَّة، فَتَطْلُبُ الرُّتْبَةَ الشَّرِيفَةَ، كمَا قالَ[19]:

وَإِنَّ عَـلِـيَّـاتِ الأُمُـــورِ مَـشُـوبَـةٌ بِمُـسْـتَـودَعَـاتٍ فِي بُـطُـونِ الأَسَـاوِدِ

وأَخَذَ هذا المَعْنَى أَبُو القاسِمِ بْنُ الحَرِيشِ في قَوْلِه[20]:

فَـيَـا مَـنْ يَـكُـدُّ الـنَّـفْـسَ فِي طَـلَـبِ الـعُـلَـى إِذَا كَـبَّرَتْ نَـفْـسُ الـفَـتَـى طَـالَ شُـغْـلُـهُ
وَكَـــذَا تَـطْـلُـعُ الـبُـــدُورُ عَـلَـيْـنَـا وَكَـــذَا تَـقْـلَـقُ الـبِـحَـارُ الـعِـظَـامُ

يَقُولُ: هَكَذا عادَةُ البَدْرِ يَغْرُبُ تارَةً، ويَطْلُعُ أُخْرى[21]، وكَذلكَ البَحْرُ يَمُوجُ ويَضْطَرِبُ ويَتَحَرَّكُ، وكَذلِكَ أنتَ تَقْلَقُ في الأَسْفارِ وتَتَحَرَّكُ فيها.

والمَعْنَى أَنَّكَ بَدْرٌ وبَحْرٌ، فَعادَتُكَ عادَتُها.

[ورُوِيَ: «البُحورُ»][22].

وَلَـنَـا عَـــادَةُ الجَـمِـيـلِ مِـنَ الـصَّـبْـ ـرِ لَـوَ انَّـا سِـوَى نَـــوَاكَ نُـسَـامُ

يَقُولُ: لو كُلِّفْنَا غَيْرَ فِراقِكَ لَصَبَرْنا صَبْرًا جَمِيلًا كَعادَتِنا مِنْه، غَيْرَ أَنَّا لا صَبْرَ لنا في بُعْدِكَ، ولا طاقَةَ لنا باحتِمَالِ نَوَاكَ. [قالَ العُتْبِيُّ[23]][24]:

والـصَّـبْـرُ يَـحْـسُـنُ فِي المَـــوَاطِـنِ كلِّـهَـا إِلَّا عَـلَـيْـكَ فَـــإِنَّـــهُ مَـــذْمُـــومُ
كُـــلُّ عَـيْـشٍ مَـا لَمْ تُـطِـبْـهُ حِـمَـامُ كُـــلُّ شَـمْـسٍ مَـا لَمْ تَـكُـنْـهَـا ظَـــلَامُ

١٨- ما بين حاصرتين ليس في صل.

١٩- كُلْثُوم بن عَمْرٍو العَتّابِيّ من شعراء العصر العباسي الأول وبُلغائهم (ت ٢٢٠هـ) في ديوانه ٦٥. والبيت في: البيان والتبيين ٣ / ٣٣٠، والحيوان ٤ / ٣٩٠، والعقد ٣ / ١٦٠، وعيون الأخبار ١ / ٣٣٥، والوساطة ٢٢٤، وديوان المعاني ١ / ١٣، والإعجاز والإيجاز ١٥٦، والتمثيل والمحاضرة ٨٣، واللطائف والظرائف ٣٩، وتحسين القبيح ٥٤، وخاص الخاص ١١٣، ولباب الآداب ١٧٨، وزهر الآداب ٦٧٥، ومحاضرات الأدباء ١ / ٢٣٨، ٥٢٧، والتذكرة الحمدونية ٣ / ١٢٠، والبديع ٧٩، والتبيان ٣ / ٣٤٥، والدر الفريد ٦ / ٢٤٧، ٧ / ٤٠٨، والغرر ٩٥٨، ونهاية الأرب ٣ / ٨٦، ٦ / ١٥١. وسيأتي البيت في موضع آخر من شرح الواحدي برواية: «وَإِنَّ جَسِيمَاتِ الأُمُورِ...».

٢٠- عبد الواحد بن محمد بن عليّ بن الحَرِيشِ الأصبهانيّ (ت ٤٢٤هـ). والبيت في: تتمّة اليتيمة ١ / ٣٢٥، والتبيان ٣ / ٣٤٥.

٢١- في ط: «تارَةً».

٢٢- ما بين حاصرتين ليس في صل. ولم أقف على هذه الرواية التي قد تكون زيادة من الناسخ.

٢٣- الموازنة ١ / ١١١.

٢٤- ما بين حاصرتين ليس في صل.

أيْ: كُلُّ عَيْشٍ لَمْ تُطِبْهُ [١٢٥ / ب] بِقُرْبِكَ فهو مَوْتٌ، وَكُلُّ شَمْسٍ ظُلْمَةٌ إذا لم تَكُنْ تلكَ الشَّمْسَ. والمُرَادُ بهذا تَنَغُّصُ عَيْشِهِ بَعْدَهُ، وإظْلَامُ أَيَّامِهِ بِفِرَاقِه.

أَزِلِ الوَحْشَةَ الَّتِي عِنْدَنَا يَا ... مَنْ بِهِ يَأْنَسُ الخَمِيسُ اللُّهَامُ

يَقُولُ: أَقِمْ عِنْدَنا لِتُزِيلَ الوَحْشَةَ عَنَّا يا مَنْ يَأْنَسُ الجَيْشُ العَظِيمُ لِقُوَّتِهِم بِمَكانِه، فَهُم، وإنْ كَثُروا، يَأْنَسُونَ بِكَ ثِقَةً بِشَجاعَتِكَ.

واللُّهَامُ: الجَيْشُ الكَثيرُ؛ سُمُّوا بِهِ لالْتِهَامِهِم كُلَّ شَيْءٍ.

وَالَّذِي يَشْهَدُ الوَغَى سَاكِنَ القَلْـ ... ـبِ كَأَنَّ القِتَالَ فِيهَا ذِمَامُ

يَقولُ[٢٥]: أَنْتَ تَحْضُرُ الحَرْبَ رابِطَ القَلْبِ، غَيْرَ مُضْطَرِبِ الجَأْشِ، كأَنَّ القِتالَ عاهَدَهُ [على][٢٦] ألَّا يُقْتَلَ، فهو يَسْكُنُ إلى القِتَالِ سُكُونَهُ إلى الذِّمَام. وهذا مِنْ قَوْلِ الطَّائِيِّ[٢٧]:

مُتَسَرِّعِينَ إِلَى الحُتُوفِ كَأَنَّمَا ... بَيْنَ الحُتُوفِ وَبَيْنَهُم أَرْحَامُ

وَالَّذِي يَضْرِبُ الكَتَائِبَ حَتَّى ... تَتَلاقَى الفِهَاقُ وَالأَقْدَامُ

الفِهَاقُ: جَمْعُ الفَهْقَةِ، وهو[٢٨] مُرَكَّبُ الرَّأْسِ في العُنُق[٢٩].

يَقُولُ: الَّذِي يَضْرِبُ الجُيُوشَ بِسَيْفِهِ، ويَقْطَعُ أَعْناقَهُم حَتَّى تَتَلاقَى مع الأَقْدَام.

وَإِذَا حَلَّ سَاعَةً بِمَكَانٍ ... فَأَذَاهُ عَلَى الزَّمَانِ حَرَامُ

أيْ: وإذَا نَزَلَ سَاعةً بِمَكانٍ صارَ ذلكَ المَكَانُ في ذِمَّتِه، فلا تَنْزِلُ به الحَوادِثُ، ولا يُصِيبُهُ الزَّمَانُ بِأَذًى من جَدْبٍ وقَحْطٍ.

وَالَّذِي تُنْبِتُ البِلادُ سُرُورٌ ... وَالَّذِي تُمْطِرُ السَّحَابُ مُدَامُ

أي: والَّذِي تُنْبِتُهُ بِلادُ ذلكَ المَكَانِ الَّذِي حَلَلْتَ بِهِ؛ سُرُورٌ، أيْ: يُقِيمُ السُّرُورُ والطَّرَبُ بذلكَ المَكَانِ [إذَا حَلَلْتَ بِهِ][٣٠].

كُلَّمَا قِيلَ قَدْ تَنَاهَى أَرَانَا ... كَرَمًا مَا اهْتَدَتْ إِلَيْهِ الكِرَامُ

أيْ: كُلَّما قالَ النّاسُ: قَدْ بَلَغَ النِّهَايَةَ في الكَرَمِ أَبْدَعَ كَرَمًا لم يَهْتَدِ إِلَيْهِ مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الكِرَامِ، كمَا قالَ البُحْتُرِيُّ[٣١]:

٢٥- في ط: «أي».

٢٦- ما بين حاصرتين ليس في صل.

٢٧- أبي تمام في ديوانه ٣ / ١٥٦ من قصيدة يمدح بها المأمون. والبيت في: حماسة الخالديين ٤٠، ٥١، والموازنة ٣ / ٣٠٤، والوساطة ٢٣٠، وسحر البلاغة ١٥٧، والتبيان ١ / ١٢١، ٣ / ٣٤٧، والدر الفريد ٩ / ١٥٠، ٢٧٤. وقد تقدّم برواية: "مُسْتَرْسِلِينَ إِلَى الحُتُوفِ.."، وهي رواية الديوان.

٢٨- في ط: «هي».

٢٩- وزاد في التبيان ٣ / ٣٤٧: «وهي العَظْم الذي يكون على اللَّهاة».

٣٠- ما بين حاصرتين ليس في صل.

٣١- في ديوانه ٦٧٢ من قصيدة يمدح بها عبد الله بن المعتزّ. والبيت في: التبيان ٣ / ٣٤٨.

طَلُوبٌ لِأَقْصَى غَايَةٍ بَعْدَ غَايَةٍ ... إِذَا قِيلَ يَوْمًا قَدْ تَنَاهَى تَزَيَّدَا

وَكِفَاحًا تَكِعُّ مِنْهُ الأَعَادِي ... وَارْتِيَاحًا يَحَارُ فِيهِ الأَنَامُ

أَيْ: وأَرَانَا قِتَالًا يَجْبُنُ عَنْهُ الأَعْداءُ، واهْتِزَازًا لِلْجُودِ يَتَحَيَّرُ به[٣٢] الخَلْقُ.

إِنَّمَا هَيْبَةُ المُؤَمَّلِ سَيْفُ الـ ... ـدَّوْلَةِ المَلْكِ فِي القُلُوبِ حُسَامُ

يَقُولُ: هَيْبَتُهُ في القُلُوبِ تَقُومُ مَقَامَ السَّيْفِ، فلا يَحْتاجُ إلى اسْتِعْمالِ السَّيْفِ؛ لِأَنَّهُ مَهِيبٌ يَهابُهُ[٣٣] الأَعْداءُ، فلا يُقْدِمُونَ عليه فَيَحْتَاجُ إلى دَفْعِهم عَنْ نَفْسِه بالسَّيْف.

فَكَثِيرٌ مِنَ الشُّجَاعِ التَّوَقِّي ... وَكَثِيرٌ مِنَ البَلِيغِ السَّلَامُ

أَيْ: إنْ تَوَقَّاهُ الشُّجَاعُ وحَفِظَ نَفْسَهُ مِنْهُ فذلكَ مِنْهُ كَثِيرٌ، والبَلِيغُ إنْ أَمْكَنَهُ أَنْ يُسَلِّمَ عليه فَذلكَ غَايَةُ بَلاغَتِه.

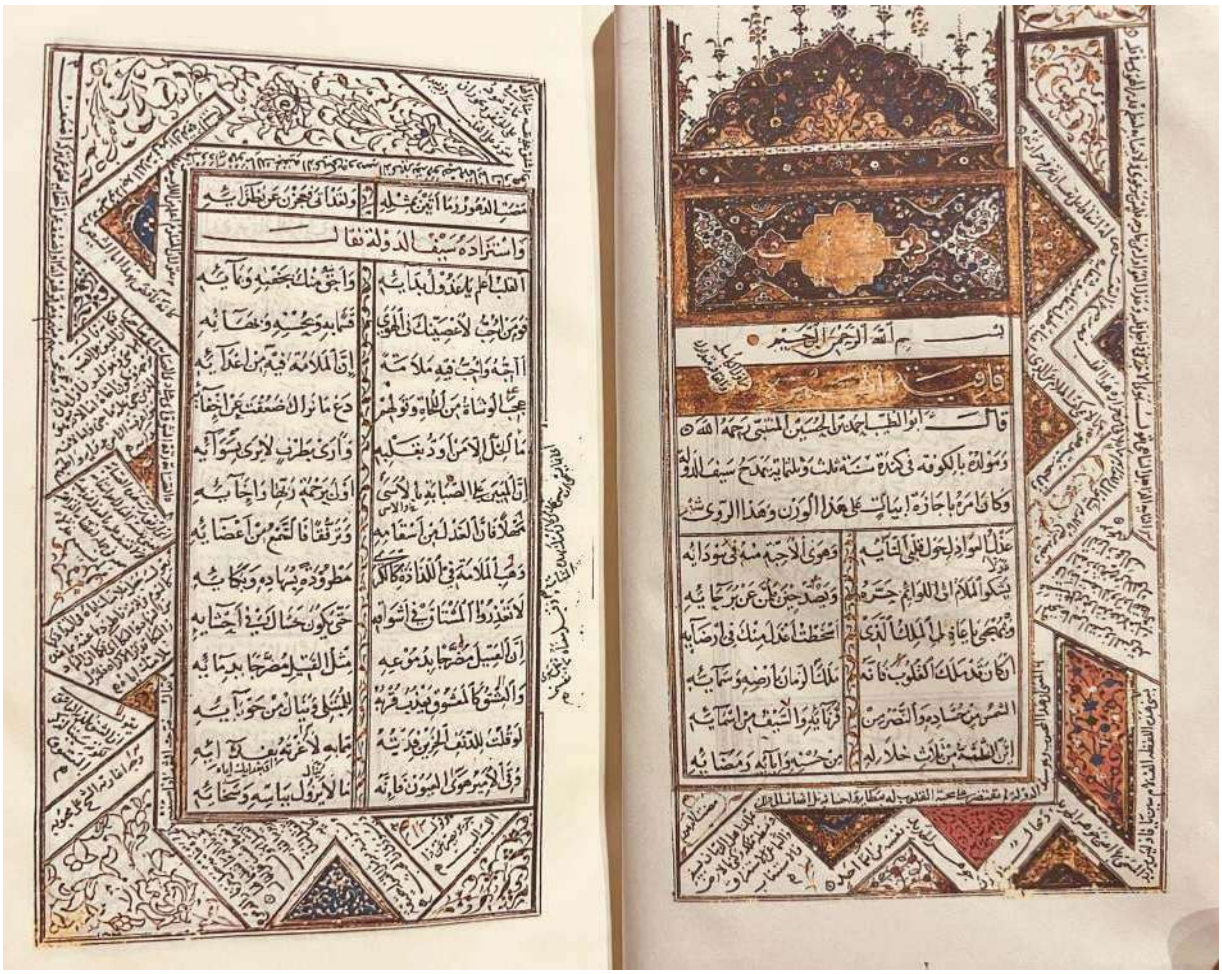

٣٢- في ط: «فيه».

٣٣- في ط: «تهابه».

فهرس المصادر والمراجع

١- **أسرار البلاغة** لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ط١، ١٩٩١م.

٢- **الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين** للخالديين، تحقيق د. محمد علي دقة، وزارة الثقافة، سورية، ١٩٩٥م.

٣- **الإعجاز والإيجاز** للثعالبي، مكتبة القرآن، القاهرة.

٤- **الأعلام** للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م.

٥- **الأمالي** لأبي علي القالي، ومعه الذيل والنوادر والتنبيه، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.

٦- **البديع في نقد الشعر** لابن منقذ، تحقيق د. أحمد بدوي، وحامد عبد المجيد، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٠م.

٧- **البيان والتبيين** للجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

٨- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام** للذهبي، تحقيق د. بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣م.

٩- **تاريخ بغداد** للخطيب البغدادي، تحقيق د. بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

١٠- **تاريخ مدينة دمشق** لابن عساكر، تحقيق عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.

١١- **التبيان في شرح الديوان** المنسوب لأبي البقاء العكبري، تحقيق مصطفى السَّقّا وصاحبَيْه، دار المعرفة، بيروت.

١٢- **تتمّة اليتيمة لأبي منصور الثّعالبيِّ (ت ٤٢٩ هـ)**، تحقيق محمَّد عبد الله قاسم، دار القلم، دمشق، ط ١، ٢٠٢٤م.

١٣- **تحسين القبيح وتقبيح الحسن** للثعالبي، تحقيق نبيل حياوي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت.

١٤- **التذكرة الحمدونية** لابن حمدون البغدادي، تحقيق إحسان عبّاس وبكر عبّاس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

١٥- **التمثيل والمحاضرة** للثعالبي، تحقيق عبد الفتاح الحلو، الدار العربية للكتاب، ط٢، ١٩٨١م.

١٦- **جمهرة أشعار العرب** للقرشي، تحقيق علي البجاوي، دار نهضة مصر.

١٧- **الحماسة** لأبي تمام برواية الصولي، تحقيق د. عبد الله عبد الرحيم عسيلان، المجمع الثقافي، أبوظبي، ط١، ٢٠١٤م.

١٨- **حماسة الخالديين**= الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين.

١٩- **الحيوان** للجاحظ، تحقيق عبد السَّلام محمد هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٠- **خاص الخاص** للثعالبي، تحقيق حسن الأمين، دار مكتبة الحياة، بيروت.

٢١- **الدر الفريد وبيت القصيد** لابن أيدمر المستعصمي، تحقيق د.كامل الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٥م.

٢٢- **ديوان البحتري**، تحقيق حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة.

٢٣- **ديوان تأبّط شرًّا**، تحقيق علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، ط٢، ١٩٩٩م.

٢٤- **ديوان أبي تمام** بشرح التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف، القاهرة.

٢٥- **ديوان طَرَفة بن العبد**، تحقيق درّيّة الخطيب، ولطفي الصّقّال، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق.

٢٦- **ديوان أبي الطَّيِّب المُتَنَبِّي**، تحقيق د. عبد الوهاب عزّام، لجنة التأليف والترجمة والنشر.

٢٧- **ديوان أبي الطَّيِّب المُتَنَبِّي بشرح الواحدي**، تصحيح فريدرك ديتريصي، نشرة برلين، ١٨٦١م. ونشرة أخرى تحقيق د. ياسين الأيوبي، ود. قصي الحسين، دار الرائد العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

٢٨- **ديوان كلثوم بن عمرو العتابي**، تحقيق هلال ناجي، دار البشائر، دمشق، ٢٠١٠م.

٢٩- **ديوان المعاني** لأبي هلال العسكري، دار الجيل، بيروت.

٣٠- **زهر الآداب وثمر الألباب**، للحُصري القيرواني، دار الجيل، بيروت.

٣١- **سحر البلاغة وسر البراعة** للثعالبي، تحقيق: عبد السلام الحوفي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٢- **سير أعلام النبلاء** للذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.
٣٣- **شرح ديوان أبي الطَّيِّب المُتَنَبِّي (معجز أحمد)** لأبي العلاء المعري، تحقيق د. عبد المجيد دياب، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦م.
٣٤- **شرح ديوان الحماسة** للتبريزي، دار القلم، بيروت.
٣٥- **شرح ديوان الحماسة** للمرزوقي، تحقيق غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.
٣٦- **شرح القصائد السَّبع الطوال الجاهليّات** لأبي بكر بن الأنباري، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣م.
٣٧- **شرح القصائد العشر** للتبريزي، إدارة الطباعة المنيرية، ١٣٥٢ه.
٣٨- **شرح كتاب الحماسة** لزيد بن علي الفارسي، تحقيق د. محمد عثمان علي، دار الأوزاعي، بيروت.
٣٩- **شرح المعلقات السبع** للزَّوْزَني، أبي عبد الله، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
٤٠- **شعراء عباسيون**، د. يونس السامرائي، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٩٠م.
٤١- **الصُّبح المُنبي عن حيثيّة المتنبِّي** ليوسف البديعي، المطبعة العامرة، ط١، ١٣٠٨هـ.
٤٢- **العقد الفريد** لابن عبد ربه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.
٤٣- **عيون الأخبار** لابن قتيبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨ه.
٤٤- **غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة** للوطواط تحقيق د. محمد عبد الله قاسم، دار القلم، دمشق، ط١، ٢٠١٨م.
٤٥- **الفتح على أبي الفتح** لابن فورَّجة، تحقيق عبد الكريم الدجيلي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط٢، ١٩٨٧م.
٤٦- **الفسر** لابن جنِّي، تحقيق د. رضا رجب، دار الينابيع، دمشق، ط١، ٢٠٠٤م.
٤٧- **اللَّامع العزيزي شرح ديوان المتنبِّي** لأبي العلاء المعرِّي، تحقيق محمد سعيد المولوي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميَّة، الرِّياض، ط١، ٢٠٠٨-٢٠١٢م.
٤٨- **لباب الآداب** للثعالبي، تحقيق: أحمد حسن لبج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
٤٩- **لسان الميزان لابن حَجَر العسقلاني**، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
٥٠- **اللطائف والظرائف** للثعالبي، دار المناهل، بيروت.
٥١- **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء** للراغب الأصفهاني، دار الأرقم، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.
٥٢- **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص** للعباسي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت.
٥٣- **معجز أحمد**= شرح ديوان أبي الطَّيِّب المُتَنَبِّي.
٥٤- **معجم الأدباء** لياقوت الحموي، تحقيق د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
٥٥- **الموازنة بي شعر أبي تمام والبحتري** للآمدي، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط٥، ٢٠٠٦م.
٥٦- **المُوضِح في شرح شعر أبي الطَّيِّب المُتَنَبِّي** للخطيب التِّبريزي، تحقيق د. خلف رشيد نعمان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠٠م.
٥٧- **نزهة الألِبَّاء في طبقات الأدباء** لابن الأنباري، تحقيق د. إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، ط٣، ١٩٨٥م.
٥٨- **نقد الشعر** لقدامة بن جعفر، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، ط١، ١٣٠٢ه.
٥٩- **نهاية الأرب في فنون الأدب** لشهاب الدين النويري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ.
٦٠- **الوافي بالوَفَيات** للصفدي، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٧٣م.
٦١- **الوَساطة بين المُتَنَبِّي وخصومه** للقاضي الجرجاني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر.
٦٢- **وَفَيَات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** لابن خلكان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، مصوَّرة عن دار الثقافة، بيروت، ط١، ١٩٦٨م.

المُتَبَقِّي
مِنْ شِعْر ابنِ أَبي اللُّطْفِ القُدْسيّ
(ت ١١٠٤هـ)

د. محمّد محمود الدغيم*

العلّامةُ عبدُ الرَّحيم بنُ أَبي اللُّطْفِ الحَنَفيُّ القُدْسِيُّ، مُفْتِي الحَنَفِيّة بالقُدْسِ ورئيسُ علمائها، وأَحَدُ شُعراءِ المديح النّبَويّ المغمورين أواخر القرن الحادي عشر. وهذا البحث تحقيق لبعض أشعاره المخطوطة التي تظهر إلى النّور أَوّل مرّة، فيما أعلم، وهما قصيدتان كبيرتان: الأولى: تخميس لأبيات أبي القاسم السُّهَيْليّ (ت ٥٨١هـ)، و الثانية: قصيدة تتكوّن من (٩٥) بيتًا، بدأها بالشّكْوى من غَدْرِ الزّمان، وتخلّص إلى مديح النبيّ العدنان، عليه الصَّلاةُ والسّلام. كما جمع ما تناثر من شعره الموقوف عليه في مطاوي المصادر والمراجع.

* دكتوراه في اللُّغة العربيّة، باحث في تحقيق النُّصوص وشؤون التُّراث العربيّ.

أوّلاً: التعريف بالشاعر ابنِ أَبي اللُّطْف:

أ. اسمه ونسبه:

اتفقت المصادر التي ترجمته على أنَّه «عبدُ الرّحيم بنُ أَبي اللُّطْف بنِ إسحقَ بنِ محمَّدِ بنِ أَبي اللُّطْف الحَنَفِيّ القُدْسيّ»، مُفْتي الحَنَفيّة بالقُدْس ورئيس علمائها العلامة العالم الفاضل الشهير، نزيل القسطنطينية.

ب. مولده: ولد بمدينة القُدْس عام ١٠٣٧ه، الموافق ١٦٢٨ م[١].

ج. وفاتـه: ثُـمَّ ضَرَبَ الدَّهْرُ ضَرَبَانَـهُ، ودَارَتِ الأَدْوَارُ، وتَصَرَّمَـتِ الأَعْوَامُ، وكُتب لابن أبـي اللطف سَعَادَةُ الْمُحْتَضَر، وأَفْضَى به الأَمْرُ إلى الأجل المُنتظر، فلقي رَبَّهُ غريباً بأدرنة سنة ١١٠٤ه – ١٦٩٢ م (٢)

د. صفاته وأخلاقه:

أثنى عليه كُلُّ مَنْ ترجمه[٣]، ونَعَتُوه بجميل الصِّفات، فقد « كان هاشميَّ الطَبْع، حَسَنَ الأَخْلاق، مَرْضيّ الهمّة، عالمًـا، مُفسّـرًا، فقيهًـا نحويًّا، مُلازمَ الإفـادة والتدريس، إمامًا مقتديًـا ومُسْتوفيًا العلومَ العقليّـةَ والنَّقليّةَ. ونشأ بالجِـدّ والاجتهـاد، وأَخْذ العلوم على مَـنْ وَرَدَ منَ الأفاضل إلى القُدْس، وبالجملة فقد كان مفنًّا في جميع العلوم حتى في الشِّعْـر، وكان عنـده توسُّـلٌ واستغاثةٌ بالنّبيِّ، صلّى اللهُ عليـه وسلّمَ[٤]. وهَذه أَخْلاقُ عَـالِم نحْرِيْر تَمَرَّسَ في مُعْظَم الفُنُون، وتَلْمَذَ لجِلَّة الرِّجَال، وجالَسَ سَرَاةَ الْقَوْم وأَعْيَانهم، وتَقَلَّبَ في الْبِلَاد وَلَيْسَ لَهُ غَيْرَ الْأَدَب أَرَبٌ، وَلا غَيْرَ الْعِلْمَ طلبٌ.

ثانيًا: أَسْفَارُ ابن أبي اللُّطْف وتقلُّبه في البلاد:

لَيْسَ يَسْتَغْنـي أَحَـدٌ عَن التَّعَلُّـم وَالتَّعْليم؛ لأَنَّ الْحَاجَـةَ تُضْطَرُّهُ إِلَيْهَـا في جَميع الدِّيَانَـات والصِّنَاعَات والآدَاب والأَنْسَاب وَالْمَكَاسب وَالْمَذَاهب؛ لذا طَوَّفَ ابنَ أبي اللُّطف في الْبِلَاد، وَأَمَّ كُبْرَى الْمُدُن في بلاد الشام ومِصْرَ والحِجَاز، فخرج من القُدس إلى مصر، وقرأ على علمائها.

ثُـمَّ ذهـب إلى الدّيـار الرُّوميّـة (إسطنبول)، وأقام بها مُـدّة مديدة، وأَكَـبَّ الأَفاضلُ بها عليـه، فدرَّسَ في جامع السُّلَيْمانيّة كثيرًا من العلوم، مُدَقّقًا منطوقَها والمَفْهومَ.

وفي رجب سنة تسع وستين عُزِلَ منَ الفتوى والمدرسة من شيخ الإسلام (المولى محمد الأسيري)[٥] لأمرٍ صَدَرَ منـه، فتبقـى في بلدته صِفْرَ اليَـد مُكَدّرَ الحَال، ثُمّ أُعيد إلى الإفتاء مع المدرسـة في رجب سنة اثنين وسبعين، من شيخ الإسلام (المولى السيد محمد الأمين المعروف بصنعي زاده (ت ١٠٧٤هـ)[٦].

ثـمّ رحـل ابنُ أبي اللُّطْـف إلى مكة فحَجَّ، وقرأ فيها على الإمام زين العابدين بـن عبد القادر الطبري، ثمّ ارتحل إلى المدينـة المنورة، ولقي خُلاصَةَ الواصلينَ الشّيخَ أحمدَ القَشّاشـيّ وهو يُقرِئ رِسالَةَ القُشَيريّ(ت ٤٦٥)[٧] فأَخَذَ

١– هدْية العارفين١ / ٥٠٦، والأعلام للزركلي ٣ / ٣٤٣، ومعجم شعراء المديح النبويّ ٢٢٤.

٢– هدْية العارفين١ / ٥٠٦، وسلك الدرر ٣ / ٢ – ٥، وتاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار للجبرتي ١ /١١٦. الأعلام للزركلي٣ / ٣٤٣.

٣– ينظر: سلك الدرر ٣ / ٢– ٣، وهدْية العارفين ١ / ٥٠٦ ، وتاريخ عجائب الآثار للجبرتي: ١ / ١١٦.

٤– الموسوعة الميسرة في التراجم: ٢ / ١٢١٤.

٥– لم أقف على ترجمته.

٦– خلاصة الأثر للمحبِّي ٣ / ٤٦١.

٧– هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن النيسابوري، الشافعيّ، الصوفي، صاحب الرسالة القشيريّة. سير أعلام النبلاء ١٨ / ٢٢٧.

عنـه، وسَلَـكَ طَريقَ التصوّف، ثـم رجع إلى بلاده، بأَمْرٍ مـنْ شَيْخه المَذْكُـور، ظَافرًا بمزيد الفَضيلَـة حَائزًا للْعُلوم الجَليلَـة. واشتهـر مُفْتيًا للحَنفيّـة بالقُدس، ومُدَرّسًا للْمدْرسَـة العُثمانيّة زُهَاءَ ثَلاثينَ سَنةً، فانْتَفَـعَ بِهِ العِبَادُ، وأَلَّفَ وحَقّقَ وأَفَادَ[٨].

ومِنْ مشايخه الذين أَخَذَ عنهم، وقرأ عليهم [٩]:

– الشّيْخُ يَس بن زين الدّين الْعُلَيْميُّ الْحمْصيُّ المصْريّ (ت ١٠٦١هـ)[١٠].

– الشّيْخ أَحْمد بن أَحْمد الْخَطيب الشّوْبَريّ الْمصْريّ الْفَقيه الْحَنَفيّ (ت ١٠٦٦هـ)[١١].

– العلامة الشيخ حسن بن عمّار بن علي، أبو الإخلاص المصْريّ الشُّرُنْبُلاليّ (١٠٦٩هـ)[١٢].

– الشيخُ الصّفيُّ أَحمدُ بنُ محمّد بن عبْد النبيّ بن يُونس القَشّاشيُّ الدِّجانيُّ (ت ١٠٧٠هـ)[١٣].

علي بن علي أبو الضِّياء نور الدّين الشّبراملسي الشافعي القاهري(ت١٠٨٧)[١٤].

– الشّيخُ سُلْطَان بن أَحْمد بن سَلامَة بن إسْمَاعيل أَبُو العزائم المزاحي الْمصْريّ الشّافعي(ت ١٠٧٥هـ)[١٥].

– الشّيْخ أَحْمد بن مُحَمّد بن عمر قَاضي الْقُضَاة الْمُلقّب بشهاب الدّين الخفاجي الْمصْريّ الْحَنَفيّ(ت ١٠٦٩هـ)[١٦].

والشيخ إبراهيم الميموني والشيخ أبو السعود الشعراني والشيخ يوسف الخليلي والشيخ عبد الكريم الحموي والسيد محمد بن علي الدمشقي والشيخ محمد البلباني الدمشقي والشيخ الأستاذ زين العابدين الصديقي المصري.

تلاميذه:

كان ابن أبي اللطف عالمًا وشاعرًا واسعَ الاطّلاع، اشتغل بالتدريس فتخرَّجَ به طائفةٌ كثيرة مِنْ أَعْيَان الأتْراك والمصريّين والشاميّين والفلسطينيّين[١٧] ، نذكر منهم:

– العلامة المولى أَحْمد بن حسن بن الشّيْخ سِنَان الدّين البياضي الرُّومي الْحَنَفيّ(ت ١٠٩٨هـ)[١٨].

– المولى خليل بن حسن التيراويّ، المعروف بقَرَه خَليل علامة الروم(ت ١١٢٣هـ)[١٩].

– إبراهيـم حسيـب بـن السيـد عبد الباقي بـن عبد الرحيم بـن حسام الديـن العشاقـي القسطنطيني الرومي الحنفي(ت ١١٣٦هـ)[٢٠].

٨– معجم شعراء المديح النبويّ ٢٢٤.

٩– تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار للجبرتي: ١ / ١١٦، وسلك الدرر ٣ / ٢–٣، ومعجم أعلام شعراء المدح النبوي ٢٢٤– ٢٢٥.

١٠– تاريخ عجائب الآثار للجبرتي ١ / ١٢١.

١١– ترجمته في: خلاصة الأثر:١ / ١٧٤، والخطط التوفيقية الجديدة، علي باشا مبارك ١٢ / ٣٧٩.

١٢– ترجمته في خلاصة الأثر:

١٣– ترجمته في: تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب، عبد الرحمن الأنصاري ٣٩١. والتاج (دجن).

١٤–ترجمته في: الخطط التوفيقية الجديدة، علي باشا مبارك ١٢ / ٣٢٧.

١٥– ترجمته في: خلاصة الأثر: ٢ / ٢١٠.

١٦– خلاصة الأثر: ١ / ٣٣١، وهدية العارفين ١ / ١٦٠.

١٧– معجم أعلام شعراء المدح النبوي،: محمد درنيقة ٢٢٤.

١٨– خلاصة الأثر ١ / ١٨١.

١٩– الأعلام للزركلي ٢ / ٣١٦.

٢٠– هدية العارفين ١ / ٣٨.

– صالح بن إبراهيم بن سُليمان بن محمّد بن عبد العزيز الجِينينيّ، الحَنفيّ، الدِّمشقيّ(ت١١٧١هـ)[٢١].

وسرد صاحبُ سلك الدُّرر عددًا ممّن تَلْمَذَ للشّيخ ابن أبي اللُّطْف، ومنهم: «مِنْ فضلاء مصر الشيخ أحمد الدّقَدُوسيُّ مفتي الحنفية، والشيخ شاهين الدّمشقيّ الأصل القاهريّ السّكن، ومن أهالي دمشق الشيخ إسماعيل اليازجي، ومن أهالي بلدته الشيخ أحمد العَلَميّ، ومن أهل الرَّملة الشيخ نجم الدّين بن خير الدّين الرَّمليّ»[٢٢].

ثالثًا: آثاره العلْميّة:

برع ابنُ أبي اللُّطْف في العلوم العقلية والنقلية، ولا سيّما في الفقه والتفسير. ومن آثاره العلميّة التي ذكرها صاحب سلك الدرر[٢٣]:

– كتاب الفتاوى الرّحيميّة في واقعات السَّادة الحنفيَّة[٢٤]، وهو في الفقْه الحَنَفيّ.

– وله كتابة على منح الغفار نحواً من عشرة كراريس. وكتابة على كتاب رَمْز الحقائق في شرح كَنْز الدّقائق لِبَدْر الدِّين العَيْنيّ الحَنَفيّ(ت ٨٥٥هـ).

– وله كتابة على كتاب: الفتاوى البَزّازيّة لمحمّد بن شهاب البَزّاز الكردريّ(ت ٨٢٧هـ)[٢٥].

– الفَتَاوَى الخَيريّة لنَفْع البَريَّة لخير الدّين الرَّمْليّ (ت١٠٨١ هـ). وله بعض من كتب الفقه جمعَها ولَدُه الفاضل السيِّد محمَّدٌ[٢٦]، وسمّاها: الفوائد الرَّحيميّة على كُتُب كثيرة مِنْ كُتُب السَّادَة الحَنَفيَّة[٢٧].

– و(له رسالة في الاشتقاق وشرحها)[٢٨] وكتابات على حفيد المختصر، وعلى حاشية عصام الدّين أبي الخير القاضي الرُّوميّ(٩٦٨هـ).

– وله نَظْمٌ رَقيقٌ جَمَعَهُ ابنُه محمّدٌ في ديوان شِعْر.

شعره: ذكر مَن ترجَمَ لأبي اللطف أنَّ له ديوانَ شِعْر رقيق، إلاّ أنّه لَمْ يصلْ إلينا بتَمامه، والمَوقُوفُ عليه منه قصيدتان، ونُتَفٌ مِنْ قصيدَتَيْن في التّوَسُّل بالنَّبيّ الكريم، صلّى اللهُ عليه وسَلَّمَ ومديحه، ذكرَ منهما صاحبُ (سلك الدرر)[٢٩] أربعةً وأربعين بيتًا، من القصيدة الأولى سبعة وعشرون بيتًا على البحر الطويل، مطلعها:

أَبَـرْقٌ بَـدَا مِـنْ نَحْوِ طَيبَةَ لَامِعُ فَفَاضَتْ عَلَـى تِلْكَ العُهُودِ مَدَامِعُ

ومن الثانية سبعة عشر بيتًا من البحر الكامل، مطلعها:

– مِـنْ مِنَّـةِ المَوْلَى عَلَيّ أَصُوْغُ نَظْمًا وفِي خَيْـرِ البَرِيَّـةِ يَفْـرُغُ

وهذا ما سَنَبْسُطُ الحَديثَ عَنْه في مَوْضعه مِنْ هذا البَحْث.

٢١– سلك الدرر ٢ / ٢٠٨، والأعلام للزركلي ٣ / ١٨٨.

٢٢– سلك الدرر للمرادي ٣ / ٣.

٢٣– سلك الدرر ٣ / ٥.

٢٤– حققه مجموعة من الباحثين كرسالة لنيل درجة الدكتوراه في جامعة العلوم الإسلامية العالمية.

٢٥– ترجمته في: شذرات الذهب ٧ / ١٨٣، والأعلام ٧ / ٢٧٤.

٢٦– ترجمته في سلك الدرر ٤ / ٥٨، والأعلام ٦ / ٢٠١.

٢٧– مصادر الدراسات الإسلامية، يوسف عبد الرحمن المرعشلي ٥ / ٤٠٤.

٢٨– هدية العارفين: ١ / ٥٠٦. وسلك الدرر:

٢٩– سلك الدّرر ٣ / ٦ – ٨.

فمَنْ شِعْرِه الموقوف عليه:

– قصيدة في المديح النَّبويّ الشريف، ومنها قوله:[٣٠] [الطويل]

أَبَـرْقٌ بَـدَا مِـنْ نَـحْـوِ طَـيبَـةَ لَامِـعُ ... فَفَاضَتْ عَلَى تِلْكَ العُهُودِ مَدَامِعُ

أَمِ الشَّوقُ لِلسُّكّانَ حَـرَّكَ كَامِنًا ... فَـأَحْـرَقَ قَلْبًا بِالـمَحَبَّةِ والِـعُ

أَمِ العِيْسُ حَنَّتْ لِلْحَجِيْجِ وشَوَّقَتْ ... الـعَـيْنُ أَبْـكَـاهَـا الحَـمَـامُ السَّـواجِـعُ

نَعَمْ رَاعَنِي ذِكْرُ الحَبِيْبِ صَبَابَةً ... فَكُلِّي لِأَشْـوَاقِ الحَـبِـيْـبِ مَجَـامِـعُ

أَبَـاتُ بِـذِكْـرَاهُ أُرَاقِـبُ بَـدْرَهُ ... يَـلُـوحُ بِـأَوْصَـافِ الثَّنَا وَهْـوَ طَالِعُ

فَـأَنْظِـمُ أَوْصَـافًـا تَحَـلَّى بِعِقْدِهَا ... وَأَضْـحَـى عَلَيْنَا مِـنْ سَنَاهَا لَـوَامِـعُ

ولَمّا تَبَاهَى الوَصْفُ جَيِّدًا تَزَاحَمَتْ ... عَـلَـى وَصْـفِـهَا لِـلْـوَاصِـفِـيْنَ مَطَـامِـعُ

تَـرُومُ مَـدَاهَـا السَّابِقَاتُ وتَنْثَنِي ... وَدُونْ الـمَـدَا بَـعْـدَ الـزَّمَـانِ مَـوَانِـعُ

أُجَـدِّدُ عُـمْـرِي فِي حَـيَـاةِ نِظَامِهَا ... فَـعُـمْـرٌ سَـعِـيدٌ يَـنْـقَـضِـي لِيَ رَاجِـعُ

فَأُنْسِي بِهَا يا عَـيْنُ قَـرِّي سَعَادَةً ... إِذَا لَمَّـنِـي أَمْـرٌ وفِـيْـهَـا الـمَـنَـافِـعُ

ويَـا نَفْسُ إِنْ غِبْتِ عَـنِّـي فَوَقْتُنَا ... لَقَدْ طَـابَ قَوْمِي والعُيُونُ الهَوَاجِعُ

وقُـوْلِي إِلَـيْـكَ السُّؤْلُ مَـوْلايَ إِنَّنِي ... إِلَيْكَ بِجَاهِ المُصْطَفَى العُمْرَ ضَارِعُ

إِلَـهِـي بِـجَـاهِ الأَبْـطَـحِـيّ مُحَـمَّـدٍ ... وعِـتْرَتِـهِ فَـرِّجْ وَعَـفْـوُكَ وَاسِـعُ

نَـبِـيٌّ لَـهُ الخُـلُـقُ العَظِيمُ سَجِيَّةٌ ... فِي وَجْـهِـهِ نُـوْرُ الـنُّـبُـوّةِ سَـاطِـعُ

تَـبَـارَكَ مَـنْ أَبْـدَى نَـبِـيًـا وآدَمُ ... بِطِيْنَتِهِ الـمَـجْـدُولِ فِـيْـهِ الـوَدَائِـعُ

وأَظْـهَـرَهُ مِـنْـهَـا نَـتِـيْـجَـةَ جَدْلِهَا ... رَسُـولاً لِـدَعْـوَاهُ الأَنَـامُ تُـسَـارِعُ

أَتَـيْـتَ رَسُـولَ اللهِ شَمْسَ هِـدَايَـةٍ ... لَـهَـا فِي قُـلُـوبِ الـمُـؤْمِـنِـيْنَ مَطَـالِـعُ

وَأَعْـرَبْـتَ عَنْ عِلْمِ الغُيُوبِ بِأَمْـرِهِ ... فَـأَنْـتَ خِـيَـارُ الخَـلْـقِ لِـلسِّـرِ جَـامِـعُ

جَـلِـيْـلٌ إِمَـامُ المُرْسَلِينَ وخَـاتَـمٌ ... وهَـلْ أَنْـتَ إِلّا فِي زُهَـا الـعِـزِّ يَـانِـعُ

و مِنْها[٣١] :

فَـيَـا خَـيْـرَ خَـلْـقِ اللهِ أَنْـتَ مَـلاذُنَـا ... إِذَا ضَاقَ أَمْـرٌ أَوْ رَمَتْنَا المَوَاجِعُ

فَجَاهُكَ أَضْحَى لِلْعُصَاةِ وِقَايَةً ... لَـهَـا فِي قَـبُـولِ الـمُـذْنِـبِـيْنَ مَـوَاقِـعُ

إِلَى فَضْلِكَ المَأْثُورِ سِرْنَا رَكَائِبًا ... ومِـنْ ضَـرّةِ الحَـوْبَـاءِ ثَـمّ لَـوَاقِـعُ

٣٠– سلك الدرر : ٣ / ٦– ٧.

٣١– سلك الدرر ٣ / ٧.

رَعَى اللهُ ذَاكَ الفَضْلَ إنّ عُيُونَهُ ... بِنَيْلِ الهُدَى لِلشَّارِبِينَ قَنَائِعُ
أَيَا رَبِّ قَبْلَ المَوْتِ والعَوْدُ أَحْمَدُ ... بِسِرِّكَ فِي أَهْلِ السَّعَادَةِ ذَائِعُ
أَنِلْنَا إِلَهِي بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ... نَبِيِّكَ مَنْ فِيْنَا بِأَمْرِكَ صَادِعُ
وصَلِّ وسَلِّمْ دَائِمَيْنِ كِلاهُمَا ... وتُبْ واعْفُ عَنِّي إنّنِي لَكَ طَائِعُ
فَبَابُكَ مَقْصُودٌ وعَبْدُكَ وَاقِفٌ ... وفَضْلُكَ مَوْجُودٌ وعَفْوُكَ رَائِعُ

وله أيضاً[٣٢]: [الكامل]

مِنْ مِنَّةِ المَوْلَى عَلَيّ أَصُوْغُ ... نَظْمًا وفِي خَيْرِ البَرِيَّةِ يَفْرُغُ
هُوَ السُّول والمأمول في نيل المنى [٣٣] ... وإِلَى الجِنَانِ بِهِ نَفُوزُ ونَبْلُغُ
عَذْبُ المَدِيْحِ ثَنَاؤُهُ يُحْيِي الحَشَا ... كَالْغَيْثِ يُحْيِي الأَرْضَ بَلْ هُوَ أَسْبَغُ
إِنْ ضَاقَ ذَرْعُكَ فالوَسِيْلَةُ جَاهُهُ ... والخَيْرُ مِنْ تِلْكَ السَّعَادَةِ يَبْزُغُ
كَشَفَ التَّيَقُّظُ عَنْ قُلُوبٍ أَصْبَحَتْ ... مِنْ حُبِّهِ بِهَنَا النَّعِيمِ تُصَيِّغُ
هَذَا النَّبِيُّ الهَاشِمِيُّ مُحَمَّدٌ ... يَوْمَ اللِّقَا سُبُلَ النَّجَاةِ يُبَلِّغُ
بِمَقَامِهِ المَحْمُودِ خُصّ مُشَفَّعًا ... جَمْعَ الخَلائِقِ بالشَّفَاعَةِ يَسْبُغُ
قَامَتْ لَهُ الأَمْلاكُ تَحْتَ لِوَائِهِ ... والرُّسْلُ صَفْوًا لَيْسَ عَنْهُ مُرَوَّغُ
كُلٌّ يُشِيرُ إِلَيْهِ لَيْسَ لِغَيْرِهِ ... فِي فَتْحِ بَابِ الفَضْلِ ما يُتَسَوَّغُ
مَا نَالَ هَذَا قَبْلَهُ أَحَدٌ ولَا ... مِنْ بَعْدِهِ أَضْحَى لِذَاكَ مُسَوِّغُ
فَتَبَاهَتِ الأَزْمَانُ والعَلْيَا بِهِ ... والعَيْشُ مُذْ جَاءَ الكَرِيمُ يُرَغْرَغُ
كَمْ جَاءَ بُشْرَى الأَنْبِيَاءِ لِقَوْمِهِمْ ... بِالخَاتَمِ المُخْتَارِ أَنْ قَدْ يَبْزُغُ
ومَحَا الظَّلامَ ظُهُورُهُ وبِفَجْرِهِ ... يَعْلُو الهُدَى فَوْقَ الضَّلالِ ويَدْمَغُ
يَا لَيْلَةً غَرَّاءَ أَسْفَرَ صُبْحُهَا ... والضَّوْءُ مِنْ شَمْسِ الهِدَايَةِ يَنْبُغُ
فِيْهَا ابْتِهَاجٌ والسُّرُورُ مُكَرَّرًا ... لِلدِّينِ حَقًّا إِذْ أَتَاهُ مُبَلِّغُ
يَا سَيِّدَ الرُّسْلِ الكِرَامِ ومَنْ بِهِ ... غَوْثُ الوَرَى أَنْتَ الكَرِيمُ المُسْبِغُ
أَنْتَ الشَّفِيْعُ بِبَابِ جَاهِكَ صَبَّحَتْ ... مِنَّا القُلُوبُ بِثِقْلِهَا تَتَمَرَّغُ
واسْتَوْثَقَتْ بِالحُبِّ مِنْ زَمَنِ الصِّبَا ... واسْتَوْثَقَتْ بِالحُبِّ مِنْ زَمَنِ الصِّبَا

٣٢- سلك الدرر ٣ / ٧- ٨.

٣٣- هذا الصدر على الطويل والقصيدة على الكامل.

رابعًا: وصف مخطوطة الكتاب (الأصل):

لم ينْتَهِ إِلَيْنا مِنْ ديوان عبد الرحيم بن أبي اللُّطْف، فيما أعلم، إلا نُسْخةٌ يتيمة تَحْتفظُ بها مكتبةُ غازي باشا بك في إسطنبول، في المجموع ذي الرقم 6IF، وهو الأوراق من ١٠٠ – ١٠٧ منه، فهو ١٥ ورقة. وعدد أسطر الصفحة منها ١٥ سطراً، وعدد كلمات كل سطر منها متفاوت حسب القصيدة.

ولم يختم الديوان بما يدل على نهايته، كما لم يبدأ بمقدمة، الأمر الذي يرجّح أنْ يكون الديوان مبتورًا من بدايته ونهايته، وكُتِبَتْ بخَطٍّ متباين أشبه ما يكون بالخطّ الفارسيّ المُعتاد، كُتبت أبياتُ القصيدة بخَطٍّ متوسط الحجم واضح، في معظمها، مضبوط في معظمه.

وبدأت الصفحة الأولى بتخميس أبيات أبي القاسم السُّهَيْليّ، ثم ذكر اسم كاتبه أبي اللُّطْف، نحو: " تخميس أبيات السُّهَيلي، رحمه الله تعالى، لكاتبه الفقير أبي اللُّطْف، لَطَفَ اللهُ، تعالى، بهما حيث وقع ببلاد الرُّوم لإتمام ما يروم.

قُلْتُ بعْدَ البَسْمَلَهْ والحَمْدَلَهْ.. وخُتِمَتْ بالبيت:

ما غَرّدَ القَمْريُّ في غُصْنٍ وما لاقى بِعَوْدَتِه الغَريبُ أَمَانَا.

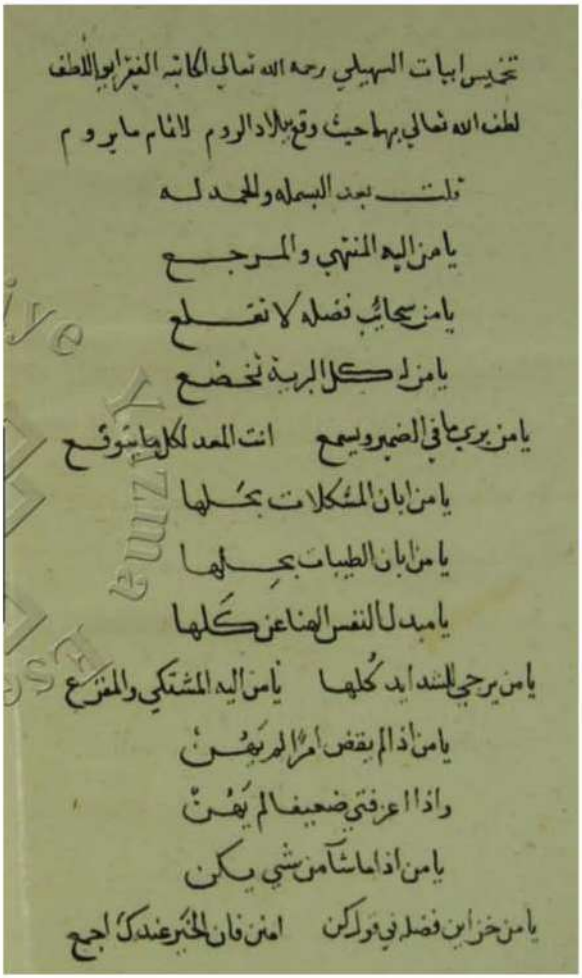

تخميس ابيات السهيلي رحمه الله تعالى الكاتبه الفقير ابو اللطف
لطف الله تعالى بهما حيث وقع ببلاد الروم لاتمام ما يروم
قلت بعد البسمله والحمدله
يا من اليه المنتهى والمرجع
يا من سحائب فضله لا تقلع
يا من له كل البرية تخضع
يا من يرى ما في الضمير ويسمع انت المعد لكل ما يتوقع
يا من ابان المشكلات بحلها
يا من ابان الطيبات بحلها
يا مبدل النفس الهنا عن كلها
يا من يرجى للشدايد كلها يا من اليه المشتكى والمفزع
يا من اذا لم يقض امرا لم يهن
واذا اعز فتى ضعيفا لم يهن
يا من اذا ما شاء من شيء يكن
يا من خزاين فضله في وكن امن فان الخير عندك اجمع

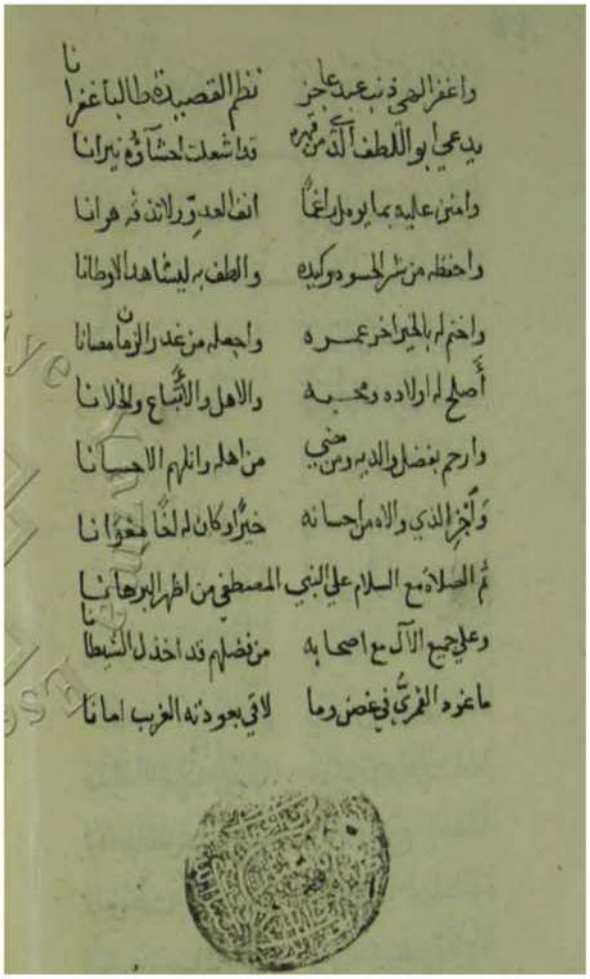

نظم القصيدة طالبا غفرانا
يدعى ابو اللطف الذي من فيضه قد اشعلت احشاؤه نيرانا
وامن عليه بما يؤمل راغبا انك العدو لذاته هوانا
واحفظه من شر الحسود وكيده واللطف به ليشاهد الاوطانا
واختم له بالخير اخر عمره واجعله من غدر الزمان مصانا
أصلح له اولاده ومحبه والاهل والاتباع والخلانا
وارحم بفضلك والديه ومن هني من اهله وانلهم الاحسانا
واجز الذي والاه من احسانه خيرا وكان له لذا معوانا
ثم الصلاة مع السلام على النبي المصطفى من اظهر البرهانا
وعلى جميع الآل مع اصحابه من فضلهم قد اخذ الشيطانا
ما غرد القمري في غصن وما لاقى بعودته الغريب امانا

الصفحتان (الأولى والأخيرة) من المخطوط.

خامسًا: النّصُّ المُحَقّقُ:

« تَخْميسُ أَبْيـاتِ([٣٤]) السُّهَيلـي([٣٥]) – رحمه الله تعالى – لِكاتبه الفَقيرِ أَبي اللُّطْـف، لَطَفَ اللهُ تعالى بهما، حيثُ وقَعَ بِبلادِ الرُّومِ لإتمام ما يَرُوم.

قُلْـتُ بعْـدَ البَسْمَلـه والحَمْدَلَـهْ
يـا مَـنْ إلَيْـه المُنْتَهَـى والمَرْجعُ
يـا مَـنْ سَحَائبُ فَضْلـه لا تُقْلَـعُ
يـا مَـنْ لَـهُ كُلُّ البَريَّـة تَخْضَـعُ
يا مِنْ يَرَى ما في الضَّمير ويَسْمَعُ أَنْـتَ المُعَـدُّ لكُـلِّ ما يُتَـوَقَّعُ[٣٦]
يـا مَـنْ أَبـانَ المُشْـكلَات بِحَلِّهـا
يـا مَـنْ أبـانَ الطَّيِّبـات بـحلّهـا
يـا مُبْـدلَ النَّفْس الْهَنَـا عَـنْ كَلّهَا
يـا مَنْ يُرَجَّـى للشَّـدائد كُلّهـا يا مَـنْ إلَيْه المُشْـتَكَى والمَفْـزَعُ
يـا مَـنْ إذَا لَـمْ يَقْض أَمْـرًا لم يَهُنْ
وإذَا أَعَـزّ فتـىً ضَعيفًـا لَمْ يَهُـنْ
يـا مَـنْ إذا ما شـاءَ مِنْ شَـيء يَكُنْ
يـا مَنْ خَزَائنُ فَضْله في قَوْل: كُنْ أُمَّنْ فـإنَّ الخَيـرَ عِنْـدَكَ أَجْمَعُ
يـا مَـنْ عَطَايَـاهُ العظَـام جَزيلَـة
وهـبَـاتُـهُ لـلطَّـالـبينَ جَـلـيْلَـة
فَقْـري كَثـيرٌ والحُظُـوظُ قَليْلَـة
مَا لي سِـوَى فَقْـري إلَيْكَ وَسـيْلَةٌ فَبـالافْتقَـار إلَيْـكَ فَقْـري أَدْفَـعُ
نَفْسـي لعظْـم ذُنُوبهـا مَغْلُولَـةٌ
واليَـدُّ عَـنْ نَيْـل المُنَـى مَغْلُولَـةٌ
فَارْحَـمْ فَمَـالي عَـنْ جَنَابِـكَ حَوْلَـةٌ

٣٤- الأبيـات مـن القصيـدة العَيْنيّـة للسُّهَيْلي، أوَّلُها: يا مَن يَرى ما في الضَّمير وَيَسْمَعُ ... أنـت المُعَدُّ لكلِّ ما يتوقَّعُ.

قال أبو الخطاب ابن دحية: أنشدني السُّهَيليُّ، وقال: إنه ما سأل الله تعالى بها حاجة إلا أعطاه إياها، وكذلك من استعمل إنشادها. والأبيات في: البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي ١٦ / ٥٧٥، وإرشاد السالك إلى أفعال المناسك: برهان الدين إبراهيم بن فرحون ١ / ٣٩٠، ومسالك الأبصار في ممالك الأمصار: لابن فضل الله العمري ٥ / ٧٢٣. ونفح الطيب للمقّري ٢ / ١٠٢.

٣٥- هـو أبـو القاسـم عبد الرحمن بـن الخطيب عبد الله السهيلـي الخثعمي المالقي المكنى بأبي زيـد، الإمام الفقيه الحافـظ الأديب المتفنن صاحب «الروض الأنف» في السيرة النبوية، له تصانيف ممتعة، توفي بمراكش سنة (٥٨١هـ). ترجمته في: «وفيات الأعيان» (٣ / ١١٩)، و«نفح الطيب» للمقري (٤ / ٣٧٢)، و«شذرات الذهب» لابن العماد (٤ / ٢٧١).

٣٦- وفيـات الأعيـان وأنبـاء أبناء الزمان، أبـو العبّاس أحمد بن محمد بن خلّـكان(ت ٦٨١هـ)، تح: يوسف الطويـل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط ٣ / ١١٩.

مَا لِي سِوَى قَرْعِـــي لِبَابِـكَ حِيْلَةٌ ولَئِـــنْ رُددتُّ فَـأَيّ بـابٍ أَقْـرَعُ
ومَـنْ الّـذي يَرْجُـو العَبيـدُ لِـهَمِّـه
ومَـنْ الّـذي يُعْطِـي بِعَـادِلِ قَسْمِه
ولَئِـنْ غَضِبْـتَ فَمَـنْ أَؤُمُّ لِحِلْمِـه
ومَنِ الّذي أَدْعُو وأَهْتِـفُ باسْـمِه إِنْ كَانَ فَضْلُكَ عَـنْ فَقِيـرِكَ يُمْنَعُ
يـا مُحْيِـيَ العَظْـمِ الرّمِيـمِ البَالِيَـا
الـوزْرُ أَثْقَلَنِـي وأَشْـغَلَ بَالِيا
فعسـى أَرَى عفـوًا لذنبـي تاليـا
حَاشَـا لِمَجْـدِكَ أَنْ يُقَنِّـطَ عَاصِيًا الفَضْـلُ أَجْـزَلُ والمَوَاهِبُ أَوْسَعُ
إِنّي اعـترفـتُ بـذلـة أَنْ طَالَمَا
مِـنْ زلّـة أَصْبَحْـتُ نفسـي طالِمَا
فَاغْفِـرْ وجُدْ فَنَـدَاكَ أَحْيَـا العَالَمَا
بالذُّلِ قَـدْ وافَيْـتُ بَـابَكَ عَالِمًا أَنّ التَّـذَلُّلَ عِنْـدَ بَابِـكَ يَنْفَـعُ
أَبْدَيتَ صَـبْرًا للبـلا و تجمُّـلا
ولَمّا قَضَيتُ مِـنَ المُصاب تحمُّلا
وغـدوتُ للإحسـانِ مِنْـكَ مُؤَمّـلاً
وجعلْـتُ مُعْتَمَـدي عليكَ توكّلاً وبسـطتُ كفّـي سـائلاً أَتضـرّعُ
مـولايَ مَـنْ يدعـوكَ قَـدْ بشَّرْتَـهُ
أَنْ تسْتجيـبَ وقصـدَه يَسَّرْتَـهُ
ولمَـا تُحـبُّ مِـنَ المَنَـامِ بَعَثْتَـهُ
فَبِحـقِّ مَـنْ أَحْبَبْتَـهُ وبَعَثْتَـهُ وأَجَبْتَ دَعْـوةَ مَـنْ بِهِ يتَشَـفّعُ
الْطُفْ بِنَـا فِي كُـلّ أَمْـرٍ أَزْعَـجَا
مولاي منْكَ إليكَ أَضْحَى المُلْتَجَى
يـا قـادرًا مِـنْ كُـلّ هَـمٍّ فَـرَجَـا
اجْعَـلْ لَنَـا مِنْ كُلِّ ضِيْقٍ مَخْرَجَا والْطُـفْ بِنَـا يا مَنْ إِلَيْهِ المَرْجِـعُ
واقْبَـلْ دُعـاءً قَـدْ أَتَـى مِـنْ وَالِـه
لَـمْ يَـأْتِ فِي نَظْـمٍ عَلَـى منْوَالِـه
واحْفَظْـهُ مِـنْ كَيْـدِ العَـدُوِّ وآلِـه
ثُـمّ الصّـلاةُ علـى النّبيّ وآلِـه خَيـرُ الخَلائِـقِ شَـافِعٌ ومُشَفّعُ
ثُمَّ الصَّـلاةُ عَلَى الصَّحَابَـةِ كُلّهِم
مَـنْ بَيَّنُـوا دِيـنَ الإِلَـهِ بِفَضْلِهِـمْ

ومَحَا ظلام الظلم نَيّرُ عَدْلِهِمْ
إِنْ أَرْعَدُوا يَوْمَ القِتَالِ بِحَمْلِهِمْ تُكْفَ الدِّمَاءَ بِبَرْقِ سَيْفٍ يَلْمَعُ
يا خَيْرَ خَلْقِ الله يامَنْ قَدْ غَدَا
شَفِيعَنَا فِي حَشْرِنَا حَقًّا غَدَا
قَدْ قَلَّ مَا عِنْدِي فَلا أَلْقَى غَدا
كُنْ لِي مُعِينًا إِنَّ صَبْرِي قَدْ غَدَا أَوْ صِلْ صِلاتٍ وَصْلُهَا لا يُقْطَعُ
إِنِّي مِنَ الآلِ الكِرام وعِتْرَةٍ
صَانُوا دَخِيلَ حِمَاهُمُ مِنْ عَثْرَةٍ
ولَقَدْ تَقَرَّحَ ناظِري مِنْ عَبْرَةٍ
فاضَتْ لِكَثْرَةِ مَا أَرَى مِنْ عِبْرَةٍ مِنْهَا فُؤَادِي كُلّ يَوْمٍ يُصْدَعُ
فارَقْتُ أَوْطَانِي وأَرْضًا قُدِّسَتْ
وعلى التُّقَى أركانها قد أُسِّستْ
قُبْحًا لِوَحْشَةِ غُرْبَةٍ مَا آنَسَتْ
ولِقِلَّةٍ نَارُ الغِنَى ما آنَسَتْ إِنَّ الخَصَاصَةَ فِي التَّغَرُّبِ تُوجِعُ
لاسيمَا والشَّيْبُ مِنِّي قَدْ بَدَا
مُذَكِّرًا والسُّقْمُ حَطَّ الجَسَدَا
وزَادَنِي هَمًّا مُقَاسَاتُ العِدَا
والدَّهْرُ إِنْ أَبْغِ القِيَامَ أَقْعَدَا إِنَّ الزَّمَانَ بِكَيْدِ مِثْلِي مُولَعُ
هَذَا وشَأْنِي فِي الوَرَى مَعْرُوفُهُ
يُنْكِرُهُ مَنْ عَمَّهُ مَعْرُوفُهُ
ومَنْ يَرَانِي دَأْبُهُ تَعْنِيفُهُ
فهَلْ زَمَانِي تَنْقَضِي صُرُوفُهُ والسَّعْدُ والإِقْبَالُ أَيضًا يَرْجِعُ
فَوَّضْتُ لِلرَّبِّ العَلِيِّ قِصَّتِي
واخْتَرْتُ حُسْنَ الصَّبْرِ عِنْدَ شِدَّتِي
ولَمْ أَجِدْ لِي مُنْجِدًا مِنْ مِحْنَتِي
سِوَى النَّبِيِّ الهَاشِمِيِّ بُغْيَتِي مَنْ فِي جَمِيعِ المُسْلِمِينَ يَشْفَعُ
يا صَاحِبَ الإِحْسَانِ والشَّفَاعَةِ
فِي سَائِرِ الأُمَّةِ يَوْمَ السَّاعَةِ
اشْفَعْ لِعَبْدٍ زَادَ فِي الضَّرَاعَةِ
فِي ذَنْبِهِ وفِي قَضَاءِ الحَاجَةِ عِنْدَ إِلَهِهِ فِي عَطَاهُ يَطْمَعُ
يا خَالِقِي وافَيْتُ بَابَكَ خَاضِعًا

عَبْدًا ذَلِيْلاً فِي نَوَالِكَ طَامِعَا
ورَجَوْتُ أَنْ يَغْدُو حَبِيْبُكَ شَافِعَا
فاجْعَلْ إِلهِي كُلّ قَصْدِي واقِعَا يا واحِدًا يُعْطِي العَبِيدَ ويَمْنَعُ
إِنْ تَعْفُ عَنْ ذَنْبِي فَعَفْوُكَ جَامِعُ
أَوْ تَقْضِ حَاجَاتِي ففَضْلُكَ واسِعُ
عَفْوًا أَرُومُ وما لِذَلِكَ مَانِعُ
إِذْ أَنْتَ للدّاعِي مُجِيبٌ سَامِعُ فاقْبَلْ بِحُرْمَةِ مَنْ بِهِ أَتَشَفَّعُ
والْمُذْنِبُ العَاصِي أَبو اللُّطْف العَنِي
المُبْتَلَى بالفَقْرِ ثُمَّ الحَزَنِ
مِنْ إِلهِ طَهَ المُصْطَفَى البَدْرِ السَّنِي
مُخَمّسُ الأَبيَاتِ مَعْ ذَيْلِ بُنِي قَدْ قَالَهُ والعَيْنُ مِنْهُ تَدْمَعُ
فاغْفِرْ لَهُ يا سَيِّدِي مَا أَذْنَبَا
ولِلَّذِي يَقْرَأُ مَا قَدْ كَتَبَا
ولِلَّذِي يُعِينُهُ مُحْتَسِبَا
ولِلَّذِي يُولِيْهِ مَا طَلَبَا
وأَنْقِذْهُ مِنْ شَرِّ بَلاءٍ يَقَعُ
ثُمّ الصَّلاةُ والسَّلامُ سَرْمَدَا
عَلَى النَّبِيِّ المُصْطَفَى كَنْزِ الهُدَى
مُحَمّدٍ مَنْ قَدْ أَتَانَا مُرْشِدَا
والآلِ والصَّحْبِ الكِرامِ السُّعَدَا مَا قَامَ طَيرٌ فَوْقَ غُصْنٍ يَسْجَعُ

تَمَّ التّخْمِيسُ المُبَارَكُ وحُرِّرَ في أَثنائه، أَيّام شَهرِ المَولد الشَّريف بالمدرسة السُّلَيْمانيّة ١٠٧١هـ.

وقال كاتبُهُ الفقيرُ أبو اللُّطْف بنُ أبي اللُّطْف القُدْسيّ الحُسَيْنِيّ، لَمّا رُشِقَ بسِهَام المحَن، وطُحِنَ بسِنَان الحَزَن، وفارَقَ الأَهْلَ والوطَنَ، وقَطَنَ بمدينة إسلامْبُول،[٣٧] مُترَقّبًا لحُصول المأْمُول، مُشْتَكِيًا منَ الزّمان حيثُ غَدَرَهُ وخَانَ، ومُتَخَلّصًا بمديح سَيِّد الأَنام، النَّبيِّ الهاشِميّ، عليه وعلى آله وصحْبِه الصّلاةُ والسَّلامُ، وذلك في سنة إحْدَى وسبعين وأَلف، خُتِمَتْ بالخير والشَّرَف.

الصّبْرُ مِنْ بَعْدِ الأَحِبّةِ بَانَا والسُّقْمُ مِنْ بُعْدِ المَنَازِلِ بَانَا
شَوْقًا لأَرْضٍ قُدِّسَتْ بِورُودِها في خاطِري أَغْدُو بِها نَشْوانا
والقَلْبُ صارَ مُلَوّعًا ومُوَلّعًا بفِراقِها ووِصالِها حَيْرانا
هيهاتَ أَنْ أَهْوى بِلادًا غيرَها قُبْحًا لِمَنْ عَنْها يَرَى سُلْوانا
لا بِدْعَ إِنْ أَحْبَبْتَها ومَدَحْتُها فلَقَدْ يُحِبُّ المُؤْمِنُ الأَوْطانا

٣٧- في الأصل: إسلابول، وهي مدينة إسطنبول.

لَا أَنْسُمُ الأَرْوَاحَ إِلّا حيثُما ... مَرّتْ بِهَا لِتُفِيدَني عِرْفَانَا
مُسْتَخْبِرًا عَنْ نَشْرِ طِيْبِ حديثها ... وأَحِبّةٍ بَرِحوا بها سُكّانا
لَمْ أَنْسَ يومَ فراقها فلَقَدْ جَرَى ... ممّا جَرَى دَمْعٌ دَمًا غُدْرانا
إِنْسانُ عَيْني عَيْنُ دَمْعي صَدّهُ ... عَنْ أَنْ يَرَى عَينًا ولا إنسانا
لِوَعِيدِه يُوفِي ويَمْطُلُ وَعْدَهُ ... يا لَيْتَهُ في مُطْلِه مَا مَانَا
مِنْ دَأْبِه يَبْني الّذي نَقَضَ الوَرى ... وإِذَا تَعَسَّفَ يَنْقُضُ البُنْيانا
يا دَهْرُ كَمْ تُبْدِي الجَفَاءَ وإِنْ أَرُمْ ... عَفْوًا أَرَاكَ مُكَدِّرًا غَضْبَانَا
أَحْرَقْتَني بِلَهِيبِ ظُلْمٍ لَوْ رَمَى ... بِشَرَارِه صَعْبَ الحَدِيدِ لَلانَا
أَسْقَيْتَني كَأْسَ البَلَايا عَلْقَمًا ... وأَذَقْتَني مِنْ طَعْمِه قَطرَانَا
أَلْبَسْتَني بِالجُودِ ثَوْبَ مَذَلّةٍ ... المَوْتُ عِنْدَ لِبَاسِه قَدْ هَانَا
والمَوْتُ أَهْوَنُ مَا يكُونُ عَلَى امْرِئٍ ... مِنْ بَعْدِ عِزَّتِه يَذُوقُ هَوَانَا
فَرِحَ العِدَا بِمَا أُصِبْتُ ومَا دَرَوا ... أَنَّ الإِلَهَ سَيَأْخُذُ الفَرْحَانَا
هَبْ أَنَّ لِي ذَنْبًا فَرَبّي غَافِرٌ ... لَوْلَا الخَطَا مَا قَدّرَ الغُفْرَانَا
فَلَأَصْبِرَنَّ على جَفَاكَ مُؤَمِّلا ... أَنَّ اللَّطِيفَ يُفَرِّجُ الأَحْزَانا
أَتَظُنُّ أَنِّي لَيسَ لي مِنْ مُنْجِدٍ ... فَتَزِيدَني في غُرْبَتِي هُجْرانَا
إِنِّي مِنَ الآلِ الكِرَامِ و إِنَّهُمْ ... لَمْ يَبْرَحُوا لِقَرِيبِهِمْ أَعْوانَا
ولَسَوفَ تَنْكَشِفُ الهُمُومُ بِفَضْلِهِمْ ... عَنِّي و يَبْقَى ذِكْرُهَا أَزْمَانَا
هَوِّنْ عَلَيكَ فَقَدْ كَفَى مَا ذُقْتَهُ ... واتْرُكْ جَفَاكَ مُعَوِّضًا إِحْسَانَا
إِنِّي مِنَ القُرْبى وقَدْ أَوْصَى بِهِمْ ... رَبُّ السَّمَاءِ فَحَاذِرِ العِصْيَانَا
ولَئِنْ عَصَيْتُ فَمِنْكَ أَضْحَى مَخْلَصِي ... بِالمُصْطَفَى الهَادِي وصِرْتُ مُصَانا
أَمِنَتْ بِه الوَرْقَاءُ ثُمّ فَكَيْفَ لَا ... أَلْقَى بِه مِمَّا أَخَافُ أَمَانَا
هُوَ أَحْمَدٌ طَهَ البَشِيرُ ومَنْ أَتَى ... بِالبَيِّنَاتِ وأَظْهَرَ البُرْهَانَا
مَنْ فَضْلُهُ قَدْ جَاءَ في الآيَاتِ ... والذِّكْرِ الحَكِيمِ مُرَتِّلًا قُرْآنَا
ما صَحَّ مِنْ أَفْعَالِه وحَدِيثِه ... أَبْدَا لإِجْمَالِ الكِتَابِ بَيَانَا
كَمَلَتْ مَحَاسِنُهُ فَبَدْرُ كَمَالِه ... مُتَنَزِّهٌ عَنْ أَنْ يُرَى نُقْصَانَا
إِنْ نَامَ بالعَيْنَينِ كَانَ بِقَلْبِه ... لِنُزُولِ وَحْيِ رَاقِيًا يَقْظَانَا
الشَّمْسُ والبَدْرُ المُنِيرُ كِلَاهُمَا ... مِنْ ضَوْئِه اكْتَسَبَا ضِيَاءً بَانَا
حَامِي حِمَى الدِّينِ المَتِينِ بِعَزْمِه ... مَاحِي بِنُورِ هِدَايَةِ الطُّغْيَانَا
الهَاشِمِيُّ الأَبْطَحِيُّ المُجْتَبَى ... مُبْدِي الهُدَى والفَضْلِ والعُرْفَانَا

مِنْ أَشْرَف العُرْب الكِرَام مَجيئُهُ ... أَعْلا على كُلّ الوَرَى العُرْبانَا
لَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمُ العُلا مَا كَانَ ... مِنْهُمْ مُرْسَلاً لِيُبَلِّغَ الإيمانا
لَوْ لَمْ تَكُنْ لَهُمُ الفَصَاحَةُ لَمْ ... يُنَزِّلْ رَبُّنا بِلِسَانِهِمْ فُرْقَانَا
قَدْ دَانَت الدُّنْيا لَهُ لَكِنَّهُ ... مَا كَانَ فِيْهَا ذَرَّةً طَمْعَانَا
قَدْ كانَ يُجْرِي لِلْفَقِيرِ نَصِيْبَهُ ... مِنْهَا ويُكْسِي البائِسَ العُرْيانَا
بَلْ كانَ يُؤْثِرُ مَعْ وُجُودِ خَصَاصَةٍ ... فيه على نفسٍ لَهُ الجِيْعَانا
مَا آدَمٌ سَبَبٌ لَهُ بَلْ إنَّهُ[٣٨] ... سببٌ لآدَمَ قبلَهُ قَدْ كانَا
نُورًا يُسَبِّحُ خالقًا لَوْلاه لَمْ ... يخْلُقْ لطينَة آدَم وُحْدَانَا
واللهُ لَمْ يُرْسِلْهُ إلّا رَحْمَةً ... لِلْعَالَمِينَ مِنَ العَذَابِ أَمَانَا
لَمّا بدا كالشمس نيرٌ وجْهِه ... بالحُسْنِ يُشْرِقُ نَوَّرَ الأَكْوانَا
بِتَرادُف الآيَاتِ عِنْدَ ظُهُورِهِ ... عَمَّ البَلَى كِسْرَى أَنُو شَرْوَانَا
التَّاجُ أَصْبَحَ ساقطًا عَنْ رأْسِه ... وَرَأى ارْتِجَاجًا زَعْزَعَ الإيوانا
بِقُدُومِه نِيرانُ فارِسَ أُخْمِدَتْ ... مِيْلادُهُ قَدْ كَسَّرَ الصُّلْبَانَا
لَقد استهلَّ مِنَ الوِلادَة رَافِعًا ... نَحْوَ السَّمَا بَصَرًا يَرَى الحَنَّانَا
في المَهْدِ كَلَّمَهُ الصَّبِيُّ وكَمْ لَهُ ... مِنْ مُعْجِزاتٍ فَتَّحَتْ عُمْيَانَا
مَوْلاهُ قَدْ أَسْرَى بِهِ لِلْمَسْجِدِ الـ ... ـأَقْصَى مِنَ البَيْتِ الحَرَامِ عَيَانَا
كَمْ غادرَ الكُفّارَ صَرْعَى في الثَّرَى ... وأَذاقَهُم بِأْسًا يَدُقُّ سَنانَا
وسَقاهُمُ كَأْسَ الرَّدَى مِنْ كَفِّه ... وغَدَا عَلَيْهِم بِالإِلَهِ مُعَانَا
وأَتاهُمُ بِعِصابَةٍ قُرَشِيَّةٍ ... كانُوا بِمُعْتَرَكِ الوَغَى شُجْعانَا
بِكَثِيرِ طَعْنٍ سابِقُوا في وَقْعَةٍ ... ثَلَموا السُّيوفَ وكسَّروا المُرّانَا
كَمْ مزَّقُوا بِحرابِهِمْ مُتَدَرِّعًا ... كَمْ فَرَّقُوا بِحُرُوبِهِمْ كُتْبَانَا
ضَمِنُوا ظُهُورَ الدِّينِ عِنْدَ إلاهِهم ... فَوَفَوْا بِقَتْلِ الكافِرِينَ ضَمَانَا
فَكَأَنَّ لَمْعَ سُيُوفِهِمْ لَمَّا انْتَضَتْ ... بَرْقٌ أَسَالَ دَمًا جَرَى طُوفانَا
وكَأَنَّما الكُفّارُ عِنْدَ نِزالِهِمْ ... ضُعَفَاءُ طَيْرٍ شَاهَدُوا عُقْبَانَا
مُذْ أَغْمَدُوا في الرُّومِ صَلْتَ سُيُوفِهِمْ ... ذَلَّ الشُّجَاعُ بِهِمْ وصَارَ جَبَانَا
ظَنُّوا الدُّرُوعَ تَقِيْهِمُ طَعْنَ القَنَا ... حُمْقًا فكانَتْ فَوْقَهُمْ أَكْفَانَا
طَلَبُوا الفِرَارَ فَلَمْ يُلاقُوا مَخْلَصًا ... إلاَّ إلى سُمْرِ الرِّمَاحِ طِعَانَا
كَرِهُوا القِتَالَ ووَقْعُهُ خَيرٌ لَهُم ... لَوْ أَسْلَمُوا وتعبّدُوا الرَّحْمانَا[٣٩]

٣٨- في الأصل:(أنّه) بفتح الهمزة وهو خطأ.

٣٩- في الأصل: (لرّحمانا) وهو خطأ.

لِلْعُرب فَوقَ الرُّوم أَعْظَمُ مِنّةٍ ... إِذْ عَرّفُوهُمْ بالقَنَا الإيمانَا

لَوْلا صَنَادِيدٌ أَتَتْ مِنْ هاشِمٍ ... لَبَقَوْا عَلَى طُغْيَانِهِمْ عُمْيَانَا

يا خَاتَمَ الرُّسْلِ الكِرامِ ومَنْ بِهِ ... فُزْنَا وحُزْنَا رِفْعَةً ومكانَا

يا صَاحِبَ الحَوْضِ الّذي بِوُرُودِهِ ... الظَّمْآنُ يَصْدُرُ عَاجِلاً رَيّانَا

يا شَافِعًا يَوْمَ القِيامِ شَفاعَةً ... نَلْقَى بِها لِذُنُوبِنا غُفْرانَا

وبها الخَلاصُ يكونُ مِنْ حَرِّ اللَّظَى ... ويكونُ مِنْ ثَمَرِ الجِنانِ جَنَانَا

يامَنْ أَتَانَا بالشَّريعَةِ ناسِخًا ... بِصَحِيحِ قَيِّمِ دِيْنِهِ الأَدْيانَا

أَنْتَ الّذي آياتُ فَضْلِكَ كُلَّما ... تُلِيَتْ يُشَغِّفُ فَضْلَها الأَذَانَا

أَنْتَ الكَرِيمُ بنُ الكَرِيمِ بنِ ... الكَرِيمِ بنِ الكَرِيمِ هُدَانَا

أَنْتَ الّذي ما أَمَّ بابَكَ قَاصِدٌ ... يَرْجُو العَطَاءَ وشَاهَدَ الحِرْمَانَا

فاسْمَحْ لَنَا بِشَفَاعةٍ عِنْدَ الإلَـ ... ـهِ تُفِيدُنا مِنْ مَنِّهِ إِحْسَانَا

كَيْمَا أَفُوزَ بِنِعْمَةٍ يَحْيَا بِها ... قَلْبِي ويَلْقَى كَسْرُهُ جُبْرانَا

واشْفَقْ على جَسَدٍ تَزَايدَ ضَعْفُهُ ... وأَرِحْ فُؤَادًا لَمْ يَزَلْ تَعْبَانَا

إِنّي مِنَ القُرْبى وهُمْ أَوْلى الوَرَى ... بِصِلاتِ جُودٍ مِنْ عَطَائِكَ بَانَا

حَاشَا لِعِزِّكَ أَنْ نُصَابَ بِذِلَّةٍ ... والدَّهْرُ يُؤْذِينا ولا تَرْعَانَا

حَقَقْتُ أَنّي لا أُضَامُ وأَنَّما ... أَرْجُو يَتِمُّ ولا أَرَى خِذْلانَا

وتِجَارَتي في مَدْحِكَ السَّامي غَلَتْ ... في سُوقِها ما صَادَفَتْ خُسْرانَا

أَنْوارُ وَصْفِكَ مُذْ بَدَا إِشْرَاقُها ... في النَّفْسِ صَارَ لَهَا فَمًا ولِسَانا

فبِذلِكَ الإِشْراقُ نُطْقِي ناظِمًا ... نَظْمًا يَفُوقُ جَوَاهِراً وجُمَانَا

لَوْلاهُ لَمْ أَنْطِقْ بِحَرْفٍ واحِدٍ ... لِوَقُورِهِمْ مَا ضَيَّعَ الإِذْعَانَا [٤٠]

لَوْ أَنَّني نَظَّمْتُ فِيْكَ قَصايِدًا ... شَتَّى وفُقْنَ بِنَظْمِهَا حَسَّانا

لَمْ أُحْصِ بَعْضَ صِفَاتِ حُسْنٍ حُزْتُها ... ومَنِ الّذي يُحْصِي لِتِلْكَ بَيَانَا

واغْفِرْ إِلَهي ذَنْبَ عَبْدٍ عاجِزٍ ... نَظَمَ القَصِيدَةَ طَالِبًا غُفْرَانَا

يُدْعَى أَبا اللُّطْفِ الّذي مِنْ قَهْرِهِ ... قَدْ أَشْعَلَتْ أَحْشَاؤُهُ نِيْرانَا

٤٠- في الأصل:(لوقورهم ضيّع الإذعانا) وهو مكسور.

وامْـنُنْ عَـلَـيْـهِ بما يُـؤَمِّـلُ راغمًا ... أنْـفَ الـعَـدُوِّ ولا تُـذِقْـهُ هَـوَانَـا

واحْفَظْهُ مِنْ شَرِّ الحَسُودِ وكَيْدِهِ ... والْـطُـفْ بِـهِ لِيُـشـاهِـدَ الأَوْطَـانَـا

واخْـتِـمْ لَـهُ بـالخَـيرِ آخِـرَ عُـمْـرِهِ ... واجْـعَـلْـهُ مِـنْ غَـدْرِ الـزَّمـانِ مُصَانَا

أَصْـلِـحْ لَـهُ أَوْلادَهُ ومُحِـبَّـهُ ... والأَهْـــلَ والأَتْـبَـاعَ والخُـلَّانَـا

وارْحَـمْ بِفَضْلٍ والِدَيْهِ ومَنْ مَضَى ... مِـنْ أَهْـلِـهِ وأَنِـلْـهُـمُ الإِحْـسَـانَـا

واجْـزِ الّـذي وَلَّاهُ مِـنْ إِحْسَانِهِ ... خَـيرًا وكـان لَـهُ أَخًـا مِـعْـوَانَـا

ثُمّ الصَّلاةُ مَعَ السَّلامِ على النَّبيِّ ... المُصْطَفى مَـنْ أَظْـهَـرَ الـبُرْهـانَـا

وعلى جَميعِ الآلِ مَـعْ أَصْـحَـابِـهِ ... مَـنْ فَضْلُهُمْ قَـدْ أَخْـذَلَ الشَّيْطَانا

مـا غَـرّدَ الـقَـمْـرِيُّ في غُـصْـنٍ وما ... لاقـى بِـعَـوْدَتِـهِ الـغَـرِيـبُ أَمَـانَـا

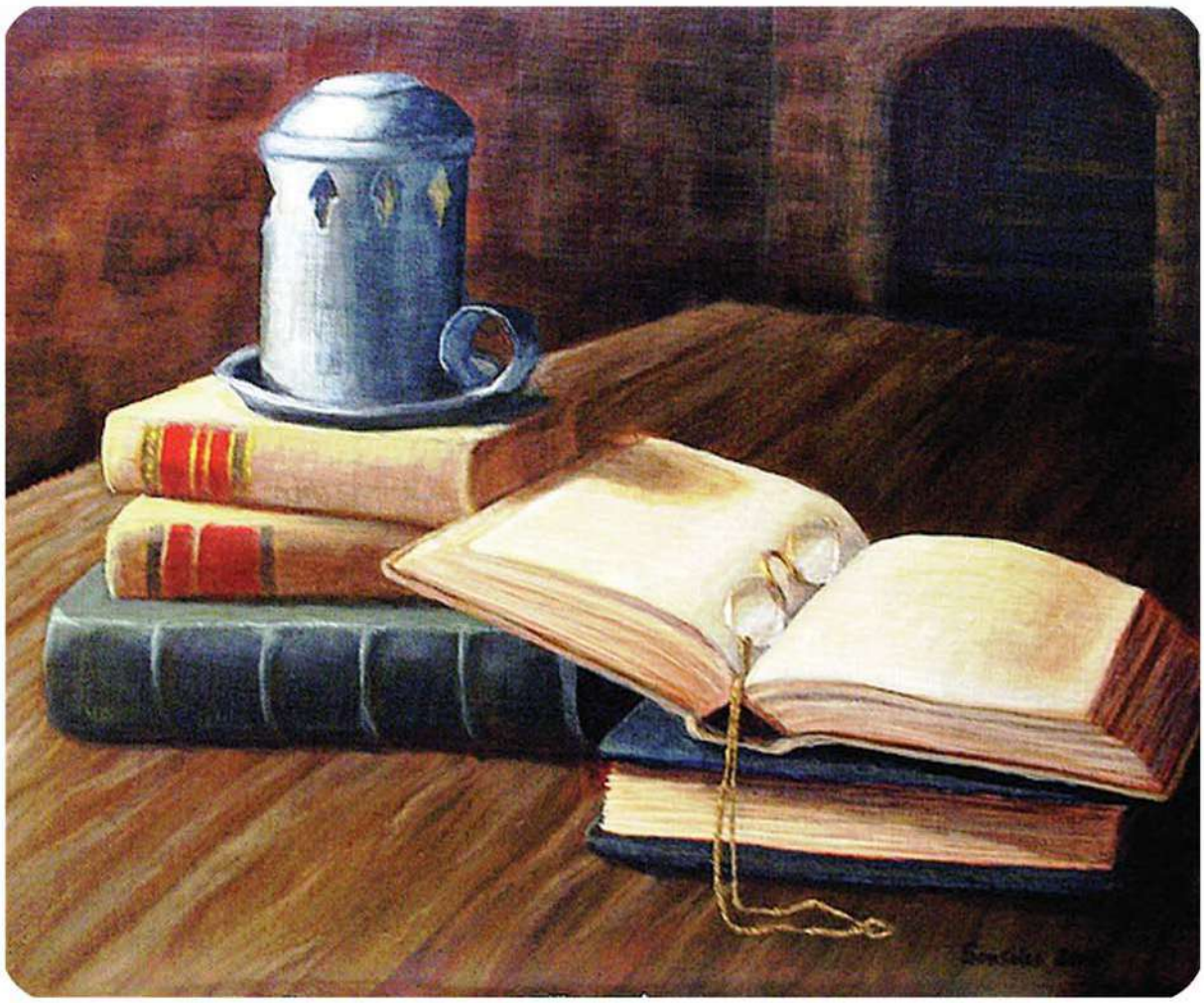

المصادر والمراجع:

١. الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٧٩م.

٢. إرشـاد السالـك إلى أفعـال المناسك: برهان الدين إبراهيم بن فرحون المدني المالكـي (ت ٧٩٩ هـ / ١٣٩٧ م)، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد بن الهادي أبو الأجفان، الناشر: مكتبة العبيكان، ط١، الرياض – المملكة العربية السعودية ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢م.

٣. البدايـة والنهايـة: عمـاد الديـن، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بـن كثير القرشي الدمشقي (٧٠١ – ٧٧٤ هـ)، تح: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر، ط١ (١٤١٧ – ١٤٢٠ هـ).

٤. تاج العروس في جواهر القاموس، لمحمد المرتضى الزَّبيدي. طبعة٢ الكويت، ١٩٦٥م – ٢٠٠١م.

٥. تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، عبد الرحمن بن حسن الجبرتي المؤرخ (ت ١٢٣٧هـ)، الناشر: دار الجيل، بيروت.

٦. تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب، المؤلف: عبد الرحمن بن عبد الكريم الحنفي المدني الشهير بالأنصاري (ت ١١٩٥هـ)، تحقيق: محمد العرويسي المطوي، الناشر: المكتبة العتيقة، ط١، تونس، ١٣٩٠ هـ – ١٩٧٠ م.

٧. الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة المؤلف: علي باشا مبارك، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، ط٢، القاهرة – مصر ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.

٨. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، المؤلف: محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين المحبي الحموي الأصل، الدمشقي (ت ١١١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت.

٩. سلـك الـدرر في أعيـان القـرن الثاني عشر: المؤلـف: محمد خليل بن علي بن محمد بـن محمد مراد الحسيني، أبـو الفضل (ت ١٢٠٦هـ)، الناشر: دار البشائر الإسلامية، دار ابن حزم، ط٣، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م. وطبعة دار صادر بتحقيق: حسن أكرم العلبي.

١٠. سـير أعـلام النبلاء: شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبـي (ت ٧٤٨ هـ)، تح: حسين أسـد، وشعيب الأرنؤوط، ومحمد نعيـم العرقسوسـي، ومأمون الصاغرجي، وغيرهم، بإشراف: شعيب الأرنـاؤوط [ت ١٤٣٨ هـ]، الناشر: مؤسسة الرسالة،ط٣، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م.

١١. شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد الحنبلي، (ت ١٠٨٩ هـ)،حققه: محمود الأرناؤوط [ت ١٤٣٨ هـ]، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط [ت ١٤٢٥ هـ]، الناشر: دار ابن كثير، ط١، دمشق – بيروت، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.

١٢. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ)،الناشر: المجمع الثقافي، أبو ظبي،ط١، أبو ظبي. ١٤٢٣ هـ.

١٣. مصـادر الدراسـات الإسلامية (القسـم الحنفي أصولاً وفروعًا) يوسف عبـد الرحمن المرعشلي، دار الكتـب العلميّة، بيروت– لبنان ١٩٧١م.

١٤. معجم أعلام شعراء المدح النبوي: محمد أحمد درنيقة، تقديم: ياسين الأيوبي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، ط١. د.ت.

١٥. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، طبعة مصورة، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت. د.ت.

١٦. الموسوعـة الميسـرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة: جمـع وإعداد: وليد بن أحمد الحسين الزبيري، وزملائه، الناشر: مجلة الحكمة، مانشستر – بريطانيا، ط١، ٢٠٠٣ م.

١٧. نفـح الطيـب من غصن الأندلس الرطيب: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت ١٠٤١هـ) تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر، ط١، بيروت – لبنان ١٩٦٨م.

١٨. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العبّاس أحمد بن محمد بن خلِّكان (ت ٦٨١هـ)، تح: يوسف الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ب.د.ت.

١٩. هدْيـة العارفـين أسمـاء المؤلفـين وآثار المصنفـين: إسماعيل باشا بن محمد أمين بـن مير سليم الباباني البغـدادي [ت ١٣٣٩ هـ]، طبع بعنايةَ: وكالة المعارف بإسطنبول، ١٩٥١ – ١٩٥٥ هـ.

التَّجريد بين النَّحْويِّين والبلاغيِّين

هـدى منـلا حسـن*

لَمَّا تحصَّل لابن جنِّي جمعُه الكلامَ على التَّجريد في بابٍ ينطق مسمَّاه بما ينطوي عليه مضمونُه في «خصائصه»، ولَمَّا كانتِ الشَّواهدُ أعلامًا على رؤوسِ المسائلِ = كانَ تتبُّعُ شواهدِ باب التَّجريد في الأبواب الأخرى أمرًا مأنوسًا مرغوبًا.

ثمَّ إنَّ متتبِّعَ شواهدِ هذا الباب في تلك الأبواب الأُخرى يلتفت إلى أنَّ ثمَّة بابَين يتقاطعان مع (باب التَّجريد)[1] في شواهدهما؛ الأوَّلُ (باب في مشابهة معاني الإعراب) يتقاطع معَه في قولِ طَرَفةَ:

جَـازَتِ الْبِيـدَ إِلَى أَرْحُلِنَـا ... آخِرَ اللَّيْلِ بِيَعْفُورٍ خَدِرْ

والثَّاني (باب في إضافة الاسم إلى المسمَّى، والمسمَّى إلى الاسم) يتقاطع معَه في قولَين؛ قولِ النَّابغة:

قالت له النَّفسُ: إنِّي لا أرى طمعًا ... وإن مولاك لم يسلم، ولم يصد

وقَوْلِ النَّبهانيِّ الطَّائيِّ:

أَقُولُ لِلنَّفْسِ تأساءً وتعزيةً: ... إحدى يديَّ أَصَابَتْنِي ولَمْ تُرِد

أمَّا البابُ الأوَّلُ منهما فقد أوردَ فيه ابنُ جنِّي قولَ طَرَفةَ في معرض الكلام على أنَّ الفروعَ في حال استعمالها على فرعيَّتِها تأتي مأتى الأصلِ الحقيقيِّ، لا الفرعِ التَّشبيهيِّ، ثمَّ فسّره بقوله[2]: «أي: بشخص أو بإنسانٍ مِثْلِ اليعفور، وهو واسعٌ كثير» اهـ

وأمَّا البابُ الآخر منهما فقد جاء فيه في معرض الكلام على البيتَين قولُ ابن جنِّي: «والعَرَب تُحِلُّ نَفْسَ الشَّيء منَ الشَّيء محلَّ البعض منَ الكُلِّ، وما الثَّاني منه ليس بالأوَّل، ولهذا حكوا عن أنفسهم مراجعتَهم إيَّاها وخطابَها لهم، وأكثروا من ذكر التَّردُّد بينَها وبينَهم» اهـ

ثمَّ إنَّ ما جاء به ابنُ جنِّي في هذا الباب من أصلٍ عامٍّ عند العَرَب إذا ما قورن بما جاء به من أصلٍ عندَهم حين تكلَّم على معنى التَّجريد في بابه، إذ صرَّح ثمَّة بأنَّ[3]: «مَعْنَاهُ: أَنَّ الْعَرَبَ قَدْ تَعْتَقِدُ أَنَّ فِي الشَّيْءِ مِنْ نَفْسِهِ مَعْنًى آخَرَ كَأَنَّهُ حَقِيقَتُهُ وَمَحْصُولُهُ، وَقَدْ يَخْرُجُ ذلكَ إِلَى أَلْفَاظِهَا لَمَّا عَقَدَتْ عَلَيْهِ مَعَانِيَهَا، وذلك نَحْوُ قَوْلِهِمْ: «لَئِنْ لَقِيتَ زَيْدًا لَتَلْقَيَنَّ مِنْهُ الْأَسَدَ، ولَئِنْ سَأَلْتَهُ لَتَسْأَلَنَّ مِنْهُ الْبَحْرَ». فَظَاهِرُ هذا أَنَّ فيه مِنْ نَفْسِهِ أَسَدًا وبَحْرًا، وهُوَ عَيْنُهُ هُوَ الْأَسَدُ والْبَحْرُ، لَا أَنَّ هُنَاكَ شَيْئًا مُنْفَصِلًا عَنْهُ أَوْ مُمْتَازًا مِنْهُ. وعَلَى هذا يُخَاطِبُ الْإِنْسَانُ مِنْهُمْ نَفْسَهُ، حَتَّى كَأَنَّهَا تُقَابِلُهُ أَوْ تُخَاطِبُهُ...» اهـ

---

* طالبة دراسات عليا في قسم اللُّغة العربيَّة وآدابها في جامعة دمشق.

١- الخصائص ٢: ٤٧٣ – ٤٧٦.

٢- السَّابق ٢: ١٧٧.

٣- السَّابق ٢: ٤٧٣، ٤٧٤.

= يُلحظ أنَّ هذا التَّحديد المُعلَن عنه في باب التَّجريد يتكامل مع تحديدٍ مسكوتٍ عنه جاء في معرض الكلام على هذا الباب المذكور آنفًا. وتَبَعًا لهذين القولين الموضَّحَين سندرجُ ههنا تفصيلًا لمواطن التَّجريد في الشَّواهد الَّتي اشتمل عليها باب التَّجريد؛ وذلك وفقًا للتَّرتيب نفسه الَّذي وردت به الشَّواهد الَّتي أدرجَها أبو الفتح في الباب:

العامل	اللفظ الأول (الأصل الحقيقيّ) (المجرَّد منه)	أداة التَّجريد أو التَّفريع	اللفظ الثاني المُنتزَع من الأول نفسه (الفرع التَّشبيهيّ أو التَّوصيفيّ) (المجرَّد)	المعنى الحرفيّ للعلاقة بين اللَّفظَين	المراد: (هو إيَّاه)
لقيتَ	زيد	منه	الأسد	إنسانًا مثل الأسد	زيد = الأسد
سألتَ	زيد	منه	البحر	إنسانًا كالبحر	زيد = البحر
«لهم» العاملُ في «فيها»[1]	النَّار	فيها	دار الخلد	صفة	النار= دار الخلد
جاء	جبيرة	منها	الجائية بطائف الأهوال	صفة	جبيرة = الجائية بطائف الأهوال
لقيت	(بلقائي إيَّاه)	به	الأسد	إنسانًا مثل الأسد	هو= الأسد
جاورت	(بمجاورتي إيَّاه)	به	البحر	إنسانًا كالبحر	هو= البحر
لك	أبوك	(به، منه، بمكانه)	أب	صفة	هو نفسه الأب
متعلَّق «في الله»	(عدل) الله	في	حكم عدل	صفة	هو العدلُ نفسُه
مرَّ	مصعبٌ	بـ	أشعثَ	صفة	مصعب= أشعث
جازت	«هي» في «جازت»	بـ	يعفور خدر	بإنسان مثل اليعفور	هي= اليعفور

أمَّا حين كان اللَّفظُ الأوَّل هو المتكلِّم (سواء أكان مصرَّحًا به في السِّياق أو مفهومًا من تفسير المعنى وفهمه) فإنَّه يخلق معادلًا موضوعيًّا له يخاطبه أو يتكلَّم عليه ويبثُّه ما به أو يُناظره ويُحاججه، وهذا المعادل الموضوعيّ قد يكون مِنَ المرءِ المُتكلِّمِ نَفْسَه. وعليه نُكمِل إدراجَ شواهدِ البابِ:

العامل	المجرَّد منه (الأنا المتكلِّمة)	الأداة	المجرَّد	المعنى الحَرْفيّ	المُراد
﴿اعلمْ﴾	غير موجودة بسبب وجود المعادل الموضوعيّ	ليس ثمة أداة	[أنت] في ﴿اعلمْ﴾	المتكلِّم يخاطبُ غيرَه.	المتكلِّم يخاطبُ نفسَه.
تطيقُ	غير موجودة كذا.		الرَّجُلُ		
يا	أنا المستترة		نفس		
قالت	غير موجودة كذا.		النَّفسُ		
أقولُ	أنا المستترة		للنَّفسِ		

نستنتج من تدبُّر الجدولَين المُدرَجين أعلاه: أنَّ ثمَّةَ شَرْطَيْنِ واجبَيْنِ على متلقِّي التَّجريد:

الشَّرط الأوَّل: أن يكون على دراية **بتفسير المعنى**.

والشَّرط الثَّاني: أن يكون عارفًا **بتقدير الإعراب**.

والآن لنمضِ في درب التَّجريد الَّتي فَتَحَ لنا أبو الفتح بابَ الكلام عليها والارتياض فيها في «خصائصه»، ولا ريبَ أنَّ **تتبُّعَ شواهد باب التَّجريد في كتبه الأخرى وكتب أستاذه** يُسهم في جمع أشتات الكلام على المصطلح، ولا سيَّما إذا ما عُرف أنَّ أبا الفتح يفرِّق الكلامَ على المسألة الواحدة في كتبه المختلفة. ثمَّ إنَّ **تتبُّعَ هذه الشَّواهد**

في كتب السَّابقين والخالفين قد يكون له أثرُه في إغناء الكلام على هذا المصطلح، فلنقتفِ أثرَ موضعٍ غريبٍ لطيفٍ طريفٍ[٤] في تلك الكتب، **ولنتوقفْ في درب التَّجريد هذه عندَ ثلاث محطَّات:**

المحطَّة الأولى: وتشتمل هذه المحطَّة على تتبُّع شواهد باب التَّجريد في: كتب أبي الفتح وكتب أستاذه أبي عليٍّ:

صحيحٌ أنَّ ابنَ جنِّي قد خصَّص بابًا في «خصائصه» يتكلَّم فيه على التَّجريد، إلَّا أنَّ تتبُّعَ شواهد هذا الباب في كتب ابن جنِّي الأخرى يكشف النِّقابَ عن أنَّها ليست خلوًا من تفصيلات وتوجيهات مطروحةٍ في طريق هذه الشَّواهد، وبذا يكون أبو الفتح قد نصب لنا علاماتٍ في كتبه الأخرى؛ لنهتديَ بها في درب التَّجريد، ومن هذه التَّتبُّعات الَّتي بُذلت في طريقها العلامات:

التَّتبُّع الأوَّل: تتبُّع البيت:

أفاءَتْ بنو مروانَ ظلمًا دماءَنا ... وفي الله إن لم يَعدلوا حَكَمٌ عَدْلُ

الَّذي أوصلَنا إلى حقيقتين عَنِ التَّجريد رابِضَتَين في «مُحتسَب» ابن جنِّي:

الأولى: **أوَّلُ طريق التَّجريد معرفةُ الإعراب:**

ومعرفة الإعراب شرط لازمٌ لتعيين وجود التَّجريد؛ إذ لولا المعرفةُ بالإعراب وتقديرِه لَمَا صحَّ التَّجريدُ في مثل هذا الشَّاهد؛ إذ إنَّك تجدُ ابنَ جنِّي يشرح التَّجريد فيه عن طريق تقدير المضاف، إذ قال في محتسَبه[٥]: «فجرى اللَّفظُ على أنَّه جُرِّد منه شيءٌ يسمَّى حكَمًا عدلًا، وهو مع التَّحصيل على حذف المضاف، أي: وفي عدل الله حَكَمٌ عدل. فتفهَّم هذه المواضعَ، فإنَّ قدرَ الإعراب يضيعُ إلى معناها، وإن كان هو أوَّلَ الطَّريق ونهجَه إليها» اهـ

الثَّانية: **يَصِحُّ أن يُجرى التَّجريدُ على الله سبحانَه لا على الحقيقة، وإنَّما على عادة العرب ومذهب خطابهم:** هذا ما صرَّح به ابن جنِّي في سياق الكلام على هذا الشَّاهد نفسه، إذ قال[٦]: «وهذا وإن كان ممَّا لا ينبغي أن يُجرى في الحقيقة مثلُه على الله سبحانَه؛ لأنَّه لا تجزُّؤ هناك؛ فإنَّه يُجرى على عادة القوم ومذهب خطابِهم، وقد نطقوا بهذا نفسه معَه تقدَّست أسماؤه...» اهـ

التَّتبُّع الثَّاني: تتبُّع قراءة: ﴿**قَالَ اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [سورة البقرة: ٢٥٩].

وبيتِ الأعشى:

ودِّعْ هُرَيْرَةَ إنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ ... وهَلْ تُطيقُ وَدَاعًا أيُّهَا الرَّجُلُ؟

اللَّذَين أوصلَنا تتبُّعهما إلى حقيقتين اثنتين:

الأولى: **التَّجريد تابع لاحتماليَّة القراءة القرآنيَّة، وكذا هو تابعٌ للاحتماليَّة الإعرابيَّة:** فهذا الشَّاهد المتتبَّع قبل أن يُذكر هو في «المُحتسَب» كان الكلام على التَّجريد في **قراءة ابن عبَّاس:** ﴿**فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ**﴾ [سورة البقرة: ١٢٦]. فحضورُ التَّجريد أو غيابُه تابعٌ للاحتماليَّة الإعرابيَّة المتمثِّلة في تقدير فاعل «قال» على مَن يعود؛ **فأحد الاحتمالَين** «أن يكونَ الفاعلُ في «قال» ضميرَ إبراهيم عليه السَّلام، أي: قال إبراهيمُ أيضًا: ومَن كفر فأُمتِّعه يا ربِّ، ثمَّ اضطرَّه يا ربِّ.

٤- كذا وصف التَّجريدَ ابنُ جنِّي في مُحتَسَبه ٢: ٣٩.

٥- المحتسَب ١: ١٠٦.

٦- السَّابق نفسه.

وأمَّا **الآخر**: فهو أَنْ يكونَ الفاعلُ في «قال» ضميرَ اسم الله تعالى، أي: فأَمْتعه يا خالقُ، أو فأمْتعه يا قادرُ أو يا مالكُ أو يا إلهُ؛ يخاطبُ بذلك نفسَه -عزَّ وجلَّ- فجرى هذا على ما تعتادُه العربُ من أمر الإنسان لنفسه...»[٧] اهـ

وأمَّا على **قراءة الجماعة**: ﴿فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ﴾ فالفاعلُ هو اللهُ لا محالةَ، وليس ثمَّةَ تجريدٌ. أي: لمَّا قال إبراهيم: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ قال الله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ﴾.

ومن ذلك **قراءة عليِّ بن أبي طالب وابن عبَّاس** رضي الله عنهما: ﴿**يَرِثُنِي وَارِثٌ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ**﴾ [سورة مريم: ٦].

قال أبو الفتح[٨]: «هذا ضرب من العربيَّة غريبٌ، ومعناه التَّجريد؛ وذلك أنَّك تريد: فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي منه أو به وَارِثٌ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ، وهو الوارث نفسُه، فكأنَّه جَرَّدَ منه وارثًا» اهـ

ومن ذلك **قراءة الحَسَن** رضي الله عنه: ﴿**اهدنا صراطًا مستقيمًا**﴾ [سورة الفاتحة: ٦].

قال أبو الفتح[٩]: «ينبغي أن يكون أراد -والله أعلم- التَّذلُّل لله سبحانه، وإظهار الطَّاعة له، أي: قد رضينا منك يا ربنا بما يقال له: صراط مستقيم، ولسنا نريد المبالغة في قول مَن قرأ: «الصِّراط المستقيم»، أي: الصِّراط الَّذي شاعَت استقامتُه، وتُعولمت في ذلك حالُه وطريقتُه، فإنَّ قليلَ هذا منك لنا زاكٍ عندنا وكثيرٌ من نعمتك علينا، ونحن له مطيعون، وإلى ما تأمر به وتنهى فيه صائرون، وزاد في حسن التنكير هنا ما دخله من المعنى؛ **وذلك أنَّ تقديرَه:** أَدِمْ هدايتك لنا؛ فإنَّك إذا فعلت ذلك بنا فقد هديتنا إلى صراط مستقيم؛ فجرى حينئذٍ مَجرى قولك: «**لئن لقيتَ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لتَلْقَيَنَّ منه رجلًا متناهيًا في الخير، ورسولًا جامعًا لسبل الفضل**»؛ فقد آلت به الحالُ إلى معنى التَّجريد...» اهـ

وليس بخافٍ ههنا حِذْقُ ابن جنِّي، وحسنُ تدبيره وتلطُّفه في تدبُّره تفسيرَ المعنى وتطويعَه له على وجهٍ يلتقي فيه مع التَّجريد.

وبذا يتبدَّى أنَّ: من الأشياء المؤثِّرة في مصطلح التَّجريد: القراءة القرآنيَّة والاحتماليَّة الإعرابيَّة.

وكذا يتبدَّى تأثيرُ هذه الاحتماليَّة الإعرابيَّة في بيت الحَماسيِّ شُبَيل الفَزَاريِّ:

أيا لَهْفَى على مَنْ كنتُ أدعُو ... فيكفيني بساعده الشَّديدُ

فقد نبَّه ابنُ جنِّي على أنَّ رَفْعَ «الشَّديدُ» جائزٌ من أوجه أربعة، والتَّجريدُ حاضرٌ في الوجه الرَّابع فحسب، وهو أن يكونَ فاعلَ «يكفيني»، أي: يكفيني منه أو به الشَّديدُ[١٠].

=-وأمَّا الحقيقة الثَّانية فهي: **التَّجريد في حال كونه مخاطبةَ نفسٍ أو خطورَ خاطر قد تُجرى فيه المخاطبةُ مُجرى المناظرة:** فالتَّجريد في قراءة: ﴿**اعلمْ**﴾ ليس فقط جَرْيًا على ما تعتاده العربُ من أمرِ الإنسان لنفسه[١١]، بل فيه ما فيه من المناظرة، إذ أوردها ابن جنِّي في «التَّمام» مقرونةً بقوله[١٢]:

أَلَا أَبْلِغَا أَفْنَاءَ لِحْيَانَ آيَةً ... وكُنْتَ مَتَى تُجْهِلْ خَصِيمَكَ يَجْهَلِ

٧- المحتسَب ١: ١٠٥.
٨- المُحتسَب ٢: ٣٨.
٩- في المُحتسَب ١: ٤١.
١٠- انظر: التَّنبيه ٣٦٨.
١١- انظر: المحتسب ١: ١٠٥.
١٢- انظر: التَّمام ٣٨١.

فالمخاطب بقوله: «متى تجهل خصيمَك» هو «نفسُه؛ كأنَّه خاطبَ فيما بعدُ نفسَه»[١٣] اهـ

وكذا جاء الكلام على التَّجريد في بيت الأعشى مشفوعًا بقوله سبحانَه: ﴿**يخادعون الله**﴾ [سورة البقرة: ٩]، وذلك في «مختار التَّذكرة»، إذ كان تأويل أبي عليٍّ في الآية هو الخيطَ النَّاظمَ لها في باب التَّجريد هذا، إذ قال[١٤]: «كأنَّه لَمَّا خَطَرَ خاطرٌ من عند الله، فنازَعَه صارَ بمنزلة مُناظِر له...» اهـ

ثمَّ أكَّد ابنُ جنِّي كلامَ أستاذه هذا تأكيدًا بأن شفعَ هذا التَّأويلَ ببيت:

ولي نَفْسٌ أقــولُ لهــا إذا مــا تنــازعُـني لَعَــلِّـي أو عَسَــانـي

التَّتبُّع الثَّالث: تتبُّع قوله تعالى: ﴿**لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ**﴾ [سورة فُصِّلت: ٢٨]،

وقولِ العَرَب: "**أمَّا أبوك فلك أبٌ**».

ونلحظ ههنا أنَّ تتبُّعهما قد آتى أُكُلًا واحدًا، وهو أنَّ **التَّجريد تابعٌ لاحتماليَّة تفسيرِ المعنى وتقديرِه.**

-فممَّا جاء منَ الشَّواهد مقترنًا مع الآية في "المُبهج":

-طـيــف أتـاك مُعَطَّــرًا والطَّـيــفُ لا يتـعـطَّــرُ

-مـن زيـنـب فـلـثـمـتـه طـربًـا وزيـنـبُ تـنـظـرُ

قال فيه ابنُ جنِّي[١٥]: «وفيه -عندي- جوابان: **أحدهما** أن يكونَ الطَّيفُ هو زينبُ نفسُها... فكأنَّه قال: طيفٌ منْ زينبَ أتاكَ مُعطَّرًا، وقد نبَّه بقوله: «والطَّيفُ لا يتعطَّرُ» على ما أردنا، أي: إنَّما كان هو إيَّاها، لا طيفًا على الحقيقة، وزاد في تأكيده بقوله: «وزينبُ تنظرُ»، أي: إذا كان هو إيَّاها فلا محالةَ أنَّها حاضرةٌ ناظرةٌ إلى ما يَجري هناك؛ فهذا وجهٌ ظاهرٌ.

والوجـهُ الآخـر أن تكونَ هـي أهدَتْ إليه طَيْفَها، وأزارَتْـهُ خيالَها، وقوله: «وزينبُ تنظـرُ» في هذا الوجه، أي: تنتظرُ عودَه إليها، ومعنى قوله: «مُعَطَّرًا» في هذا التَّفسير، أي: إنَّه التذَّ حالُه، ونَعُمَت به نفسُه» اهـ

فجوابا ابن جنِّي تفسيران؛ ثبت التَّجريد وفقَ أوَّلهما، وولَّى مدبرًا ولم يعقِّب وفقَ ثانيهما.

-وكذا يُعلن التَّجريد **تبعيَّتَه للمعنى** جَهْرًا في بيت نُصيب الَّذي أنشدَه أبو عليٍّ في «تذكرته»:

وقالوا: عَهِدْنـاهُ وفي كـلِّ ليلـةٍ يَحُـلُّ بـهِ مِنْ طالـبِ العُـرْفِ راكـبُ

فـ «طالب العُرف» فيه يحتمل[١٦]:

١- أن يكون «طالبي»، فحذفَ ياءَ الجميع؛ لالتقاء السَّـاكنين، ومن ثَمَّ يكون «الرَّاكب» واحدًا منَ الجملة، كما تقول: «يحلُّ به منَ الطُّلَّاب ناسٌ».

٢- أن يكون «الرَّاكب» هو «الطَّالب»، كما تقول: «تَلْقَى منْ زيدٍ الأَسَدَ».

نستنتج من هذه المحطَّة:

- أنَّ ابنَ جنِّي قد توسَّع في الكلام على التَّجريد في كتبه الأخرى، فكانت الشَّواهدُ أصعبَ تناولًا من شواهد باب التَّجريـد؛ إذ إنَّه ذكَرَ فيه الشَّـواهدَ البعيدةَ عَنِ الإبحار في احتمالات تأويـلِ المعنى أو الغوصِ عميقًا فيه، وبذا يكون أبو الفتحُ في باب التَّجريد قد اقتضب، فحصَّل على المطلب.

١٣- التَّمام ٣٨١.

١٤- في مختار التذكرة ٤٠. وانظر: كتاب الشِّعر ٣٢٠، والحُجَّة ٥: ١٠٥.

١٥- في المُبهج ١٨٩، ١٩٠.

١٦- انظر: مختار التَّذكرة ٢٣٣.

– أنَّ جواز وجود التَّجريد تابعٌ لاحتماليَّة وجود ثلاثة أشياء مؤثرةٍ فيه: لاحتماليَّة القراءة القرآنيَّة، وللاحتماليَّة الإعرابيَّة، ولاحتماليَّة تقدير المعنى.

المحطَّة الثَّانية: محطَّة تتبُّع شواهد هذا الباب في كتب السَّابقين عليه وعلى أستاذه:

–إنَّ تتبُّعَ شواهد باب التَّجريد في كتب الأقدمين المطبوعة يَكشف لنا أنَّ بواكيرَ الكلام عليه كانت في كتب التَّفاسير الَّتي عُنيت بالإبانة عن معاني القرآن الَّذي نزل بلسان عربيٍّ مُبين وفاقًا لما نطقت به العربُ.

وأقدم كتب التَّفاسير الموجودة بينَ أيدينا الَّتي تطرَّقت إلى ذكر التَّجريد هو كتاب «معاني القرآن» (للفرَّاء – ت٢٠٧هـ) الَّذي تكلَّم على آية ﴿**لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ**﴾، فقال[١٧]: «وهي النَّار بعَيْنِها، **وذلك صوابٌ لو قلت:** «لأهل الكوفة منها دارٌ صالحةٌ»، والدَّارُ هي الكوفةُ» اهـ

ثمَّ بيَّن أنَّ قراءةَ عَبْد اللَّه بن مسعود: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللهِ النَّارُ دَارُ الْخُلْدِ﴾ تدعم حديثَه هذا؛ لأنَّ الدَّار هيَ النَّار.

وأمَّا قراءة: ﴿**قَالَ اعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ فقد قال فيها (أبو الحَسَن الأخفش –ت٢١٥هـ)[١٨]: «جَزَمَ على الأمر، **كما يقول:** «اعْلَمْ أنَّه قَدْ كان كذا وكذا»؛ كأنَّه يقول ذاك لغيره، وإنَّما ينبِّه نفسَه» اهـ

ثمَّ وضَّح أنَّ قراءةَ الجزم أجودُ في المعنى، إلَّا أنَّها أقلُّ من قراءة الرَّفع ﴿أَعْلَمُ﴾ الَّتي عليها العامَّة.

وكذا تجد صدى هذا الحديث عَن الآيتَين عندَ (الزَّجَّاج –ت٣١١هـ) الَّذي عقَّب على الآية الأولى بقوله[١٩]: «أي: لهم في النَّار دار الخُلد، والنَّار هي الدَّارُ، **كما تقول:** «لك في هذه الدَّار دَارُ السُّرور، وأنتَ تعني الدَّارَ بعَيْنها، كما قال الشَّاعر:

أَخُو رَغائبَ يُعْطيها ويَسْأَلُها––يَأْبَى الظُّلامَةَ منه النَّوْفَلُ الزُّفَرُ» اهـ

وعقَّب على الآية الثَّانية بقوله[٢٠]: «فتأويلُه إذا جَزَمَ أنَّه يُقبلُ على نفسه، فيقول: اعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّ اللَّه على كلِّ شيءٍ قديرٌ...» اهـ

وكذا يتردَّد رَجْعُ حديث الفرَّاء عَن الآية عند (الطَّبريّ –ت٣١٠هـ) في «تفسيره»، غيرَ أنَّه رَجْعٌ فيه زيادةٌ وإيضاح؛ قال[٢١]: «والدَّار الَّتي أخبرَ جلَّ ثناؤه أنَّها لهم في النَّار هيَ النَّارُ، وحَسُنَ ذلك لاختلاف اللَّفظَين، **كما يُقال:** «لك من بلدتك دارٌ صالحةٌ، ومنَ الكوفة دارٌ كريمةٌ، والدَّارُ هيَ الكوفةُ والبلدةُ، فيَحسُن ذلك لاختلاف الألفاظ، وقد ذُكرَ لنا أنَّها في قراءة ابن مسعود: «ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللهِ النَّارُ دَارُ الْخُلْدِ»؛ ففي ذلك تصحيحُ ما قلنا منَ التَّأويل في ذلك، وذلك أنَّه ترجمَ بالدَّار عَن النَّار» اهـ

وأمَّا بيتُ الأخطل:

بِنَزْوةِ لِصٍّ بَعْدَمَا مَرّ مُصْعَبٌ بِأَشْعَثَ لَا يُفْلَى، ولَا هُوَ يُقْمَلُ

فقد شَرَحَه ابنُ قتيبةَ، إذ قالَ فيه[٢٢]: «لصّ يعني: زُفَرَ بنَ الحارث مرَّ به رأسُ مصعبِ بنِ الزُّبير وهو أشعث لا يُفلى، ولا هو يُقمل» اهـ

١٧– في: معاني القرآن له ٣: ١٧.

١٨– في: معاني القرآن له ١: ١٩٨.

١٩– في: معاني القرآن للزَّجَّاج ٤: ٣٨٥.

٢٠– معاني القرآن للزجاج ١: ٣٤٤

٢١– تفسير الطبريّ ٢١: ٤٦١.

٢٢– المعاني الكبير ١: ٥١٠.

ملاحظ على هذه المحطَّة:

– حين أراد الأقدمون التعلُّل لصنيع التَّجريد وأنَّه عندهم مستساغ مستعمل أبانوا عن ذلك بقولهم: «وذلك صوابٌ لو قلت، كما يقول، كما تقول، كما يُقال»، أي: إنَّ العربَ كذا نطقوا ونحن على آثارهم مُقتفون.

– تعلَّل الطَّبريّ لاستحسانه صنيعَ التَّجريد في الآية بـ «اختلاف اللَّفظين»، وهذا الَّذي تعلَّل به حاضرٌ في معنى التَّجريد الَّذي وضَّحه أبو الفتح في بابه من «خصائصه»[٢٣].

– إنَّ ما قدَّمه هؤلاء الأقدمون لا يعدو أن يكون تفسيرًا أو شرحًا لأسلوب من أساليب تصرُّف العرب بلغتهم، ومن ثَمَّ لعلَّ منَ الصَّحيح القول: إنَّ هؤلاء الأقدمين كانوا هم مَن أوقد جذوة الكلام على التَّجريد في صدر أبي عليٍّ وتلميذه النَّبيه ابن جنِّي، ثمَّ غدا فيما بعدُ مصطلحًا بلاغيًّا معروفًا.

المحطة الثَّالثة: وتشتمل هذه المحطَّة على تتبُّع شواهد باب التَّجريد في أهمِّ كتب البلاغة:

سنتوقف في هذه المحطَّة عند أهم أعلام البلاغة الَّذين تكلَّموا على التَّجريد:

أمَّا (**عبد القاهر الجرجانيُّ** –ت٤٧١هـ) في «أسرار البلاغة» فلم يُسمِّ التَّجريدَ بذا الاسم، إلَّا أنَّه سمَّاه «طريقة»، وذكر لهذه الطَّريقة نحوَين منَ الشَّواهد:

١– نحوًا يُتصوَّر فيه التَّشبيه، نحوُ[٢٤]: «لئن لقيت فلانًا لَيلْقَيَنَّك منه الأسَدُ». ويُلحظ ههنا أنَّ المعنى على تشبيه الممدوح بـ «الأسد»، أي: بجنس غير جنسه.

٢– نحوًا لا يُتصوَّر فيه التَّشبيه، نحوُ قوله سبحانَه: ﴿**لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ**﴾؛ قال[٢٥]: «والمعنى – واللَّه أعلم – أنَّ النَّارَ هي دارُ الخلد، وأنت تعلم أن لا معنى ههنا لأَنْ يُقالَ: إنَّ النَّارَ شُبِّهت بدار الخلد؛ إذ ليس المعنى على تشبيه النَّار بشيء يسمَّى دار الخُلد، كما تقول في زيد: إنَّه مثلُ الأسد، ثمَّ تقول: هو الأسدُ، وإنَّما هو كقولك: النَّار منزلُهم ومسكنُهم، نعوذ باللَّه منها» اهـ ويُلحظ ههنا أنَّ المعنى على وصف النَّار نفسها بصفة من صفاتها.

ودحض أن تسمَّى هذه الطَّريقة استعارةً، إذ قال[٢٦]: «هذا وإنَّما يُتصوَّر الحُكْمُ على الاسم بالاستعارة إذا جرى بوجهٍ على ما يُدَّعَى أنَّه مستعارٌ له، والاسمُ في قولك: «**لقيتُ به أسدًا**» أو «**لقيني منه أسدٌ**» لا يُتصوَّر جَرْيُه على المذكور بوجه؛ لأنَّه ليس بخبر عنه، ولا صفة له، ولا حال، وإنَّما **هو بنفسه** مفعولُ «لقيتُ» وفاعل «لقيني»» اهـ

–وأمَّا (**ابن الأثير** –ت٦٣٧هـ) في «المَثَل السَّائر» فبعدَ أن ذكرَ ما ارتآه هو في التَّجريد، وحدَّ له: حدًّا وفائدتَين وقسمَين انتقلَ إلى تلخيص ما ذكره أبو عليٍّ الفارسيّ، فقبل جزءًا ممَّا أدرجه في قائمة التَّجريد، ورفض جزءًا آخرَ، وأخذ عليه المآخذَ.

وسيُتطرَّقُ ههنا إلى صنيعه هذا بشيءٍ منَ التَّفصيل:

أمَّا **حدُّ التَّجريد** وفق منظور ابن الأثير نفسه فهو[٢٧] «إخلاصُ الخطاب لغيرك، وأنت تريدُ به نفسَك، لا المخاطبَ نفسَه؛ لأنَّ أصلَه في وضع اللُّغة من «جرَّدتُ السَّيفَ»، إذا نزعتَه من غمده، و«جرَّدتُ فلانًا»، إذا نزعتَ ثيابَه... وقد نُقل هذا المعنى إلى نوعٍ من أنواع علم البيان» اهـ

٢٣– وهو مذكور في مفتَتح هذا البحث.

٢٤– انظر: أسرار البلاغة ١: ٣٣٥.

٢٥– السَّابق نفسه.

٢٦– السَّابق ١: ٣٣٦.

٢٧– المثل السَّائر ١٢٨.

وأمَّا **الفائدتان** اللَّتان تحصَّلتا له بعد تأمُّلٍ وإنعام نَظَرٍ[٢٨]:

فالأولى: طلب التَّوسُّع في الكلام؛ إذ إنَّ ظاهرَه خطابٌ لغيرِك، وباطنَه خطابٌ لنفسك.

والثَّانية: تمكُّن المخاطب من إجراء الأوصاف المقصودة من مدح، أو غيره على نفسه، إذ يكون مخاطبًا بها غيرَه؛ ليكونَ أعذرَ وأبرأَ مِنَ العهدة فيما يقوله، غيرَ محجورٍ عليه. وذكر ثمَّةَ أنَّ ثاني تَين الفائدتَين أبلغُ مِنَ الأولى.

وعليه فالتَّجريد عنده ينقسم إلى **قِسْمَين**[٢٩]:

أحدهما: **التَّجريد المَحْض**: وهو أنْ تأتيَ بكلامٍ هو خطابٌ لغيرِك وأنتَ تريدُ به نفسَك، وسمَّاه أيضًا[٣٠]: التَّجريد البليغ.

والآخر: وهو **غير المَحْض**، وهو خطاب لنفسك، لا لغيرك. وسمَّاه: نصفَ تجريدٍ، وعلَّل ذلك بأَنْ قال[٣١]: «لأنَّك لم تجرِّد به عن نفسك شيئًا، وإنَّما خاطبتَ نفسَك بنفسك، كأنَّك فَصَلتها عنكَ وهي منك» اهـ

وبذا كان القسمُ الأوَّل – عندَه – هو الأَوْلى بأَنْ يُسمَّى تجريدًا معلِّلًا بأنَّ التَّجريدَ لائقٌ به.

–وأمَّا مزعمُه أنَّه ذَكَرَ خلاصةَ ما جاء به الفارسيُّ فهذا نصُّه[٣٢]:

«وأمَّا الَّذي ذَكَرَه أبو عليٍّ الفارسيُّ –رحمه الله– فإنَّه قال: إنَّ العَرَبَ تعتقدُ أنَّ في الإنسان معنًى كامنًا فيه كأنَّه حقيقتُه ومحصولُه، فيخرجُ ذلك المعنى إلى ألفاظها مجرَّدًا مِنَ الإنسان كأنَّه غيرُه، وهو هو بعينه، نحو قولهم: لئن لقيت فلانًا لتلقين به الأسد، ولئن سألته لتسألن منه البحر، وهو عينُه الأسدُ والبحرُ، لا أنَّ هناك شيئًا منفصلًا عنه أو متميِّزًا منه.

ثمَّ قال: وعلى هذا النَّمط كون الإنسان يخاطب نفسَه، حتَّى كأنَّه يُقاول غيرَه، كما قال الأعشى:

..... وهل تطيقُ وداعًا أيُّها الرَّجُلُ

وهو الرَّجلُ نفسُه لا غيرُه. هذا خلاصةُ ما ذكره أبو عليٍّ رحمَه الله" اهـ

–ثمَّ عقَّب على هذه الخلاصة بمآخذَ ثلاثة[٣٣]:

المأخذ الأوَّل: **رفضُه تسميةَ التَّجريدِ في: «لئن لقيتَ فلانًا لتلقينَّ به الأسدَ» زاعمًا أنَّ التَّسميةَ في مِثْله ليست سوى: تشبيه مضمر الأداة**، وذلك بقوله:

«والَّذي عندي فيه أنَّه أصاب في الثَّاني، ولم يُصب في الأوَّل؛ لأنَّ **الثَّاني** هو التَّجريد؛ ألا ترى أنَّ الأعشى جرَّد الخطابَ عن نفسه، وهو يريدها. وأمَّا **الأوَّل**، وهو قوله: «لئن لقيتَ فلانًا لتلقينَّ به الأسدَ، ولئن سألتَه لتسألنَّ منه البحرَ» فإنَّ هذا تشبيهٌ مضمرُ الأداة» اهـ

وأردف كلامه ثمَّةَ بأنَّ هذا النَّوع الأوَّل، وهو قولُك: «لئن لقيتَ فلانًا لتلقينَّ منه كالأسد، ولئن سألتَه لتسألنَّ منه كالبحرِ» ليس بتجريدٍ؛ لأنَّه يَحسُن تقديرُ أداةِ التَّشبيه فيه، ولأنَّ حقيقةَ التَّجريدِ غيرُ موجودةٍ فيه.

٢٨– انظر: السَّابق ١٢٨، ١٢٩.

٢٩– انظر: السَّابق ١٢٩.

٣٠– انظر: السَّابق ١٣٠.

٣١– السَّابق ١٣١.

٣٢– السَّابق ١٣٢.

٣٣– انظر هذه المآخذ في: المثل السَّائر ١٣٢– ١٣٤.

المأخذ الثَّاني: **انطلاقُه مِنَ الحدِّ الَّذي وضعَه هو للتَّجريد في تأكيدِ وجودِ التَّجريد أو عدمه**:

إذ قال مُعقِّبًا على ما قاله في مأخذه الأوَّل: «وقد **سبق القولُ بأنَّ التَّجريدَ** هو أن تطلقَ على غيرك، ولا يكونَ هو المراد، وإنَّما المرادُ نفسُك، وهذا لا يوجد في هذا المثال المضمرِ الأداة، بل المخاطبُ هو هو لا غيرُه، فلا يطلقُ عليه إذنْ اسمُ التَّجريد؛ لأنَّه خارجٌ عن حقيقته، ومنافٍ لموضوعه. فإذا قال القائل: «لئن لقيتَه لتلقينَّ به كالأسد، ولئن سألته لتسألنَّ منه كالبحر» لم يجرِّد عَنِ المقولِ عنه شيئًا، وإنَّما شبَّهه تارةً بالأسد في شجاعته، وتارةً بالبحر في سخائه. وما أعلم كيفَ ذهبَ هذا على مِثل أبي عليٍّ -رحمه الله- حتَّى خلطَه بالتَّجريد، وأجراه مُجراه؟!» اهـ

المأخذ الثَّالث: **إنكارُه على أبي عليٍّ قولَه: «إنَّ العربَ تعتقد أنَّ في الإنسان معنًى كامنًا فيه كأنَّه حقيقتُه ومحصولُه، فخرجَ ذلك المعنى إلى ألفاظها مجرَّدًا مِنَ الإنسان كأنَّه غيره، وهو هو بعينِه» = إذ تجسَّد إنكارُ ابنِ الأثير على قول أبي عليٍّ هذا من أربع جهات**:

-**الجهة الأولى:** من حيثُ ظنُّه قصرَ هذا الاعتقاد على العرب، إذ قال[٣٤]: «فأقول: وغير العرب أيضًا تعتقد ذلك» اهـ

-**والجهة الثَّانية:** من حيث تخصيصُه ذلك بالإنسان[٣٥].

والجهة الثَّالثة: من حيث تفسيرُه: «معنًى كامنًا»:

إذ إنَّك لترى ابنَ الأثير يحدِّدُ هذا **المعنى الكامنَ في الإنسان** بأنَّه أحدُ معنَيين لا ثالثَ لهما[٣٦]:

١- إمَّا أن يكون: **معنى الإنسانيَّة** الذي هو الاستعداد للعلوم والصَّنائع، وعليه قال[٣٧]: «فما هذا مِنَ الشَّيء الغريبِ الخفيِّ الَّذي عَلِمَته العربُ خاصَّةً، وانفردَ باستخراجه أبو عليٍّ رحمه الله!» اهـ

٢- وإمَّا أن يكون: **ما فيه مِنَ الأخلاق، كالشَّجاعة والسَّخاء** في المثال الَّذي ذكره، حتَّى يشبِّه بالأسد تارةً، وبالبحرِ أخرى، إذ قال[٣٨]: «فليسَ الإنسانُ مختصًّا بهذا المعنى الكامنِ دونَ غيره مِنَ الحيوانات، بل الأسدُ فيه من معنى الشَّجاعة ما ليس في الإنسان، ولهذا إذا بولغ في وصف الإنسانِ بالشَّجاعة شُبِّه بالأسد، وكذلك في بعض الحيوانات مِنَ السَّخاء ما ليس في الإنسان... فالأخلاقُ إذًا مشتركةٌ بين الإنسان، وبين غيره مِنَ الحيوانات، غير أنَّ الإنسانَ يجتمعُ فيه ما تفرَّق في كثيرٍ منها. وما أعلمُ ما أراد أبو عليٍّ -رحمه الله- بقوله: «إنَّ في الإنسانِ معنًى كامنًا فيه كأنَّه حقيقتُه ومحصولُه»، إلَّا أن يكونَ أحدَ هذين القسمين اللَّذين أشرتُ إليهما» اهـ

والجهة الرَّابعة: من حيث تفسيرُه: «كأنَّه حقيقتُه ومحصولُه».

فتجدُه يُبطل قولَ أبي عليٍّ - وفق فهمه هو- أنَّ حقيقة الإنسان تتمثَّل بالشَّجاعة والسَّخاء، إذ قال[٣٩]: «على أنَّ القسْمَ الواحدَ الَّذي هو خُلُقُ الشَّجاعة والسَّخاء وغيره مِنَ الأخلاق ليس عبارةً عن حقيقة الإنسان، إذ لا يُقال في حدِّه: «حيوان شجاع، ولا سخيٌّ»، بل يُقال: «حيوان ناطقٌ»، **فالنُّطق الَّذي هو الاستعدادُ للعلومِ والصَّنائعِ هو حقيقةُ الإنسانِ**» اهـ

٣٤- المثل السَّائر ١٣٣.

٣٥- انظر: السَّابق ١٣٢، ١٣٣.

٣٦- انظر: السَّابق ١٣٣، ١٣٤.

٣٧- السَّابق ١٣٣.

٣٨- السَّابق ١٣٣، ١٣٤.

٣٩- السَّابق ١٣٤.

ثمَّ **أجملَ ابنُ الأثير مآخذَه على الفارسيّ** تلك بعدَ تفصيلٍ بأَنْ قال[٤٠]: «فالخطأُ توجَّه في كلامه من وجهين: أحدهما: أنَّه جعلَ حقيقةَ الإنسان عبارةً عَن خُلُقه. والآخر: أنَّه أدخلَ في التَّجريد ما ليس منه» اهـ

ثمَّ جاء مَن خطَّأَ ابنَ الأثير في تخطئته أبا عليٍّ من هذين الوجهَين ومن زوايا أُخر.

أمَّا مَن خطَّأَ ابنَ الأثير في تخطئته أبا عليٍّ من هذين الوجهَين فهو (المؤيَّدُ بالله –ت٧٤٥هـ) الَّذي جاء ردُّه **وفق وجهَين مُفسدَين للمذكورَين؛ فساد مأخذه الأوَّل** يتحقَّق بالحقِّ الَّذي ينطوي عليه كلام الفلاسفة والمعتزلة من أنَّ حقيقةَ الإنسان هي أمرٌ حاصلٌ فيه، ومن ثمَّ حُقَّ للمؤيَّد أن يقول[٤١]: «**ولم يُنكره ابنُ الأثير إلَّا لأنَّه قليلُ الخلطة بالمباحث الكلاميَّة والعلوم العقليَّة**، ولو اطَّلع على مقالة العقلاء منَ المسلمين والفلاسفة واضطراب أقوالهم فيها لم يُنكرْ على الفارسيِّ هذه المقالةَ، ولَتحقَّقَ يقينًا لا شكَّ فيه أنَّ في الزَّوايا خبايا، وأنَّ في الخبايا خفايا» اهـ

وفساد مأخذه الثَّاني القاضي بأنَّه قد أدخل في التَّجريد ما ليس منه يتحقَّق **بحقيقة أنَّ الإنسان أمرٌ مخالف لهذه البنية «المدركة المحسوسة** عقل التَّجريد، وكأنَّها هي المخاطبةُ بالخطابات والمراد غيرُها؛ كما قلناه في التَّجريد المحقَّق من أنَّ الخطابَ موجَّهٌ إلى غيرك وأنتَ في الحقيقة تريد به نفسَك»[٤٢] اهـ

هذا وإنَّ (المؤيَّدَ بالله –ت٧٤٥هـ) كان قد **اتَّبعَ ابنَ الأثير** في تعريف التَّجريد وفي تقسيمه إلى قسمَين: محض وغير محض. غيرَ أنَّه **أيَّد** في هذا القسم الأخير غير المحض الَّذي هو خطاب للنَّفس لا غير = **مذهبَ أبي عليٍّ الفارسيّ** الَّذي سمَّاه تجريدًا، وهذا هو الَّذي ذهب إليه أكثرُ الفلاسفة، إذ أقرَّ بأنَّ[٤٣]: «الإنسانيَّة عبارة عَن النَّفْس النَّاطقة، وهي أمرٌ حاصلٌ في الإنسان ليسَت جسمًا ولا عَرَضًا، ولكنَّها حقيقةٌ معقولةٌ إلى غير ذلك منَ التَّفاصيل لمذهبهم، فإذا كان الأمرُ كما قلناه فحاصلُ كلام الفارسيِّ أنَّ العَرَبَ تعتقد أنَّ في الإنسان معنًى كامنًا فيه، فتعتقد أنَّه أمرٌ خارجٌ عَن الإنسان، فتخاطبُه بالخطاب والغرضُ غيرُه، فلهذا كان هذا تجريدًا مُشْبهًا للأوَّل» اهـ

وأمَّا مَن خطَّأَ ابنَ الأثير من زوايا أُخَرَ فكان منهم (ابنُ أبي الحديد – ت ٦٥٦هـ) في «فَلَكه الدَّائر على المَثَل السَّائر»، وسنذكر ههنا من مآخذه على كلام ابن الأثير مأخذَين:

المأخذ الأوَّلُ: مأخذ ابن أبي الحديد على مأخذ ابن الأثير الأوَّل الَّذي أنكر فيه تسمية التَّجريد عند أبي عليٍّ لمَا سمَّاه هو تشبيهًا مضمرَ الأداة؛ قال[٤٤]: «قد بيَّنَّا أنَّ المنازعةَ في هذا الموضع لفظيَّة لا طائلَ تحتَها، ولو أنَّ أبا عليٍّ رضي الله تعالى عنه اختارَ أن يُسمِّي المجازُ تجريدًا؛ بمعنى أنَّه لفظٌ قد جُرِّدَ عَن موضوعه الأوَّل، أي: خُلِعَ عنه، وجُعلَ لغيره = واصطَلحَ هو ونفسُه، أو هو وأصحابُه على ذلك، هل كان لنا أن نخاصمَهم وننازعَهم، ونقولَ لهم: قد أخطأتم في هذا الاصطلاح وهذه المواضعة؟» اهـ

المأخذُ الثَّاني: مأخذُ ابن أبي الحديد على مأخذ ابن الأثير الثَّالث من حيثُ جهتُه الثَّانية: وهي تخصيص التَّجريد بالإنسان؛ قال[٤٥]: «إنَّ أبا عليٍّ لم يُرد أنَّ هذا الاستعمالَ مقصورٌ على الإنسان فقط، ولا صرَّح بذلك، ولا

٤٠– المثل السَّائر ١٣٤.
٤١– الطِّراز ٣: ٤٣.
٤٢– السَّابق نفسه ٣: ٤٣.
٤٣– السَّابق ٣: ٤٢.
٤٤– الفلك الدَّائر ٤: ٢٢١.
٤٥– الفلك الدَّائر ٤: ٢٢٠.

كنَّى عنه، ولا هو مفهومٌ من فحوى قوله: «إنَّ العربَ تعتقد في الإنسان معنًى كامنًا فيه» لا يدلُّ على نفي الحُكم عمَّا عداه، وإنَّما مَثَّل بالإنسان؛ لأنَّه أشهر، ولأنَّ استعمالَه فيه ودورانَه على ألسنتهم وفي ألفاظهم أكثرُ» اهـ

وأمَّا هذا المبحثُ فحَقيقٌ على أن يكون له مآخذُه على آراء ابن الأثير ومآخذه المُجمَلة قبلُ[٤٦]:

أمَّا المآخذُ على الخلاصة الَّتي جاء بها ابنُ الأثير مُلحقًا إيَّاها بأبي عليٍّ الفارسيِّ فيُلحَظ فيها بعد مقارنتها بكلام ابن جنِّي حين عرَّف معنى التَّجريد في مفتتح بابه[٤٧] أنَّ:

– معنى التَّجريد هذا قد ذكره ابنُ جنِّي في "خصائصه" بصورة هي الأقرب لمَا ذكره ابنُ الأثير، على حين أنَّ ابنَ الأثير غيَّب ذِكْرَ ابن جنِّي كُليًّا، وجعل الكلامَ برُمَّته منسوبًا إلى أستاذه أبي عليٍّ.

– ابنَ الأثير حوَّر كلامَ ابن جنِّي، وغيَّره بحيث يتوافق مع منظوره الَّذي ارتآه هو عَن التَّجريد، ومن هذه التَّغييرات:

ابن جنِّي	ابن الأثير وفق ما فهمه	الخلل الَّذي أحدثه
الْعَرَبَ قَدْ تَعْتَقِدُ أَنَّ فِي الشَّيْءِ مِنْ نَفْسِهِ مَعْنًى آخَرَ كَأَنَّهُ حَقِيقَتُهُ ومَحْصُولُهُ.	العرب تعتقد أنَّ في الإنسان معنًى كامنًا فيه كأنَّه حقيقته ومحصوله.	–قصر اعتقاد العرب هذا على الإنسان، فطوَّعه بذا لمَا يخدم ما فهمَه هو عن التَّجريد (خطاب لغيرك+ خطاب لنفسك) فحسب.
وعَلَى هذَا يُخَاطِبُ الْإِنْسَانُ مِنْهُمْ نَفْسَهُ، حَتَّى كَأَنَّهَا تُقَابِلُهُ أَوْ تُخَاطِبُهُ.	وعلى هذا النمط كون الإنسان يخاطب نفسَه، حتّى كأنَّه يُقاول غيره.	– طوَّع قول ابن جنِّي بما يخدم قسمة التجريد عنده هو؛ إذ إنّ مخاطبة النَّفس عنده هي «نصف تجريد»، فتحوَّل عنها.

وأمَّا المآخذ على مآخذ ابن الأثير نفسه:

فالمأخذُ على مأخذه الأوَّل: أنَّ ابنَ جنِّي قد أقرَّ بالقول بالتَّجريد في نحو ما **سمَّاه ابنُ الأثير: تشبيهًا مضمرَ الأداة**، وإقرارُ ابن جنِّي هذا حاضرٌ ماكثٌ في بابَين من أبواب «خصائصه» اللَّذين احتوَيا على قول طَرَفة:

جَـــازَتِ الْبَـــيـــدَ إِلَى أَرْحُـــلِنَـــا آخِـرَ اللَّيْـــلِ بِيَعْـفُـــورٍ خَـــدِرْ

= لغَرَضَين متباينَين. فالبابُ الأوَّلُ (باب في مشابهة معاني الإعراب): أوردَ فيه ابنُ جنِّي قولَ طَرَفةَ في معرض الكلام على أنَّ الفروع في حال استعمالها على فرعيَّتها تأتي مأتى الأصل الحقيقيِّ، لا الفرعِ التَّشبيهيِّ. ثمَّ فسّره بقوله[٤٨]: «أي: بشخص أو بإنسان مثل اليعفور، وهو واسعٌ كثير» اهـ

ثمَّ إنَّه جعلَ قولَ طَرَفةَ هذا شاهدًا على التَّجريد فيما بعدُ في: (باب في التَّجريد).

ومن ثَمَّ يتلاشى مزعمُ ابن الأثير إذا ما قورن بصنيع ابن جنِّي ببيت طَرَفة في البابَين.

والمأخذ على مأخذه الثَّاني: **عَدُّه ما جاء به هو من حَدٍّ للتَّجريد كلامًا نهائيًّا ثابتًا، لا رجعةَ فيه، ولا زيادةَ عليه**[٤٩].

– والمأخذ على مأخذه الثَّالث، له أربع جهات تابعات لجهاته هو:

أمَّا الجهة الأولى **ففيها تجنٍّ على أبي عليٍّ، وتقويلٌ للرَّجل بما لم يَقُلْ**؛ إذ إنَّه رَجُلٌ صناعتُه الكلامُ على كلام العرب الَّذين اختصَّهم الله بهذه اللُّغة الشَّريفة دون غيرهم من الأمم[٥٠].

٤٦– سلفت.

٤٧– انظر: صدر هذا البحث.

٤٨– الخصائص ٢: ١٧٩.

٤٩– وهذا المأخذُ مستوحًى من مأخذ من مآخذ ابن أبي الحديد على ابن الأثير في الفلك الدَّائر؛ انظر منه: ٤: ٢١٩.

٥٠– الكلامُ ههنا يتقاطع مع مأخذٍ ممَّا أخَذَهُ ابنُ أبي الحديد على ابن الأثير في الفلك الدَّائر؛ انظر منه: ٤: ٢٢٢، ٢٢٣.

وأمَّا الجهة الثَّانية فإنَّ **تخصيص ذلك بالإنسان هو من زعمه هو** على ما نَسَبَه إلى الفارسيّ؛ إذ إنَّ الكلامَ الَّذي عُثِرَ عليه موافقًا لمَا جاء به ابنُ الأثير على لسان أبي عليٍّ هو كلامُ ابن جنِّي الَّذي قد قال: «ومَعْنَاهُ: أَنَّ الْعَرَبَ قَدْ تَعْتَقِدُ أَنَّ فِي الشَّيْءِ مِنْ نَفْسِه مَعْنًى آخَرَ كَأَنَّهُ حَقِيقَتُهُ ومَحْصُولُهُ...»، ولم يقل: «في الإنسان»!

وأمَّا الجهة الثَّالثة الَّتي تتكلَّم على جُزئيَّة «معنًى كامنًا» **فينبغي النَّظر ههنا إلى هذا المعنى الكامن في الإنسان على أنَّه**[٥١]:

– **خارج كينونة الإنسان**، فيكون مجيءُ هذا المعنى على أنَّه أُريدَ تشبيه الإنسان به.

– **داخل كينونة الإنسان**، فيكون مجيءُ هذا المعنى على أنَّه صفة من صفات هذا الإنسان.

أمَّا أن يُنظَرَ إلى التَّفريق بينَ الإنسان والحيوان فلا موضعَ لمثل هذا ههنا.

– وأمَّا الجهة الرَّابعةُ فالمزعم ههنا أنَّ **ابن الأثير حاول التطرُّق إلى المعنى الفلسفيِّ في الكلام على حقيقة الإنسان**، إذ جعلَ النُّطقَ الَّذي هو الاستعدادُ للعلوم والصَّنائع هو حقيقةَ الإنسان!

وبعدُ، فهذه أقاويلُ ابتناها ابنُ الأثير على وهم كان قد خطَّه بيمينه؛ إذ استبدلَ كلمةَ «**الإنسان**» بكلمة «**الشَّيء**». فالعَجَبُ كلُّه من ابن الأثير نفسه كيف بدَّل كلمةً بكلمة، ثمَّ بنى على هذه الكلمة أقاويل كانت تجول في خاطره تَبَعًا لمَا فَهِمَه من معنى التَّجريد الَّذي نَسَبَه إلى أبي عليٍّ، وهو في حقيقته لأبي الفتح تلميذه.

وأمَّا (**شهاب الدِّين النُّويريُّ** – ت٧٣٣هـ) فقد ذكر في «نهاية الأرب» تعريفًا للتَّجريد هو الأقرب للَّذي جاء به ابنُ جنِّي من قبلُ[٥٢].

وما جاء به (**الخطيب القزوينيّ** – ت٧٣٩هـ) في «شرح التَّلخيص» يكاد ينطق بمطابقته فحوى ما اشتمل عليه كتاب النُّويريّ المذكور آنفًا؛ **فتعريف التَّجريد** واحدٌ، والشَّواهد الَّتي شُفعت بها **أقسامُه** واحدة، إلَّا أنَّ كتابَ القزوينيّ فيه فضلُ شرحٍ وزيادةُ تفصيل[٥٣].

وكذا ما اشتمل عليه كتاب النُّويريّ هو نفسُه الَّذي يتكرَّر رَجْعُ حديثه في كتب بلاغيِّي العصر الحديث، ونذكر منها: «جواهر البلاغة» لـ (**الهاشميّ** –ت ١٣٦٢هـ)[٥٤]، و«علوم البلاغة» لـ (**المراغيّ** – ت ١٣٧١هـ)[٥٥]، و«بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح» لـ (**الصَّعيديّ** – ت ١٣٩١هـ)[٥٦]، و«البلاغة العربيَّة» لـ (**الميدانيّ الدِّمشقيّ** – ت ١٤٢٥هـ)[٥٧].

غيرَ أنَّ هذا الأخيرَ –أعني الميدانيَّ الدِّمشقيَّ– قد زاد على أقسام التَّجريد قسمًا لم يذكره النُّويريُّ ولا القزوينيّ، والمزعمُ ههنا أنَّه قد تأتَّى له هذا من جرَّاء اطلاعه على ما اشتملت عليه «خزانة الأدب» لـ (ابن حجَّة الحمويّ –ت ٨٣٧هـ) الَّذي مثَّل للتَّجريد، فقال: «كقولك: مررت بالرَّجل الكريم، والنَّسمة المباركة»، فجردَّتَ من الرَّجُل نسمةً متَّصفةً بالبركة، وعطفتَها عليه كأنَّها غيرُه، وهي هو»[٥٨] اهـ

هذا التَّمثيل للتَّجريد حاضرٌ في كتاب «البلاغة العربيَّة» للميدانيِّ الدِّمشقيِّ تحت قسم من أقسام التَّجريد؛ هو: **«ما يكون باستخدام العطف على المُنتزَع منه»**[٥٩].

إذن فهذه المحطَّة الأخيرة قد اشتملت على ذكر صنيع أهمِّ أعلام البلاغة الَّذين تكلَّموا على التَّجريد:

٥١– هذان القسمان مستوحيان ممَّا أورده الإمام الجرجانيّ؛ انظر: ما سلف ذكرُه.

٥٢– انظر: نهاية الأرب ٧: ١٥٦.

٥٣– انظر: شرح التَّلخيص في علوم البلاغة للقزوينيّ ١٧١ – ١٧٣.

٥٤– انظر: جواهر البلاغة ١: ٣٠٨.

٥٥– انظر: علوم البلاغة ١: ٣٣٤، ٣٣٥.

٥٦– انظر: بغية الإيضاح ٤: ٦٠٩– ٦١١.

٥٧– انظر: البلاغة العربيَّة ٢: ٤٣١– ٤٣٥.

٥٨– خزانة الأدب لابن حجَّة ٢: ٤٣٨.

٥٩– انظر: البلاغة العربيَّة ٢: ٤٣٤.

أمَّا (الإمام الجرجانيُّ) **فلم يخرج عمَّا اختطَّه له ابنُ جنِّي قبلُ**، إلَّا أنَّه كنَّى عنه بقوله: «طريقة».

وأمَّا (ابنُ الأثير) **فذكر فائدتين للتَّجريد الَّذي اكتفى بقبول جزءٍ من تعريف ابن جنِّي له، ورفض الجزءَ الآخرَ وأخذ مآخذَ عليه**، ثمَّ ذكرَ البحثُ مآخذَ على مآخذه تلك من عنده ومن عند غيره.

وأمَّا (شهاب الدِّين النُّويريُّ) **فقد ذكر تعريفًا للتَّجريد هو الأقرب للَّذي جاء به ابنُ جنِّي** من قبلُ، وهو الَّذي تبنَّاه البحثُ هنا.

وأمَّا (الخطيب القزوينيّ) فسار على **النَّهج الَّذي خطَّ رَسْمَه النُّويريّ**، فتبعَه في التَّعريف والأقسام.

ثمَّ لم يأتِ واحدٌ ممَّن تبعهم بشيءٍ يُحسَب له.

وبعدُ، فالخلاصةُ المُصطفاة ههنا ممَّا سبق:

–تعريفُ التَّجريد الأقربُ لِمَا جاء به (ابنُ جنِّي) هو تعريف (النُّويريّ): وهو أن يُنتزع من أمرٍ ذي صفةٍ أمرٌ آخرُ مثلُه في تلك الصِّفة؛ مبالغةً في كمالها في المُنتزَع منه.

–فائدتُه: المبالغةُ في كمال الصِّفة في المُنتزَع منه.

–سببُه: اعتقادُ العَرَب أَنَّ فِي الشَّيْءِ مِنْ نَفْسِه مَعْنًى آخَرَ كَأَنَّهُ حَقِيقَتُهُ ومَحْصُولُهُ، وهذا ما دعاهم إلى أَنْ أَحَلُّوا نفسَ الشَّيءِ منَ الشَّيءِ محلَّ البعضِ منَ الكُلِّ.

–نشأتُه: قديمةٌ قِدَمَ الكلام العربيِّ؛ فالأقدمون حين أرادوا التَّعلُّل لصنيع التَّجريد، وأنَّه عندهم مستساغ مستعملٌ أبانوا عن ذلك بأنَّ العربَ كذا نطقوا، فهُمْ على آثارهم مُقتفون.

–أركانُه: المجرَّد + المجرَّد منه + أداة التَّجريد. أمَّا الأداةُ فقد تغيبُ حقيقةً، وأمَّا المُجرَّد منه فإن غاب حقيقةً فإنَّه حاضرٌ في ذهن المتلقِّي[٦٠]، وأمَّا المجرَّد فلا يغيب.

–عمادُه: الإلمام بالإعراب والحذق بالتَّفسير وتقدير المعنى.

– من أقسام التَّجريد[٦١]:

– ما يكون بوساطة: من، الباء، في.

– ما يكون دون وساطة.

– ما يكون بطريق الكناية.

– مخاطبة الإنسان نفسه.

– ما يكون باستخدام العطف على المُنتزَع منه.

–الأشياء المؤثِّرة في جواز وجوده:

احتماليَّة القراءة القرآنيَّة، والاحتماليَّة الإعرابيَّة، واحتماليَّة تقدير المعنى.

– من العلامات الَّتي نَصَبَها أبو الفتح في كتبه الأخرى؛ ليُهتدى بها في درب التَّجريد:

العلامة الأولى: **أوَّلُ طريق التَّجريد معرفةُ الإعراب.**

العلامة الثَّانية: **يَصِحُّ أن يُجرى التَّجريدُ على الله سبحانَه لا على الحقيقة، وإنَّما على عادة العرب ومذهب خطابهم.**

العلامة الثَّالثة: **التَّجريد في حال كونه مخاطبةَ نفسٍ أو خطورَ خاطرٍ قد تُجرى فيه المخاطبةُ مُجرى المناظرة.**

٦٠– وغيابُه حين يكون المجرَّد منه هو الأنا المتكلِّمة المعبَّر عنها عن طريق المعادل الموضوعيّ خاصَّةً؛ انظر ما سلف في صدر البحث.

٦١– انظر تفصيل هذه الأقسام في: شرح التَّلخيص في علوم البلاغة للقزوينيّ ١٧١ – ١٧٣. ما عدا القسم الأخير الَّذي ذكرنا قبلُ أنَّ الجائي به هو الميدانيّ الدمشقيّ، فكان تَبَعًا لابن حجَّة الحمويّ.

المصادر والمراجع:

– أسرار البلاغة، لعبد القاهر الجرجانيّ، قرأه وعلَّق عليه: محمود محمَّد شاكر، القاهرة، جُدَّة، مطبعة المدني، ١٩٩١م.

– بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، لعبد المتعال الصَّعيديّ، ط ١٧، مكتبة الآداب، ٢٠٠٥م.

– البلاغة العربيَّة، لعبد الرَّحمن بن حسن بن حبنَّكة، ط١، دمشق، دار القلم، ١٩٩٦م.

– تفسير الطَّبريّ جامع البيان عن تأويل القرآن، للطَّبريّ أبي جعفر محمَّد بن جرير، تحقيق: أحمد محمَّد شاكر، ط١، مؤسسة الرِّسالة، ٢٠٠٠م.

– التَّمام في شرح أشعار هُذيل ممَّا أغفله أبو سعيد السُّكَّريّ، لأبي الفتح عثمان بن جنِّي، تحقيق ودراسة: أحمد محمَّد عبد العزيز علَّام، ط١، الرِّياض، مكتبة الملك فهد الوطنيَّة، ٢٠١٦م.

– التَّنبيه على شرح مشكلات الحماسة، لأبي الفتح عثمان بن جنِّي، تحقيق: حسن محمود هنداوي، ط١، الكويت، وزارة الأوقاف والشُّؤون الإسلاميَّة، ٢٠٠٩م.

– جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، لأحمد بن إبراهيم الهاشميّ، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصّميليّ، ط١، بيروت، المكتبة العصريَّة، ١٩٩٩م.

– الحُجَّة للقرَّاء السَّبعة أئمَّة الأمصار بالحجاز والعراق والشَّام الَّذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد، لأبي عليٍّ الفارسيّ، تحقيق: بدر الدِّين قهوجي، وبشير جويجاتي، ومراجعة عبد العزيز رباح وأحمد يوسف الدّقّاق، ط١، دمشق، دار المأمون للتُّراث، ١٩٨٤ – ١٩٩٣م.

– خزانة الأدب وغاية الأرب، لابن حجَّة الحمويّ، تحقيق: عصام شقيو، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ٢٠٠٤م.

– الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جنِّي، تحقيق: محمَّد علي النَّجَّار، دار الكتب المصريَّة، ١٩٥٢م.

– شرح التَّلخيص في علوم البلاغة، لجلال الدِّين القزوينيّ، شرحه وخرَّج شواهده: محمَّد هاشم دويدري، ط٢، بيروت، دار الجيل، ١٩٨٢م.

– الطِّراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، للمؤيَّد بالله، ط١، بيروت، المكتبة العنصريَّة، ١٤٢٣ه.

– علوم البلاغة «البيان والمعاني والبديع»، لأحمد بن مصطفى المراغي.

– الفلك الدَّائر على المَثَل السَّائر، لأبي حامد بن أبي الحديد، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، القاهرة، دار نهضة مصر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع.

– كتاب الشِّعر لأبي عليٍّ الفارسيّ، تحقيق: محمود محمَّد الطَّناحيّ، ط١، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٨م.

– المُبهِج في تفسير أسماء شعراء الحماسة، لأبي الفتح عثمان بن جنِّي، قرأه وشرحه وعلَّق عليه: مروان العطيَّة وشيخ الرَّاشد، ط١، دمشق، دار الهجرة، ١٩٨٨م.

– المَثَل السَّائر في أدب الكاتب والشَّاعر، لأبي الفتح ضياء الدِّين المعروف بابن الأثير الكاتب، تحقيق: محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصريَّة للطِّباعة والنَّشر، ١٤٢٠هـ.

– المُحتسَب في تبيين وجوه شواذّ القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح عثمان بن جنِّي، تحقيق: علي النَّجدي ناصف، وعبد الحليم النَّجَّار، وعبد الفتَّاح إسماعيل شلبيّ، ط٢، دار سزكين للطِّباعة والنَّشر، ١٩٨٦م.

– مختار تذكرة أبي عليٍّ الفارسيّ وتهذيبها، لأبي الفتح عثمان بن جنِّي، تحقيق: حسين أحمد بو عبَّاس، ط١، الرِّياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدِّراسات الإسلاميَّة، ٢٠١٠م.

– معاني القرآن، للأخفش أبي الحَسَن سعيد بن مسعدة، تحقيق: د. هدى محمود قراعة، ط١، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٠م.

– معاني القرآن وإعرابه، للزَّجَّاج أبي إسحاق إبراهيم بن السريّ، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، ط١، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٨م.

– معاني القرآن، للفرّاء أبي زكريَّا يحيى بن زياد. الجزء الأوَّل تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، والثَّاني: تحقيق محمَّد عليّ النَّجَّار، والثَّالث، د. عبد الفتَّاح إسماعيل الشِّلبيّ، ط١، مصر، الدَّار المصريَّة للتَّأليف والتَّرجمة، ١٩٥٥م.

– المعاني الكبير في أبيات المعاني، لابن قتيبة أبي محمَّد عبد الله بن مسلم، تحقيق: سالم الكرنكوي، وعبد الرَّحمن بن يحيى اليمانيّ، ط١، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ١٩٨٤م. (وهي طبعة مصوَّرة عن مطبعة دائرة المعارف العثمانيَّة – حيدر آباد الدكن بالهند، ط١، ١٩٤٩م).

– نهاية الأَرَب في فنون الأدب، لشهاب الدِّين النُّويريّ، ط١، القاهرة، دار الكتب والوثائق القوميَّة، ١٤٢٣ه.

هامش:

١– انظر: مختار التَّذكرة ٣٠٢.

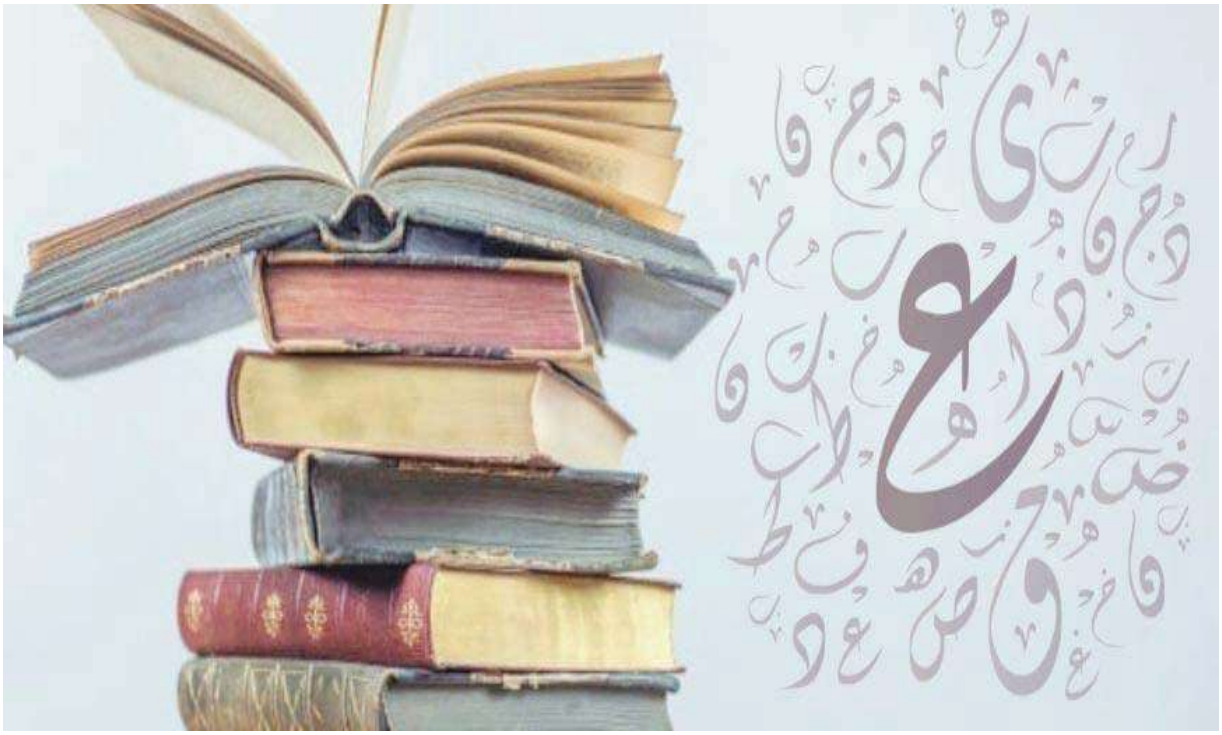

تصحيفاتُ أئمّةِ اللّغةِ في: (العُبابِ الزّاخِر) بتحقيقِه الجديد

(القسمُ الثّاني)

د. محمّد بهاء بن حسن كَكُّو[1]

تمهيد:

حرصَ علماؤُنا على حفظِ لغةِ القرآنِ العزيزِ خالصةً نقيّة؛ فأخذَ بعضُهم على بعضٍ فيما وقعَ منهم في مصنّفاتِهم من سهوٍ أو غلط، وصنّفوا في ذلك كتباً، وليسَ في ذلك عيبٌ عليهم ولا نقصٌ؛ إذ الإنسانُ قد جُبِلَ على الخطأ والنّسيان، وكانَ أخذُهم على بعضٍ؛ نصيحةً منهم للعلم، وحفظاً له، ونفعاً لحمَلَتِه، لا غضّاً من أحدٍ ولا طعناً عليه، وإنّما تُعَدُّ أغلاطُ العلماء، وسِقَاطُ الفضلاء، فأمّا الجهّالُ فلا يُعبأ بهم وبقولِهم[2].

وأتابعُ في الآتي من صفحاتِ القسمِ الثّاني من هذا البحثِ حشدَ ما رآه الإمامُ الصّغانيُّ (٦٥٠هـ) -في الأجزاءِ الثلاثةِ الثّانيةِ من معجمِه الماتعِ (العُباب الزّاخر)- تصحيفاتٍ لأئمّةِ الشّأن، كانت حصيلةَ تتبّعِه آثارَهم، ومنهم: سيبويهِ (١٨٠هـ)، واللّيثُ (؟)، وابنُ الأعرابيّ (٢٣١هـ)، وابنُ دريد (٣٢١هـ)، والخارْزَنْجيُّ (٣٤٨هـ)، والأزهريُّ (٣٧٠هـ)، وابنُ عبّاد[3](٣٨٥هـ)، والجوهريُّ (٣٩٣هـ)، وذلك في أربعةٍ وعشرين تركيباً لغويّاً -من (العُباب)- وقعَ اختياري عليها، وكانَ الصّغانيُّ -فيما ظهرَ لي- مُحقّاً في بعضِ مواطنِ تلك التّصحيفات، ومجانباً الصّوابَ في بعضِها الآخر.

(١) عضو الهيئة التّدريسيّة في المعهد العالي للّغات، جامعة حماة، سوريـة.

(٢) انتخبتُ ما سبقَ من كلامٍ نفيسٍ لأبي أحمدَ العسكريّ (٣٨٢هـ)، وللحافظِ ابن ناصرٍ السَّلاميّ (٥٥٠هـ) في مقدّمتَي كتابَيهما: (شرح ما يقعُ فيه التّصحيف والتّحريف، والتّنبيهُ على الغريبَين).

(٣) وستجدُ -في هذا القسم من بحثنا- أنّ ابنَ عبّادٍ ما زالَ المستهدفَ الأكبر في التّصحيفاتِ التي ارتآها الصّغانيّ.

وأذكّرُ القارئَ بخُطّةِ عملي، وهي أن أذكرَ التّركيبَ اللّغويَّ أوّلاً، ثمّ أتلوه بتمهيدٍ يسيرٍ بين يدي نقلي عن الصّغانيّ، ثمّ أنقلُ النّصَّ موضعَ التّصحيف. وكانَ معتمَدُ جهدي وجوهرُه التّعليقَ في الحواشي –باقتضاب– بما ظننتُه مجلّياً لكلِّ مسألة، وأخيراً كنتُ أختمُ برأيٍ موجَزٍ مبنيٍّ على ملخّصِ ما اطّلعتُ عليه من تفاصيلِ المسألةِ المنثورةِ في حواشيها؛ فأقولُ واللهُ العاصمُ من الزّلل:

١) **تركيب (ض و خ)**[٤]: وفيه ينقلُ الصّغانيُّ عبارةً عن ابنِ عبّاد (٣٨٥هـ)، وأخرى نقلَها ابنُ عبّادٍ عن الخارْزَنجيّ[٥] (٣٤٨هـ)، ثمّ يذكرُ أنّ تصحيفاً أصابَ كلمتين في كلتا العبارتين؛ فيقول: «ابنُ عبّاد[٦]: «(ضَاخٌ): موضعٌ بالباديةِ. وقالَ الخارْزَنْجيُّ[٧]: (الضّاخَةُ): الدّاهيةُ[٨]»».

قالَ الصّغانيُّ مؤلّفُ هذا الكتابِ[٩]: أخشى أن يكونَ الأوّلُ تصحيفَ: (أُضَاخ)[١٠]، وأن تكونَ (الضَّاخَةُ) تصحيفَ (الصّاخَة) –بالصّاد المهملة[١١]–».

أقولُ: على الرّغم من نصّ صاحبِ (التّاج) على أنّ الهمزَ أكثرُ في: (أُضاخ)، ليسَ لخشيةِ الصّغانيّ من وجودِ تصحيفٍ ههنا مبرّرٌ –وفق ما رأيتُ–؛ إذ إنّ كلمةَ (ضاخ) وردت عند المعجميّين قبلَ ابنِ عبّادٍ النّاقلِ عن اللّيث (؟) أصلاً، وبعد الصّغانيّ من دون إشارةٍ إلى تصحيفٍ ما فيها، وفاتَ الصّغانيّ أن يذكرَ أنّ من أسماء هذا الموضعِ الجغرافيّ أيضاً (وُضاخ)؛ فالكلمةُ تحتملُ ثلاثةَ أوجهٍ صحيحة. وكذلك لا أرى سبيلاً إلى التّسليم بوجودِ تصحيفٍ في كلمةِ (الضّاخة)؛ إذ إنّها وردت في: (المحيط في اللّغة) المطبوع: (الضّاخية) لا (الضّاخة)، وهي كذلك في معجماتٍ أخرى، وصحيحٌ أنّ الزّبيديَّ (١٢٠٥هـ) ألمعَ إلى احتمالِ وجودِ تصحيفٍ فيها إلّا أنّه لم يجزم البتّة. والله أعلم.

٢) **تركيب (ك ر خ)**[١٢]: وفيه ينقلُ عبارةً عن الأزهريّ (٣٧٠هـ)، ثمّ يصوّبُ كلمةً وردَت فيها؛ فيقول: «قالَ الأزهريُّ[١٣] في هذا التّركيبِ: «(أُكَيْراخٌ): موضعٌ في

٤– العباب ٤ / ٦٠.

٥– سبقت ترجمةُ كلٍّ من: ابنِ عبّاد، والخارْزَنْجيّ في القسمِ الأوّل من هذا البحثِ المنشور في مجلّة: (المخطوط العربيّ) الدّمشقيّة، العدد السّابع، ٢٠٢٤م، وكذلك سائرِ أعلامِ اللّغويّين الكبار، ومن لم يرد فيه منهم ومن غيرهم من الأعلام سيُترجَم له في قسمنا هذا بحولِ الله.

٦– في: المحيط في اللّغة ٤ / ٣٧٨. وعبارتُه الآتية هي لليث في: العين ٤ / ٢٨٣. وهي في: القاموس المحيط ٢٥٥، والتّاج ٧ / ٢٩٧.

٧– شُهر بكتابه المفقود: (التّكملة لكتاب العين). «وروى عنه الصّاحبُ بنُ عبّادٍ في: (المحيط)؛ فأكثرَ». مقدّمة محقّق (المحيط في اللّغة) ٢٤. وقد نسبَ الصّغانيُّ في معجمه الآخَر: التّكملة والذّيل والصّلة ٢ / ١٥٩ كلتا العبارتين إلى الخارْزَنْجيّ. وهو سهوٌ منه –رحمه الله–.

٨– في: المحيط في اللّغة ٤ / ٣٧٨ عن الخارْزَنجيّ: «(الضَّاخِيَةُ): اسمٌ من أسماءِ الدّواهي». وهذه عبارةُ ابن دريدٍ في: الجمهرة ١٠٥٤، وعلّقَ بعدها بقوله: «زعموا». وفي: التّكملة ٦ / ٤٥٧، والقاموس المحيط ١٣٠٥، والتّاج ٣٨ / ٤٦٤: «(الضَّاخيَةُ): الدّاهية». ونبّهَ صاحبُ التّاج إلى إهمالِ كلٍّ من: الأزهريّ، والجوهريّ هذه الكلمة. وفي: القاموس المحيط ٢٥٥، والتّاج ٧ / ٢٩٧ كما عند الصّغانيّ ههنا.

٩– المقصود ههنا: (العُباب). ودَرَجَ الصّغانيّ –رحمه الله– على استعمالِ هذه العبارة في بعضِ مصنّفاته؛ لئلّا تُنتحلَ، وليصرّحَ بها برأيٍ تُوهِمُ العبارةُ –في كثيرٍ من مواطن ورودها– أنّه له. وستأتي أمثلةٌ على هذا في الآتي من صفحاتِ بحثنا.

١٠– قالَ ابنُ دريد: «(وَضاخٌ) [بفتحِ الواو]: جبلٌ معروفٌ، أو موضع. وقالوا: (وَضاخٌ، وأُضاخ)». الجمهرة ٦٠٩. وقالَ في: ١٠٥٤: «(وُضاخٌ) [بضمِّ الواو]: جبلٌ معروفٌ. وقالوا: (أُضاخ)». وقالَ الزَّبيديُّ: «والهمزُ أكثر». التّاج ٧ / ٣٦٦. و(أُضاخُ): اختلفتِ العربُ فيه: فمن جعلَه اسمَ مكانٍ ذكّرَ وصرفَ، ومن جعلَه اسمَ بُقعةٍ أنّثَ ولم يصرف. انظر: الكتاب ٣ / ٢٤٤، ٢٤٥، والتّهذيب ٧ / ٤٧١، والصّحاح ١ / ٤١٨، والمحكم ٥ / ٢٢٩، والقاموس المحيط ٢٤٨، والتّاج ٧ / ٢٢٧، ٣٦٦. ونقلَ ياقوتٌ أنّه يُقال له: (وُضاخٌ) أيضاً، وأنّ له ثلاثةَ مواضع: من قرى اليمامة لبني نُمَير، ومن أعمالِ المدينةِ المنوّرة، وجبل معروف. انظر: معجم البلدان ١ / ٢١٣، ٥ / ٣٧٩.

١١– لم يشرِ الصّغانيُّ في: التّكملة ٢ / ١٥٩، ٦ / ٤٥٧ إلى وجود تصحيفٍ ما في العبارتين المنقولتين البتّة. وأشارَ صاحبُ التّاج ٧ / ٢٩٧ إلى احتمالِ وجود تصحيفٍ في الثانية فحسب.

١٢– العباب ٤ / ٨٣.

١٣– في: التّهذيب ٧ / ٤٢ عن اللّيث، والقول في: العين ٤ / ١٥٦. وانظر: التّكملة ٢ / ١٧٠ حيث نسبَ الصّغانيُّ القولَ إلى قائله الأوّل، لا إلى الأزهريّ كما فعلَ ههنا.

السَّـواد[١٤]». قالَ الصّغانيُّ مؤلِّفُ هذا الكتاب: الصّوابُ: (أُكَـيْراحٌ) –بالحـاءِ المهملـة[١٥]–، وقـد ذكرتُـه في الحاءِ المهملة[١٦]».

أقـولُ: قليلةٌ هـي تصويبـاتُ الصّغـانيّ للأزهريّ في: (العُباب). وما نقلَه ههنا عنه ليسَ له، وما صوّبَه منسوباً إلى نفسـه ليسَ له أيضاً، وهو لم يفعـل هذا في: (تكملته)؛ إذ نقـلَ القولَ فيها عن قائله الأوّل اللّيث، ناصّاً على ردّهم عليـه ذكْـرَه الكلمةَ بالخـاء، ولا أرى موجباً لنسبة ما ليسَ للأزهريّ إليه وتغليطه على ما نقلَ إلّا متابعةً من الصّغانيّ لياقـوت[١٧] (٦٢٦هـ)، ولا أجـدُني مطمئنّاً لما قـالا؛ إذ لم يُشرِ الأزهريُّ –المشهورُ بتغليطه اللّيثَ لدن نقله عنه– إلى وجودِ تصحيفٍ ما في (أُكيراخ)، كما أنّ دلالتَها الجغرافيّةَ مختلفةٌ عن دلالة (أُكَيراح) –بالحاء–. والله أعلم.

٣) **تركيـب (م ي خ)**[١٨]: وفيـه ينقـلُ الصّغـانيُّ عبـارةً عن اللّيـث، وتغليطَ الأزهـريّ له، ثمّ يصـوّبُ قولَ اللّيـث؛ مستدلّاً برجز؛ فيقـول: «اللّيثُ[١٩]: «(مَـاخَ يَميخُ مَيْخـاً، وتَمَيَّـخَ [تَمَيُّخـاً][٢٠])»: وهو التَّبَخْـترُ في المشي». وزيّـفَ ذلك الأزهـريُّ؛ وقـالَ[٢١]: «الصّـوابُ فيها الحاءُ المهملـةُ»[٢٢]. والصّـوابُ ما قالَه اللّيثُ؛ قـالَ الزَّفَيانُ[٢٣]: [الرّجز]

مُسْتَفْحِلاً يَسْتَورِدُ الهيَاخا[٢٤]
أَرْقَبُ، يَمشي مُكْبَلاً[٢٥] مَيَّاخا».

أقـولُ: أرى أنّ الحـقَّ حالـفَ الصّغـانيَّ في تصويبـه كلامَ اللّيـث؛ إذ إنّـه قـدَّمَ ههنـا في: (العبـاب) دليـلاً شعريّـاً على ما صـوّب، لم يكـن وقـفَ عليـه في كتابـه: (التّكملة)، وهـذا ما لم يقدّمـه الأزهـريُّ علـى تغليطـه اللّيـث. وتركيبُنـا هـذا هو من المواطنِ القليلةِ التي ينصرُ فيها الصّغانيُّ رأياً للّيث. والله أعلم.

٤) **تركيـب (أ خ د)**[٢٦]: وفيـه ينقـلُ الصّغـانيُّ عبارتـين عـن اللّيـث، ثـمّ يذكـرُ أنّ تصحيفاً أصـابَ كلمةً

١٤– هـو ضِياعُ العراقِ التي افتُتحت زمنَ عمرَ بنِ الخطّاب رضي الله عنـه. وسُمّيت (سواداً)؛ لكثرة شجرها. انظر: الصّحاح ٢ / ٦٤٦، ومعجم البلدان ٣ / ٢٧٢، والعباب ٥ / ٣٨١.

١٥– نصّ ياقـوتٌ في: معجـم البلـدان ١ / ٢٤٢ علـى تصحيـف الأزهريّ ههنا، وغلّطه، ونقلَ توهيمَ عالمٍ آخرَ للأزهريّ. وذكرَ الصّغانيُّ هذا التّصحيف في: التّكملة ٢ / ١٧٠ أيضاً، ولكن لم ينسبه إلى نفسه كما فعـلَ ههنا، بل جعلَـه «ممّا رُدَّ على اللّيث». وذكـرَ الفيروزآباديُّ الكلمةَ في: القاموس ٢٥٨ محتملـةً الخـاء، والحـاء، ولم يعلّق صاحـبُ التّاج ٧ / ٣٢٩ علـى الاحتمالَين. ولهذه التي بالحاء معنى آخرُ عند المعجميّين هو: (بيوتُ الرّهبان). ذكره: الأزهريُّ في: التّهذيب ٤ / ٩٨، وعلّقَ: «وما أُراهـا عربيّـةً»، وابنُ سيـده في: المحكم ٣ / ٣٩ وفصّـلَ بقوله: «بيوتٌ، ومواضـعُ يخـرجُ إليهـا النّصارى في بعضِ أعيادهم، وهـو معروفٌ»، والفيروزآباديّ في: القاموس ٢٣٨. وانظر: التّاج ٦ / ٤٠٠، ٧ / ٧٢.

١٦– في تركيب (ك ر ح)، العباب ٣ / ٥٥٣ حيث قالَ: «(الأُكَيْراحُ): رُستـاقٌ نَـزِهٌ بأرضِ الكوفة، كثيرةُ [كذا] البساتـينِ والرّياض». وهو ههنا ناقلٌ من دون تصريح عن ياقوت في: معجم البلدان ١ / ٢٤٢ الذي ذكرَ المعنـى الثاني لهذه الكلمة أيضاً؛ فقـال: «(الأُكَيراحُ) أيضاً: بيوتٌ صغارٌ تسكنُها الرّهبانُ الذين لا قلالي لهم».

١٧– كانَ الصّغـانيُّ ينقـلُ في: (العُباب) عن: (معجـم البلدان) من دونِ الإشـارةِ إليـه. أكّدَ هذا محقّقُه د. المخدومـيّ –رحمه الله–، وقدّمَ أدلّةً على ذلك. انظر: مقدّمة تحقيق (العُباب) ١ / ٥٩– ٦٢.

١٨– العباب ٤ / ٩٨.

١٩– في: العين ٤ / ٣١٧.

٢٠– سقطـت من: (العبـاب) المطبوع. وهي في مصنَّـفِ الصّغانيِّ الآخـر: التّكملـة ٢ / ١٨٠. وفي: العـين ٤ / ٣١٧، والتّهذيـب ٧ / ٦١٠، والمحيط في اللّغة ٤ / ٤٣٠.

٢١– في: التّهذيـب ٧ / ٦١٠. وفيـه: «قلـتُ: هذا غلـطٌ. والصّوابُ: (مـاحَ يَميحُ) –بالحـاء–». وممّن نقلَ كلامَه: صاحـبُ التّاج ٧ / ٣٤٩، وصاحبُ الجاسوس على القاموس ٤١٤.

٢٢– ههنـا ينتهي نقلُ الصّغانيِّ في: التّكملة ٢ / ١٨٠. فهو لم يذكر ثّمـة تصويبَه الآتي كلامَ اللّيـث، ولا دليلَه الشِّعريّ. وممّن صوّبَ اللّيث ههنـا: الزُّبيـديُّ الإشبيلـيُّ في: اسـتدراك الغلط الواقـع في كتاب العين ١٠٥. وعنه في: المزهر في علوم اللّغة ٢ / ٣٨٦.

٢٣– عطاء بـن أسيد –بفتح الهمزة، وضمّهـا–: شاعرٌ إسلاميٌّ، لُـقّب برجزِ قاله. ترجمته في: المؤتلف والمختلف ١٦٩، ومعجم الشّعراء ١٩٧. والمشطوران الآتيان في: شرح ديوانه ٩٣. والأوّل منهما للزَّفَيان في: العبـاب (هـ ي خ) ٤ / ١١٣. ولم أقـف علـى واحدٍ منهمـا في غير ما ذكرتُ فيما اطّلعتُ عليه.

٢٤– روايـة (شرح ديـوان) الزَّفَيـان: (مستفحـلٌ). (يستورد): يأتي. (الـهيَاخُ): أن يُـقال للفحل إذا أرادَ الضِّرابَ: هِيْخ هِيْخ.

٢٥– (أرقـبُ): غليـظُ الرّقبـة. (مُكْبَـلُ): متمايـلٌ في أحـدِ شقَّيْه. وضُبِطَ ميمُ الكلمة في: (شرح ديوانِ) الزَّفَيان بالكسر.

٢٦– العباب ٤ / ١١٩، والجاسوس على القاموس ٤١٢.

فيهما، ويصوّبُه؛ مستدلّاً بكلام الأصمعيّ (نحو ٢٢٠هـ)؛ فيقول: «اللّيثُ[٢٧]: «(المُسْتأخَدُ): المُسْتَكِينُ». قالَ[٢٨]: «و(مريضٌ مُسْتَأخِدٌ) أي: مُسْتَكِينٌ لمرضه»[٢٩]. هكذا قالَ في هذا التّركيب. وهو تصحيفٌ. والصّوابُ: (المُسْتَأخِذُ) -بالذّال المعجمة[٣٠]-؛ قالَ الأصمعيُّ: «(المُسْتأخِذُ): المطأطِئُ رأسَه من رَمَد، أو وجع[٣١]»[٣٢]».

أقولُ: لم يصرّح الصّغانيُّ بأنَّ الأزهريَّ هو مَن ذكرَ تصحيفَ اللّيث، وهو مَن صوّبَه، وهو مَن نقلَ قولةَ الأصمعيّ. وهذا مأخذٌ عليه. وأرى أنّ كلامَ الأصمعيّ -على الرّغم من تخصيصه المريضَ-، وذكرَ جلِّ المعجميّين كلمةَ (المستأخِذ) بالذّال يرجّحُ ما رآه الأزهريّ. وأنّ نقلَهم عن اللّيث تصريحاً أنّها بالدّال يُضعِفُ وجودَها بالذّال في المطبوع من: (العين). والله أعلم.

٥) تركيب (ج د د)[٣٣]: وفيه ينقلُ الصّغانيُّ عبارةً عن ابن عبّاد، ثمّ يصوّبُ كلمةً فيها -وفق ما رأى-؛ مستدلّاً بشاهدٍ شعريٍّ؛ فيقول: «(الجَدّادُ) -بالفتح، والتّشديد- عن ابن عبّاد[٣٤]: «صاحبُ الحانوت الذي يبيعُ الخمرَ، ويعالجُها». قالَ الصّغانيُّ مؤلِّفُ هذا الكتاب: الصّوابُ -عندي- في هذا: (الحَدّادُ) -بالحاء المهملة[٣٥]-؛ قالَ الأعشى[٣٦]: [المتقارب]

فَقُمْنا ولمّا يَصِحْ ديكُنا إلى جَوْنَةٍ[٣٧] عندَ حَدّادها

أي: صاحبِها[٣٨] الذي يبيعُها. وقيلَ: الذي يَحُدُّ ثمنَها[٣٩]».

أقولُ: يستمرُّ الصّغانيُّ في نسبة ما لغيره إليه؛ إذ القولُ بوجود التّصحيف ههنا هو للأزهريِّ، ونسبةُ الصّغانيِّ العبارةَ المنقولةَ إلى ابن عبّاد لا تغيّرُ من الحقيقة؛ فابنُ عبّاد ناقلٌ في: (محيطه) عن اللّيث. وصحيحٌ أنّ بعضَ اللّغويّين -ومنهم الصّغانيُّ نفسُه في: (التّكملة)- لم يتابع الأزهريَّ في نصِّه على وجود التّصحيف، ونَقَلَ عبارةَ اللّيث من دون تعليق، إلّا أنّ الشّاهدَ الشّعريَّ يقوّي القولَ بوجوده. والله أعلم.

٢٧- في: العين ٤ / ٢٩٩.

٢٨- يعني اللّيث في: العين ٤ / ٢٩٩. الذي سيُخصّصُ في معنى الكلمة بعد أن عمّم.

٢٩- نقلَ عبارتَي اللّيث منسوبتين إليه: الأزهريُّ في: التّهذيب ٧ / ٥١٣.

٣٠- وهي كذلك في: العين (المطبوع) ٤ / ٢٩٩، والجيم ١ / ٧٤، والجراثيم ١ / ٣٦٩، والجمهرة ١٠٥٣، والصّحاح ٢ / ٥٥٩، والمجمل ٨٩، والقاموس المحيط ٣٣٠، والتّاج ٩ / ٣٦٧. وبالذّال، وبالدّال في: المحيط في اللّغة ٤ / ٣٩٤، ٤٠٠، والقاموس المحيط ٢٦٥. وانظر: الجاسوس على القاموس ٣٩٣، ٤١٢ حيث علّقَ الشّدياقُ على تصويب الفيروزآباديّ كونَ الكلمة بالذّال.

٣١- انظر قولَ الأصمعيّ من غير نسبة في: الجراثيم ١ / ٣٦٩، والمحكم ٥ / ٢٣٤، والقاموس المحيط ٢٦٥، ٣٣٠، والتّاج ٧ / ٣٨٠. ومنسوباً في: الصّحاح ٢ / ٥٥٩.

٣٢- ذكرَ الأزهريُّ تصحيفَ اللّيث، وصوّبه، ونقلَ قولَ الأصمعيّ في: التّهذيب ٧ / ٥١٣، ٥٢٨. وعنه ينقلُ الصّغانيُّ ههنا من دون نسبة، أو إشارة ما. وكانَ نقلَ عنه تصحيفَ اللّيث، وتصويبَه في: التّكملة ٢ / ١٩٠. وانظر: التّاج ٧ / ٣٨٠.

٣٣- العباب ٤ / ١٧١.

٣٤- في: المحيط في اللّغة ٦ / ٣٩٣. وهو ناقلٌ عن اللّيث في: العين ٦ / ٨ من غير نسبة. وممّن نسبَ هذا القول إلى اللّيث: الأزهريُّ في: التّهذيب ١٠ / ٤٦٤. وانظر: التّاج ٧ / ٤٧٨. والقولُ بتمامه من غير نسبة في: المحكم ٧ / ١٨٨ وفيه ضُمّ جيمُ الكلمة، وهو خطأٌ، وفي: التّكملة ٢ / ٢٠٧. ولم يُشر كلٌّ من: ابن سيده، والصّغانيّ إلى تصحيف ما حصل.

٣٥- ما نسبَه الصّغانيُّ ههنا إلى نفسه هو للأزهريِّ في: التّهذيب ١٠ / ٤٦٤ حيث قالَ معلّقاً على عبارة اللّيث، مقرّعاً إيّاه: «هذا حاقُّ التّصحيف، الذي يستحيي من مثله من ضعُفت معرفتُه، فكيفَ الذي يدّعي المعرفةَ الثّاقبةَ؟ وصوابُه: (الحَدّادُ) بالحاء». وانظر: التّاج ٧ / ٤٧٩.

٣٦- ميمون بن قيس بن جندل، أدركَ الإسلامَ، ولم يسلم. ترجمته في: الشّعر والشّعراء ٢٥٠، والمؤتلف والمختلف ١٣. والبيت في: ديوانه ٦٩. وهو له فيما سأذكر من مصادرَ في الحواشي الثلاث الآتية.

٣٧- «(الجَونةُ): الخابيةُ المَطليّةُ بالقار». الصّحاح ٥ / ٢٠٩٦.

٣٨- التّهذيب ٣ / ٤٢١.

٣٩- قالَ ابن دريد: «سمّي الأعشى الخمّارَ (حدّاداً)؛ لأنّه يحبسُ الخمر عنده». الجمهرة ٩٥. وقالَ ابنُ سيده: «سمّي الخمّارَ حدّاداً؛ وذلك لمنعه إيّاها، وإمساكه لها حتّى يُبْذَلَ له ثمنُها الذي يُرضيه». المحكم ٢ / ٥٠٦. وانظر: الزّاهر ١ / ٣٩٧، والتّاج ٨ / ١٤. وقيل: (الحَدّادُ) في بيت الأعشى هو: البوّاب؛ لأنّه يمنعُ النّاسَ من الدّخول. انظر: الجراثيم ١ / ٤٣٩، والصّحاح ٢ / ٤٦٢، والمجمل ٢١٠.

٦) **تركيب (ج م ع د)**[٤٠]: وفيه ينقلُ عبارةً عن ابنِ عبّاد، ثمّ ينصُّ على وجود تصحيفٍ في كلمةٍ منها؛ فيصوّبَه؛ ثمّ يعلّلُ نقلَه عبارةَ ابنِ عبّادٍ ههنا في هذا التّركيب فيقول: «ابنُ عبّادٍ[٤١]: «(الجَمْعَدُ): الحجارةُ المجموعةُ».

قالَ الصّغانيُّ مؤلِّفُ هذا الكتاب: هذا تصحيفٌ. والصّوابُ: (الجَمْعَرُّ)[٤٢] -بالرّاءِ المُكرّرة[٤٣]-. ولو لم أذكرْ ما ذكرَه لظُنّ بي إهمالُ التّركيب».

أقولُ: لا يشفعُ لابن عبّاد اليقينُ بنقله العبارةَ عن اللّيث -كما في: (العين) المطبوع-، أو الشّكّ بنقلها عن كُراع (٣١٠هـ)؛ إذ إنّ الأزهريَّ نقلَ الكلمةَ بالرّاءِ لا بالدّال، مع شاهدٍ شعريٍّ عليها تصريحاً عن اللّيث، وأرى نقلَه الكلمةَ عنه بالرّاء، وكذلك نَقْلَ الأئمّة كالفرّاء (٢٠٧هـ)، وأبي عمرٍو الشّيبانيّ (نحو ٢١٠هـ) إيّاها بالرّاء أيضاً -بمعنى واحدٍ قريب، وبتاءِ التّأنيث أو من دونها- مُرجِّحَين لوجودِ التّصحيف عند من ذكرها بالدّال. ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ ابنَ سيده (٤٥٨هـ) سبقَ في: (المحكم) إلى تصويب هذا التّصحيف. والله أعلم.

٧) **تركيب (ش م ر د)**[٤٤]: وفيه ينقلُ عبارةً عن ابن الأعرابيّ (٢٣١هـ)، وإنشاداً، ثمّ يصوّبُ كلمةً فيها لغةً ومعنىً؛ فيقول: «ابنُ الأعرابيّ[٤٥]: «(الشَّمَرْدَى): نبتٌ، أو شجرٌ». وأنشدَ للجَحّاف بن حُكَيم[٤٦]:

لقد أُوْقِدَتْ نارُ الشَّمَرْدَى[٤٧] بأَرْؤُسٍ
عِظامِ اللِّحَى، مُعْرَنْزِماتِ اللَّهازِمِ[٤٨]

٤٠- العباب ٤ / ١٩٨.

٤١- في: المحيط في اللّغة ٢ / ٢٢٩. وهو ناقلٌ عن اللّيث في: العين ٢ / ٣١٨ من غير نسبة. أمّا الأزهريّ فنسبَ في: التّهذيب ٣ / ٣١٦ إلى اللّيث قولَه: «يُقالُ للحجارة المجموعة: (جَمَعَرٌ). وأنشد:

تَحُفُّها أُسافَةٌ، وجَمْعَرُ وخَلَّةٌ قِرْدانُها تَنَشَّرُ

(أُسافةُ): أرضٌ رقيقة. و(جَمْعَرُ): غليظةٌ يابسة». وانظر: التّكملة ٢ / ٤٥٦، والعباب ١١ / ٨٥ (أ س ف). وقولُ ابن عبّادٍ منسوبٌ إلى كُراع في: المحكم ٢ / ٤٢٩. ولم أقف عليه في كتبِه: (المجرّد، والمنتخب، والمنجّد). وانظر: التّاج ٧ / ٥٢٤. ومن غير نسبةٍ في: التّكملة ٢ / ٢١٥. ولم يشرِ الصّغانيُّ ثمّة إلى تصحيفٍ ما.

٤٢- سبق إلى مثل هذا التّصويب: ابنُ سيده في: المحكم ٢ / ٤٢٩ بقوله: «الصّحيحُ: (الجَمْعَرَةُ) [كذا]». وانظر: التّاج ٧ / ٥٢٤. وممّن أشارَ إلى احتمالِ وقوعِ التّصحيف ههنا من ابن عبّاد -تصريحاً-: الفيروزآباديّ في: القاموس ٢٧٤. وانظر: التّاج ٧ / ٥٢٤. وفي: الجيم ١ / ١٢٥ نقلَ أبو عمرٍو عن السّعديّ: «(الجَمْعَرَةُ): الأَكَمَةُ الغليظة». وفي: التّاج ٢٣ / ١٦ عن الفرّاء: «(الجَمْعَرُ): الحجارةُ المجموعة». وقالَ ابنُ عبّادٍ في: المحيط ٢ / ٢٣٣: «(الجَمْعَرَةُ): الغليظةُ المرتفعةُ من الأرض... و(الجَمْعَرُ): طينٌ أصفرُ يخرجُ من البئر إذا حُفرت». وانظر: العباب ٥ / ٢٥٦، والقاموس المحيط ٣٦٨، والتّاج ١٠ / ٤٧٢. وفي: العباب ٥ / ٢٥٦ عن الأزهريّ: «(الجَمْعَرَةُ): حجارةٌ مجتمعةٌ». وكانَ ابنُ دريدٍ وضّح في: الجمهرة ١١٣٧ بقوله: «(الجَمْعَرةُ): الأرضُ ذاتُ الحجارة، والحصى الكبار. والجمعُ: (الجَماعر)». وانظر: العباب ٥ / ٢٥٦.

٤٣- أكادُ أجزمُ بزيادة هذه الكلمة سهواً من المصنِّف أو النّاسخ؛ مستدلّاً بعدم نقل كلمة (الجَمْعَر) بتكرير الرّاء عند من وقفتُ عليه ممّن ذكرها من اللّغويّين ممّن سبقَ الصّغانيّ أو لحقَه -كما فصّلتُ في الحاشية السّابقة-، وبقول الصّغانيّ نفسه في: العباب ١١ / ٨٥ (أ س ف): «(الجَمْعَرُ): الحجارةُ المجموعة». وكذلك بعدم وجودها في: تركيب (ج م ع ر) من: (العباب) المطبوع، ولا في كتاب الصّغانيّ الآخر: (التّكملة) السّابق لـ(لعباب). والله أعلم.

٤٤- العباب ٤ / ٣٣٢.

٤٥- نقلَ الصّغانيُّ عبارةَ ابنِ الأعرابيِّ الآتيةَ منسوبة، وإنشادَه -من دون ما صوّبَ- في: التّكملة ٢ / ٢٦١. وعبارتُه فحسب من دون نسبة في: القاموس المحيط ٢٩١، وهي وإنشادُه منسوبان إليه في: التّاج ٨ / ٢٥٢.

٤٦- ابن عاصم، السُّلَميّ. ترجمته في: الاشتقاق ٣٠٨ وفيه (حَكيم) بفتحِ الحاء، والمؤتلف والمختلف ٩٤. والبيتُ الآتي له في: ما تبقّى من شعرِه (بحث) ٥٩٩. وفي: شرح النّقائض ٥٦٩، ١٠٠٤، وللجحّاف بن حَكيم -بفتحِ الحاء- في: التّكملة ٢ / ٢٦١، والتّاج ٩ / ٤٢٠.

٤٧- كذا الكلمة -بالدّال- في هذا البيت في: شرح النّقائض ٥٦٩، والتّكملة ٢ / ٢٦١، والتّاج ٨ / ٢٥٢.

٤٨- البيت بلا نسبة في: العين ٢ / ٣٣٤ -وفيه: (الشَّرَوري). وهو تحريف-، والجمهرة ١١٥٠، والاشتقاق ٥٥٣، والمحكم ٨ / ١٤٣ -وفيه: (مُعْزَيْزِمات). وهو تصحيف-، والتّاج ٨ / ٢٥٢، ٩ / ٤٣١. ونُسبَ إلى جرير في: الجمهرة ١٢١٥ وفيه: (عِظام اللَّها). وهو تحريف. قلتُ: وردَ البيتُ في: (ديوان) جرير، (بشرح ابنِ حبيب) ١٥٦ منسوباً إلى الجحّاف السُّلميّ؛ شرحاً لأحد أبيات جرير. وكرّرَ الصّغانيُّ البيتَ منسوباً إلى الجحّاف بن حُكيم في: العباب ٥ / ٣٤ (ش ب ر ذ) برواية: (الشَّبْرَذى) -بالباء، والذّال-. وهي روايةُ الكثير من المصادر؛ إذ الكلمةُ فيها لغتان: بالميم، وبالباء. قالَ ابنُ دريد: «(الشَّمَرْدى) -ههنا-: اسمُ رجلٍ كانَ أحرقَ قوماً قُتلوا؛ فعجزَ عن دفنهم». الجمهرة ١٢١٥. و«اعرنزَمَ الشّيءُ: إذا صلبَ، واشتدّ». الجمهرة ١١٥٠. وانظرِ القصّة في: (ديوان) جرير، (بشرحِ ابن حبيب) ١٥٤- ١٥٦.

والصّوابُ: (الشَّمَرْذَى) –بالذّالِ المعجمة[٤٩]–. وهو اسمُ رجلٍ، لا نبتٍ ولا شجرٍ[٥٠]. وتمامُه في حرفِ الذّالِ المعجمة[٥١]».

أقولُ: أرى تصويبَ الصّغانيِّ اللّغةَ والتّفسيرَ في الشّاهدِ حقّاً؛ إذ لا تكادُ الكلمةُ تُذكَرُ بالدّالِ عندَ أهلِ اللّغة، ولم أقف على لغويٍّ نقلَ تفسيرَ ابنِ الأعرابيّ لها خلا الفيروزآباديَّ (٨١٧هـ) النّاقلَ في: (قاموسِه) عن: (العُباب). والله أعلم.

٨) **تركيب (غ ز د)**[٥٢]: وفيه ينقلُ عن اللّيثِ عبارةً، ثمّ ينقلُ عن الأزهريِّ إنشاداً وتعليقاً له على كلامِ اللّيث، ثمّ يصوّبُ لهما اللّغةَ، وللأزهريّ –فحسب– التّفسيرَ؛ مستدلّاً في الأمرَين بكتابِ (النّبات)؛ فيقول: «(الغِزْيَدُ): النّاعمُ من النّبات»[٥٣]. وأنشدَ[٥٤]: [الرّجز]

هَـزَّ[٥٥] الصَّبا ناعمَ ضالٍ[٥٦] غِـزْيَدا

قالَ الأزهريُّ[٥٧]: «(الغِزْيَدُ) من النّباتِ ليسَ بمعروفٍ». قالَ الصّغانيُّ مؤلِّفُ هذا الكتاب: الصّواب في هذا: (الغِرْيَد) –بالرّاء[٥٨]–؛ وقد ذكرَه الدِّينَوريُّ على الصّحّة في: كتابِ (النّبات)، وأنشدَ الرّجزَ بعينِه[٥٩]».

أقولُ: أُرجّحُ أن يكونَ الصّغانيُّ اعتمدَ في تصويبِه على دليلٍ ثانٍ، هو قولُ ابنِ فارس (٣٩٥هـ) في: (مقاييسه)[٦٠]: «الغَينُ، والزاءُ، والدّالُ ليسَ يُشْبِهُ صحيحَ كلامِ العرب»، إلّا أنّني لستُ أرى لهما –أعني: الدِّينَوريَّ (٢٨٢هـ)، وابنَ فارس– وجهاً قويّاً؛ لدليلين: أوّلهما: عدمُ تعرّضِ المعجميّين –خلا ابنَ دريد (٣٢١هـ)– لكلمةِ (الغِرْيَد) –بالرّاء– البتّة. وثانيهما: عدمُ وقوفي على ما نقلَه الصّغانيُّ عن (النّبات) فيما بين يديّ من مطبوعِه. وأمّا عن تصويبِ الصّغانيِّ للأزهريّ تفسيرَ الكلمة –فحسب– فيبدو الاستدلالُ بكتابٍ مختصٍّ بالنّبات مقوِّياً ما صوّب، بغضِّ النّظر عن كونها بزايٍ، أو براء. والله أعلم.

٤٩– وهي كذلك في: ما تبقّى من شعر الجحّاف (بحث) ٥٩٩. وهي كذلك أيضاً –لغة، وشعراً– في: شرح النّقائض ١٠٠٤، و(ديوان) جرير، (بشرحِ ابن حبيب) ١٥٦، والجمهرة ١١٥٠، ١٢١٥، والاشتقاق ٥٥٣، والمقصور والممدود للقاليّ ١٥٥، والمحكم ٨ / ١٤٣، والتّكملة ٢ / ٣٨٢، والقاموس المحيط ٣٣٥، والتّاج ٩ / ٤٢٠، ٤٣٠.

٥٠– و(الشَّمَرْذى) أيضاً: السّريعُ في أموره. انظر: الجمهرة ١٢١٥، والمقصور والممدود للقاليّ ١٥٥، والمحكم ٨ / ١٤٣. وبالدّال، والذّال: «النّاقةُ السّريعة». المحيط في اللّغة ٧ / ٤١٥.

٥١– وذلك في تركيبَي: (ش ب ر ذ)، و(ش م ر ذ) من: العباب ٥ / ٣٤، ٤٠ حيث نقلَ الصّغانيُّ تعريفاً بهذا الرّجلِ التّغلبيِّ المشارِ إليه، وبقصّته. وانظر: شرح النّقائض ٥٦٩، ١٠٠٤، والتّاج ٩ / ٤٢٠، ٤٣١.

٥٢– العباب ٤ / ٤٤٢، والتّكملة ٢ / ٣٠٥.

٥٣– العين ٤ / ٣٨١. والعبارةُ بتمامها منسوبةٌ إلى اللّيث في: التّهذيب ٨ / ٤٤، والتّاج ٨ / ٤٦٨. وغيرُ منسوبة في: المحيط في اللّغة ٥ / ٢٢، والقاموس المحيط ٣٠٤. وغيرُ منسوبةٍ، ومزيدٌ عليها: (اللّيّنُ الرَّطب) في: المحكم ٥ / ٤٣٩.

٥٤– يعني اللّيثَ صاحبَ (العين) كما نقلَ عنه الأزهريُّ تصريحاً في: التّهذيب ٨ / ٤٤. وليسَ المشطورُ الآتي في: (العين) المطبوع. وهو بلا نسبةٍ في: الجمهرة ١١٦٨، والمحكم ٥ / ٤٣٩، والتّكملة ٢ / ٣٠٥، والتّاج ٨ / ٤٦٨.

٥٥– ضُمَّ الزاي في: العباب ٤ / ٤٤٢. وهو بالفتح في مصادر تخريجيَ الرّجز كلّها.

٥٦– في: المحكم ٥ / ٤٣٩: (صال) بالصّاد. وهو تحريف. و(الضّالُ): نبتٌ. انظر: المحكم ٨ / ٢٢٨، و(النّبات) القسم الثّاني من القاموسِ النّباتيّ (س إلى ي) ٩٣.

٥٧– في: التّهذيب ٨ / ٤٤. وعبارتُه: «وأمّا قوله: «الغِزْيَدُ من النّبات: النّاعمُ» فإنّي لا أعرفُه، ولا أدري من أين جاءَ به؟». وإلى مثل هذا التّشكيك في التّفسير ذهب: ابنُ فارس في: المقاييس ٤ / ٤٢٣، والمجمل ٦٩٦. وقالَ صاحبُ التّاج ٨ / ٤٦٨ بعد نقله طرفاً من كلام الأزهريِّ: «وقد نقلَ الأزهريُّ عن بعضٍ: (غُصْنٌ سَرَعْرَعٌ، وغِزْيَدٌ، وخُرْعُوبٌ): ناعمٌ».

٥٨– وهي كذلك في: الجمهرة ١١٦٨ لغةً، ورجزاً. وتابعَ الفيروزآباديُّ في: قاموسه ٣٠٤ الصّغانيَّ ههنا، ولكن على سبيلِ الاحتمال؛ فقال: «أو هو بالرّاء أيضاً». وعلّلَ الزَّبيديُّ في: التّاج ٨ / ٤٦٨ بقوله: «أي لنعومته يدعو إلى التَّغْريد».

٥٩– نقل صاحبُ التّاج ٨ / ٤٦٨ تصويبَ الصّغانيّ، واستدلالَه منسوبَين. ولم أقف على كلام الدِّينوريّ فيما بين يديّ من: (النّبات) المطبوع، وأخلّ به كتابُ (النّبات) القسمُ الثّاني من القاموسِ النّباتيّ (س إلى ي).

٦٠– ٤ / ٤٢٣.

٩) **تركيب (ق ر ه د)**[٦١]: وفيه ينقلُ عبارةً عن ابن عبّاد، ثمّ يصوّبُ كلمةً فيها: حرفاً وحركةً؛ فيقول: «قال[٦٢]: «و(القَرْهَدُ)[٦٣]: التّارُّ النّاعمُ الرَّخْصُ[٦٤]». قالَ الصّغانيُّ مؤلِّفُ هذا الكتاب: الصّوابُ: (الفُرْهُدُ) -بضمِّ الفاء[٦٥]-. وقد ذكرتُه في موضعه[٦٦]».

أقولُ: تتكرّرُ نسبةُ الصّغانيّ ما للأزهريّ إليه؛ إذ ينقلُ العبارةَ المستهدفة عن ابنِ عبّاد، ثمّ يوهمُ القارئَ أنّه من أشارَ إلى التّصحيف، والعبارةُ -حقيقة- للّيث في: (العين)، ومن أشارَ إلى التّصحيف فيها الأزهريُّ في: (التّهذيب). ومع أنّ كلمةَ (القرهد) مفتوحةُ القاف والهاء في: (المحيط، والتّهذيب) المطبوعَين، إلّا أنّها بضمّهما في: (العين) المطبوع، وفي غيره من المعجمات، وهي في ثلة منها بالقاف، وفي أخرى بالفاء؛ فلا أرى القطعَ بما صوّبَ الصّغانيّ؛ متابعاً الأزهريَّ راجحاً. والله أعلم.

١٠) **تركيب (ز ب ذ)**[٦٧]: وفيه ينقلُ عبارةً عن ابن عبّاد، ثمّ يذكرُ أنّ تصحيفاً أصابَ كلمةً فيها، ثمّ يصوّبُه؛ فيقول: «ابنُ عبّاد[٦٨]: «(كانَت بينهم زَبانِيَةٌ) أي: شرٌّ». قالَ الصّغانيُّ مؤلِّفُ هذا الكتاب: هذا تصحيفٌ. والصّوابُ: (رَبانِيَةٌ)[٦٩] -بالرّاءِ المكرّرة[٧٠]-. وقد ذكرتُها في تركيب (ر ب ذ)[٧١]».

أقولُ: إنّ وقوعَ التّصحيف في عبارةِ ابنِ عبّاد حقٌّ؛ إذ أجمعت المعجماتُ -التي اطّلعتُ عليها- على أنّ كلمة (رَبانية) بالرّاء لا بالزّاي. ولا أدري لم تعمّدَ الصّغانيُّ اتّهامَ ابنِ عبّاد به؟ وهو النّاقل في: (محيطه) تصريحاً عن الخارْزَنْجيّ. والله أعلم.

١١) **تركيب (خ م ج ر)**[٧٢]: وفيه ينقلُ عبارةً عن ابنِ عبّاد، ثمّ يصوّبُ كلمةً فيها؛ فيقول: «قالَ ابنُ عبّاد[٧٣]: «(بينهم خَمْجَرِيرَةٌ[٧٤]) أي: تشويشٌ».

٦١- العباب ٤ / ٤٧٨.

٦٢- يعني ابنَ عبّاد في: المحيط في اللّغة ٤ / ١٠٥.

٦٣- أكّدَ محقّقُ: (المحيط في اللّغة) أنّ الكلمةَ بفتحِ القاف والهاء في الأصل المخطوط. وفي: العين المطبوع ٤ / ١١٠-وعنه ينقلُ ابنُ عبّاد-: (القُرْهُدُ) بضمِّهما. وكذا في: التّكملة ٢ / ٣١٨ -من دون أن يشيرَ الصّغانيّ ثمّة إلى خطأ ما، أو يذكرَ تصويباً ما-، والقاموس المحيط ٣١٠، والتّاج ٨ / ٤٩٤ حيث نقلَ الزّبيديُّ أنّ ضمَّهما تصحيف، و٩ / ٣٣، والجاسوس على القاموس ٤٤٠. أمّا في: التّهذيب ٦ / ٥٠٥ فعبارةُ ابن عبّاد منسوبةٌ -بتصرّف يسير، وبفتح القاف والهاء- إلى اللّيث، وعلّقَ الأزهريُّ عليها بقوله: «صحّفَ اللّيث. والصّوابُ: (والفُرْهُدُ) بالفاء والهاء مضمومتين». وانظر: التّاج ٩ / ٣٣، والجاسوس ٤١٤، ٤٤٠.

٦٤- (التّارُّ): المكتنز الممتلئ. و«(الرَّخْصُ): النّاعمُ من كلِّ شيءٍ». العين ٤ / ١٨٤.

٦٥- وهي كذلك في: التّهذيب كما أسلفتُ، والمحكم ٤ / ٤٨٣. حيثُ استعملَ ابنُ سيده صيغةَ التّمريض لدن تفسيرها بـ(النّاعم التّارّ). وفي: التّكملة ٢ / ٣٠٩ و٦ / ٢٠، وفي: القاموس المحيط ٣٠٦.

٦٦- وذلك في: تركيب (ف ر هـ د) في: العباب ٤ / ٤٥٥ حيث قالَ: «و(الفُرْهُدُ) -أيضاً-: النّاعمُ الرَّخْص».

٦٧- العباب ٥ / ٣٢.

٦٨- في: المحيط في اللّغة ٩ / ٣٧. وهو ناقلٌ عن الخارْزَنْجيّ تصريحاً، وأغفلَ هذا الصّغانيّ.

٦٩- ضُعّفَ الياء في: (زبانية، وربانية) في: (العباب) المطبوع. وهو خطأ. وممّن تابعَ الصّغانيَّ في تصويبه هذا: الفيروزآباديُّ في: القاموس ٣٣٣. وعلّقَ الزّبيديُّ في: التّاج ٩ / ٤١٥ على هذا التّصويب بقوله: «وهو قولُ ابنِ السِّكّيت». والكلمة بالرّاء في: الألفاظ ٦٧، والمذكّر والمؤنّث للأنباريّ ٢ / ١٧٦ عن ابنِ السِّكّيت، وديوان الأدب ١ / ٤٧٤ -وعن الدّيوان في: المزهر ٢ / ١٥١-، والتّهذيب ١٤ / ٤٢٨ عن ابنِ السِّكّيت، والصّحاح ٢ / ٥٦٥، والمحكم ١٠ / ٦٨، والقاموس المحيط ٣٣٣، والتّاج ٩ / ٤١٢ عن ابنِ السِّكّيت.

٧٠- كذا في: العباب المطبوع. ولا أرى وجهاً لها ههنا.

٧١- من: العباب ٥ / ٣٢؛ فقال: «بين القوم رَبانِيَة [بتضعيف الياء أيضاً. وهو خطأ] أي: شرٌّ. قالَ زيادٌ الطَّمَّاحيُّ:

وكانت بين آل أبي زيادٍ رَبانِيَةٌ؛ فأطفأها زيادُ».

٧٢- العباب ٥ / ٣٩٩.

٧٣- في: المحيط في اللّغة ٤ / ٤٤٩. وفيه: «بين القوم...». وابن عبّاد ههنا لا ينقلُ عن: العين.

٧٤- وكانَ الصّغانيُّ قالَ في: التّكملة ٢ / ٥٠٣: "بينهم خَمْجَريرٌ [كذا]: أي: تَهْويش". وجعلها في: ٥ / ٣٤٤ بالتّاء، مع محافظته على تفسيرها نفسه. وممّن ذكرها بالتّاء، وبهذا التّفسير: الفيروزآباديُّ في: القاموس ٣٨٨. وانظر: التّاج ١١ / ٢٢٢، ٢٢٣.

هكذا قالَ: «تشويشٌ»[٧٥]. والصّوابُ: (تَهويشٌ)[٧٦]».

أقولُ: يتابعُ الصّغانيُّ في تصويبِه لابن عبادٍ ههنا في: (العُباب)، وفي تصويبِه للجوهريّ (٣٩٣هـ) في: (التّكملة) الأزهريَّ الذي خطّأ اللّيث في إتيانه بكلمة (التّشويش). وأرى أنّ نصَّ أهلِ كتبِ اللّحنِ اللّغويّ على عامّيّتِها يرجّحُ ما ذهبَ إليه الصّغانيُّ. والله أعلم.

١٢) **تركيب (ز ع ر)**[٧٧]: وفيه ينقلُ عبارةً عن ابنِ عبّادٍ، ثمّ ينصُّ على تصحيفِ أصابَ كلمةً فيها، ويصوّبُه؛ مستدلّاً؛ فيقول: «قالَ[٧٨]: «و(الزُّعَرَةُ)[٧٩] –مثالُ (تُؤَدَة)[٨٠]–: طائرٌ لا يُرى إلّا مذعوراً[٨١]، يهزُّ ذنبَه، ويدخلُ في الشّجرِ»[٨٢]. قالَ الصّغانيُّ مؤلّفُ هذا الكتابِ: هذا تصحيفٌ. والصّوابُ: (الذُّعَرَةُ) –بالذّالِ المعجمةِ[٨٣]– من الذُّعْرِ، وهو الفزعُ. وقد ذكرتُها في تركيب (ذ ع ر)[٨٤]».

أقولُ: إنّ نقلَ الصّغانيِّ في: تركيب (ذ ع ر) من: (العباب) عن كتابٍ مختصٍّ هو (الطّير)[٨٥] لأبي حاتم (٢٥٥هـ)، وما ساقَ من دليلٍ لغويّ، وعدمَ ذكرِ (الزُّعَرَة) –بالزايّ– عند المعجميّين أكثرِهم –خلا الفيروزآباديَّ– يجعلُ ما نصَّ عليه من وجودِ تصحيفٍ عند ابنِ عبّادٍ حقّاً. والله أعلم.

١٣) **تركيب (ز و ر)**[٨٦]: وفيه ينقلُ عن الأزهريِّ: عبارةً عن اللّيث، وتصحيفاً وقعَ فيها، وتصويبَ هذا التّصحيف، كلُّ ذلك من دون نسبةٍ –كعادته معه–؛

٧٥– قالَ اللّيث: «(الوَشْوَشَةُ): كلامٌ في اختلاط. وكذلك (التَّشْويش)». العين ٦ / ٢٩٩. فخطّأه الأزهريّ؛ فقالَ: «... وأمّا (التَّشْويشُ) فإنّ اللّغويّين أجمعوا على أنّه لا أصلَ له في العربيّة، وأنّه من كلامِ المولّدين. وأصلُه: (التَّهويش)، وهو التّخليط». التّهذيب ١١ / ٤٤٥. وانظر: تقويم اللّسان لابن الجوزيّ ١٨٦، والمزهر ١ / ٣٠٦، والتّاج ١٧ / ٢٤٠. وكذلك قالَ الجوهريّ: «(التَّشْويشُ): التّخليط. وقد تَشَوّشَ عليه الأمرُ». الصّحاح (ش ي ش) ٣ / ١٠٠٩. فعلّقَ الصّغانيّ في: التّكملة ٣ / ٤٨٥: «الصّوابُ (التّهويش). ولو كانَ من كلام العرب لكانَ موضعُه تركيبَ (ش و ش)». وانظر: التّاج ١٧ / ٢٤٠، ٢٨ / ٤٤١ حيث نقلَ الزّبيديُّ في الموضعين كلامَ الصّغانيّ. ووافقَ الفيروزآباديُّ الصّغانيَّ في: القاموس ٥٩٦ وجعلَ (التَّشْويشَ) لحناً، ووهّمَ الجوهريَّ فيما قال. وانظر: التّاج ١٧ / ٢٤٠.

٧٦– وكرّرَ الصّغانيُّ تصويبَه هذا في: تركيب (ش و ش) من العباب ٨ / ٩١ فقالَ: «العامّةُ تقولُ: (التّشويش، وأمرٌ مُشَوَّشٌ، وتَشوّشَ عليه الأمرُ). وهذا ليسَ من كلام العرب، والصّوابُ: (التّهويش، وأمرٌ مُهَوّشٌ، وتهوّشَ عليه الأمرُ». قالَ اللّيث: «(هَوّشْتُ الشيءَ): أي: خلطتُه. و(هَوّشَ القومُ): اختلطوا». العين ٤ / ٦٧. وانظر: المحيط في اللّغة ٤ / ٢٦، والصّحاح ٣ / ١٠٢٨، والتّاج ١٧ / ٤٦٩. وقالَ أبو بكرٍ الأنباريّ: «لا أصلَ لـ(شَوّشْتُ) في كلام العرب. والصّواب: (هَوّشْتُ الشيءَ)، و(شيءٌ مُهَوّش). من ذلك الحديث الذي يُروى: «ليسَ في الهَيْشات قَوَدٌ» معناه: في الفتنة، والاختلاط». الزّاهر ١ / ٤٥٨. وعنه في: التّهذيب ٦ / ٣٥٦. وانظر: تقويم اللّسان لابن الجوزيّ ١٨٦، وتصحيح التّصحيف ٣٤٣، ٤٨٢، والتّاج ١٧ / ٢٣٩.

٧٧– العباب ٥ / ٤٩٥.

٧٨– يعني ابنَ عبّادٍ في: المحيط في اللّغة ١ / ٣٨٤.

٧٩– هي هكذا بالزّاي في: القاموس المحيط ٤٠٠، والتّاج ١١ / ٤٢٧. وعلّقَ الزّبيديُّ في: ١١ / ٤٢٨: «وهو (الذُّعَرَةُ) التي تقدّمت». يعني في: تركيب (ذ ع ر) من التّاج ١١ / ٣٧١.

٨٠– التّمثيل ههنا للصّغانيّ لا لابن عبّاد، وكان مثّل لها في: التّكملة ٢ / ٥٢٥ بـ(هُمَزَة).

٨١– في: القاموس المحيط ٤٠٠: (مزعوراً) –بالزّاي–. وفي: التّاج ١١ / ٤٢٧ عنه: (مذعوراً) –بالذّال–.

٨٢– نقلَ الصّغانيُّ قولَ ابنِ عبّادٍ هذا في: التّكملة ٣ / ٩ من دون نسبةٍ، أو إشارةٍ إلى تصحيفٍ ما وقع.

٨٣– وهي كذلك في: المنجّد ٢٠٦، والجمهرة ٦٩٢، والمحكم ٢ / ٧٧، والتّكملة ٢ / ٥٢٥، والقاموس المحيط ٣٩٦، والتّاج ١١ / ٣٧١. ووجدتُ في: التّاج ٣٨ / ١٦٨ مستدركاً على (القاموس) ما نصّه: «(الرّعْوَةُ) [كذا من دون ضبطِ الرّاء، وبسكونِ العين]: هُنَيّةٌ تدخلُ في الشجر، لا تَراها الدّهرَ إلّا مذعورةً، تهزُّ ذنبَها. نقلَه السّيوطيّ». ولم يذكرِ الزّبيديُّ أين، ولم أقف عليه.

٨٤– من العباب ٥ / ٤٦٩ حيث قال: «(الذُّعَرَة) –مثال تُؤَدَة–: طائرٌ. قالَ أبو حاتم: (الذُّعَرَة): هُنَيّةٌ تكونُ في الشّجر، تدخلُ فيه، لا تَراها إلّا مذعورةً، تهزُّ ذنبَها». وأبو حاتم هو السِّجستانيّ (٢٥٥هـ)، والصّغانيّ يكثرُ النّقل في: (العباب) عن كتابِ أبي حاتم (الطّير)، بتصريحٍ، أو من دون تصريح.

٨٥– يعدُّ هذا الكتابُ (المعجم) من مصنّفات أبي حاتم المفقودة، ووجدتُ على الشّابكة أنّه مطبوعٌ مجموعاً (روايةً عن أبي حاتم السّجستانيّ، وغيره من العلماء) جمعَه: عبدُ الرّحمن محمود الفيّاض، دار سعد الدّين، ودار كنان. ولم أقف عليه.

٨٦– العباب ٥ / ٥١٤، والتّكملة ٣ / ١٦.

فيقـول: «قـالَ اللّيثُ[٨٧]: «يقـالُ للرّجـلِ إذا كانَ غليظاً إلى القِصَرِ: (إنّه لَـزُوارٌ[٨٨]، وزُواريَـةٌ[٨٩])». وقد صحّفَ[٩٠]. والصّواب: (إنّه لَـزُوانٌ، وزُوازِيَـةٌ[٩١]) –بزايين[٩٢]–».

أقولُ: على الرّغم من عدم وقوفي على كلام اللّيث الذي نقلَـه عنه الأزهـريُّ في: (العـين) المطبـوع، إنَّ نَقْـلَ الثّقة عنـه يقوّي احتمـالَ وجودِ سقطٍ ما في مطبوعـه، وإنّ عدمَ وقـوفي –فيمـا اطّلعتُ عليه–علـى لغـويٍّ أو معجميٍّ ذكرَ الكلمتـين براءَين البتّةَ يجعلني أطمئـنُّ إلى حكمي بوقوعِ التّصحيـف؛ متابعةً منّي للأزهريِّ –النّاقلِ عمّن سبقَه–، ومن بعده الصّغانيّ. والله أعلم.

١٤) **تركيـب (س ج ر)**[٩٣]: وفيـه ينقـلُ عبارتـين عـن ابنِ عبّاد، ثـمّ ينصُّ على وجود تصحيـفٍ في أولاهما، ثـمّ يصـوّبُ؛ مستـدلّاً بنقـلٍ عـن الدّينـوريّ؛ فيقـول: «(السَّوْجَـرُ): ضـربٌ مـن الشّجرِ». قالَه ابـنُ عبّاد[٩٤].

قـالَ: «وقيلَ: هو شجرُ الخلاف»[٩٥]. قالَ الصّغانيُّ مؤلِّفُ هـذا الكتـاب: هـذا تصحيـفٌ. والصّـوابُ: (السَّوْحَـرُ) –بالحـاءِ المهملة[٩٦]–. قـالَ الدِّيْنَـوَريُّ[٩٧]: «(السَّوْحَرُ): شجـرُ الخـلاف، الواحـدةُ (سَوْحَـرَةٌ). قـال: «وهـو الصَّفصافُ أيضاً».».

أقـولُ: لا أرى الأمـر كمـا قـرّره الصّغـانيّ؛ إذ ذِكْـرُ (السَّوْجَر) –بالجيم– عند المعجميّين قبلَ ابنِ عبّاد وبعده يقوّي مقالتَه، ويخرجُها من تهمة التّصحيف، وما استدلَّ بـه الصّغـانيُّ –وإن كانَ مختصّاً– غـيرُ كافٍ للاطمئنانِ إلى وجـودِ التّصحيف؛ لعدم وقـوفي على الكلمةِ في مطبوعِ (النّبـات)، ولأنّ الكلمـةَ ذُكرَت بالجيم في موطـنٍ آخرَ من (النّبـات) المطبوع، وعنه نقلَهـا الصّغانيُّ في: تركيب (خ ل ف) مـن: (العبـاب) بالجيم أيضاً لا بالحـاء، ولم يُشر إلى تصحيفٍ ما ثمّة. والله أعلم.

٨٧– لم أقف على كلام اللّيث في: (العين) المطبوع، ولا في: مختصَره للزُّبيديّ (رسالة ماجستير). وكلامُه منسوباً، وذكْرُ التّصحيف الوارد فيه، وتصويبُه في: التّهذيب ١٣ / ٢٤٢. وعنه ينقلُ الصّغانيّ، ومن دون نسبـة. وزادَ الأزهريُّ –وأغفلَه الصّغـانيُّ– أنّ القائلَ بالتّصويب: ابنُ الأعرابـيّ، وأبـو عمـرو، وغيرُهما. وممّن نقـلَ كلامَ الأزهـريِّ بتمامه منسوباً: الزَّبيديُّ في: التّاج ١١ / ٤٧١.

٨٨– ضُعّفَ الواو في: التّهذيب المطبوع. وهو خطأ.

٨٩– وردت في: (العباب) المطبوع بالزّاي بدلَ الرّاء. وهو خطأ.

٩٠– ونعـتَ الأزهريُّ في: التّهذيب ١٣ / ٢٤٢ تصحيفَ اللّيث ههنا بالمُنْكَر.

٩١– فُتِحَ الزايُ الأوّلُ في: (العباب) المطبوع. وهو خطأ.

٩٢– والكلمتـان كذلـك في: الألفـاظ ١٦٣ بفتـحِ الزّايـين الأوليين، والمذكّـر والمؤنّـث للأنبـاريّ ٢ / ١٧٥ عـن الأصمعـيّ وبفتـحِ الزّايـين الأوليـين، والتّهذيـب ١٣ / ٢٨٥ عـن ابـنِ السّكّيت وبضـمِّ الزّايـين الأوليـين، وفيـه هُمـزت كلمـة (زُواز) وليسـت كذلـك في: (الألفـاظ) المطبـوع، والمحكـم ٩ / ٧٣ بضـمِّ الزّايـين الأوليـين، والتّـاج ٢ / ٢٦٥ بفتـحِ الزّايـين الأوليين. والثّانية فقط بضمِّ الـزّاي الأولى في: المحيط في اللّغـة ٩ / ١١٢، والصّحاح ٣ / ٨٨٠، وسفر السّعادة ٢٩١، والقاموس المحيط ٥١٣. وانظر: التّاج ١٥ / ١٧٠، ٢٧ / ٣١٥. وجعلها الزَّبيديُّ في: التّاج ٣٨ / ٢٣٣ بفتحِ الزّاي الأوّل، وضبطَها كـ(عَلانيَة).

٩٣– العباب ٥ / ٥٢٨، ٥٢٩.

٩٤– في: المحيط في اللّغة ٧ / ٩.

٩٥– في: المحيـط ٧ / ٩: «وقيـل: إنّـه الخـلاف». ولعـلّ ابـن عبّاد ينقـل ههنـا –في الموضعين– عـن ابن دريـد في: الجمهـرة ١١٧٦ الذي جعلهـا: «لغةً يمانية». وانظـر: المحكـم ٧ / ٢٦٨، والتّكملة ٣ / ٢١ ولم يشـر الصّغـانيّ ثمّة إلى تصحيف مـا، والتّـاج ١١ / ٥٠٧، ٥١٨. وقالَ الدِّينـوريُّ: «(الخِلافُ): وهـو الصَّفصافُ، وهو بأرضِ العربِ كثيرٌ، وأخـبرني أعرابيٌّ قال: نحـنُ نسمّيـه (السَّوْجَـرَ). وهو شجـرٌ عِظامٌ، وأصنافُـه كثـيرةٌ، وكلُّها خَوّارٌ خفيفٌ... وزعموا أنّـه سُمّي (خِلافاً)؛ لأنّ المـاءَ جاءَ به سبياً؛ فنبتَ مخالفاً لأصله». النّبات قطعة من ج٥، ص ١٤٢، ١٤٣. وانظـر: المحكـم ٥ / ٢٠٦، والعبـاب (خ ل ف) ١١ / ١٨٦. وممّن ذكـرَ (السَّوْجَر) –بالجيم– أيضـاً: الفيروزآباديُّ في: القاموس ٤٠٥، وأشـارَ إلى احتمـالِ وقـوعِ التّصحيـف؛ بقولـه: «أو الصّـوابُ بالمهملة». وانظر: التّاج ١١ / ٥٠٧.

٩٦– وهـي كذلك في: التّكملة ٣ / ٢٢، والعباب (س ح ر) ٥ / ٥٣٣، والقاموس المحيـط ٤٠٥. وانظر: التّاج ١١ / ٥١٨ حيث علّقَ الزَّبيديُّ بالقول: «وقيلَ بالجيم».

٩٧– لم أقـف علـى قـولَي الدِّينـوريِّ الآتيـين فيمـا بين يـديّ من: (النّبـات). وفي: النّبات: قطعـة من ج٥، ص ١٤٢ عرضـاً: (السَّوْجَـر) –بالجيـم–: اسـمٌ آخـرُ لشجـرِ الخـلاف (الصّفصاف)كما نقلتُ في الحاشيـة قبـل السّابقة. وقولا الدِّينـوريِّ الآتيـان في: التّكملة ٣ / ٢٢، والعبـاب (س ح ر) ٥ / ٥٣٣، وبـلا نسبـة في: التّـاج ١١ / ٥١٨. وفي: (النّبـات) القسم الثّاني مـن القاموسِ النّباتيّ (س إلى ي) ص٥٣ نقلٌ لقـولي الدِّينـوريّ عـن العباب (س ج ر) بالجيم في كلٍّ مـن: (السَّوحر، وسوحرة) لا بالحاء.

١٥) **تركيب (ش ك ر)**[٩٨]: وفيه ينقلُ كلمةً وردَتْ في بعضِ كتبِ اللّغة، ثمّ يصوّبُها؛ مستدلّاً بنقلٍ عن كتابِ (النّبات)؛ فيقول: «وأمّا (الشَّيْكَرانُ) لضربٍ من النّبتِ فهو في بعضِ كتبِ اللّغةِ بالشّينِ المعجمة[٩٩]. والصّوابُ فيه السّينُ المهملة[١٠٠]؛ وقد ذكرَه الدِّيْنَوَرِيُّ[١٠١] في بابِ السّينِ المهملة، وقد ذكرتُه في موضعه[١٠٢]».

٩٨- العباب ٥ / ٦٢٤، والتّكملة ٣ / ٥٥.

٩٩- ومنها ما قبل الصّغانيّ: ديوان الأدب ٢ / ٨٣، والصّحاح ٢ / ٧٠٣ والكلمة فيهما بضمِّ الكاف، وجرت عادةُ الصّغانيّ في: (العباب) -كما سيأتي- أنّه إذا أرادَ (صحاحَ) الجوهريِّ استعملَ عبارة: (بعض كتبِ اللّغة)، ورأيتُ هذا حطّاً منه -رحمه الله-. وقد صرّحَ الصّغانيّ في: التّكملة ٣ / ٥٥ باسم الجوهريّ، والكلمةُ فيه بضمِّ الكاف أيضاً، ولم يصوّب له ثمّة. ومنها ما بعد الصّغانيّ: القاموس المحيط ٤١٩ والكلمة فيه بفتحِ الكاف، وقال صاحبُه بعدها: «وتُضمُّ الكاف». وانظر: التّاج ١٢ / ٢٣٣، والجاسوس على القاموس ٣٣١.

١٠٠- وممّن ذكرَ الكلمةَ بالسّين: ابنُ سيده في: المحكم ٦ / ٧١٤ بفتحِ الكاف، وابنُ هشام اللّخميّ في: المدخل إلى تقويم اللّسان ٢٧٩ وجعلَ فتحَ كافِها لحناً، وضمَّها الصّواب. وانظر: تصحيح التّصحيف ٣٢٥، والتّاج ١٢ / ٢٣٣، والفيروزآباديُّ في: القاموس المحيط ٤٠٩ وضبطَها بقوله: «كـ(ضَيْمَران)». وانظر: التّاج ١٢ / ٦١. وأشارَ في: قاموسه ٤١٩ إلى احتمالِ أن يكونَ الصّواب بالسّين، ومع ذلك وهّمَ الجوهريَّ؛ لذكرها بالشّين. وانظر: التّاج ١٢ / ٢٣٤، والجاسوس على القاموس ٣٣١.

١٠١- مرّ ذكْرُ هذا النّبت -بالسّين- عرضاً في: (النّبات) قطعة من ج٥، ص١٠٥ لدن إنشادِ الدِّينوريّ بيتاً؛ شاهداً على دوام خضرةِ نبتِ (الحُلّب) هو:

وشَفْشَفَ حَـرُّ الصّيفِ كلَّ بقيّةٍ من النّبتِ إلّا سَيْكُراناً، وحُلّبا

والكلمة في هذا البيتِ بضمِّ الكاف. وانظر: (النّبات) القسم الثّاني من القاموسِ النّباتيّ (س إلى ي) ص٥٧، والمحكم ٦ / ٧١٤، والتّكملة ٣ / ٣٣، والعباب (س ك ر) ٥ / ٥٦٣، (ش ف ف) ١١ / ٢٩٧، والتّاج ١٢ / ٦١، ٢٣ / ٥٢٣.

١٠٢- وذلك في: تركيب (س ك ر) من العباب ٥ / ٥٦٣؛ فقالَ ناقلاً: «قالَ الدِّيْنَوَرِيُّ: «(السَّيكَران): ممّا تدومُ خضرتُه الصّيفَ كلَّه...». وانظر: (النّبات) القسم الثّاني من القاموسِ النّباتيّ (س إلى ي) ص٥٧، والتّكملة ٣ / ٣٣ حيث نقلَ الصّغانيّ قولَ الدِّينوريّ أيضاً، والكلمة مضمومةُ الكاف ثمّة. وممّن نقلَ قولَه أيضاً: ابنُ سيده في: المحكم ٦ / ٧١٤، والزّبيديُّ في: التّاج ١١ / ٥٢٤، ١٢ / ٦١، ٦٢، ٢٣٤.

أقولُ: لا حجّةَ ههنا بعدمِ الوقوفِ على الكلمة -بالسّين- فيما بين أيدينا من مطبوعِ (النّبات)؛ إذ نصُّ الصّغانيّ واضحٌ على أنّها في بابِ السّينِ المهملة منه. واعتمادُ الصّغانيّ -ومن قبله ابنُ سيده- في تصويبِه على ما جاءَ به مختصٌّ في أسماءِ النّبات -أعني أبا حنيفة-، وإن كانَ منطقيّاً، لا أراه دليلاً مرجِّحاً لنفي صحّة (الشَّيْكران) -بالشّين-؛ إذ وردت عند اثنين من الأئمّة المعتبرين أيضاً، أعني: الفارابيّ (٣٥٠هـ)، والجوهريّ (٣٩٣هـ)، إضافةً إلى عدمِ تصويبِ الأئمّةِ المتأخّرين كالزَّبيديّ لها معَ اطّلاعِهم على ما قالَ الدِّينوريّ، ونقلِهم عنه. والله أعلم.

١٦) **تركيب (ص ب ر)**[١٠٣]: وفيه ينقلُ -من دون نسبة- عبارةً عن الجوهريّ وإنشاداً، ثمّ يصوّبُ كلمةً فيها لغة وشعراً، ثمّ يفسّرُ ما صوّب؛ فيقول: «وذُكرَ في بعضِ كتبِ اللّغة[١٠٤]: «(الصَّبَارُ)[١٠٥]: جمعُ (صَبْرَة)[١٠٦]: وهي حجارةٌ شديدةٌ»، وأنشدَ[١٠٧]: [الوافر]

١٠٣- العباب ٥ / ٦٤٦.

١٠٤- هو: الصّحاح ٢ / ٧٠٧. وصرّحَ الصّغانيّ بالنّقلِ عن الجوهريّ ههنا في: التّكملة ٣ / ٦٤. وانظر الكلمةَ الآتية في: العين ٧ / ١١٦، والتّهذيب ١٢ / ١٧٣، والمقاييس ٣ / ٣٣٠، والمجمل ٥٤٩، والقاموس المحيط ٤٢٢ حيث صرّحَ الفيروزآباديُّ بالنّقل عن الجوهريّ أيضاً، وغلّطه. وانظر: التّاج ١٢ / ٢٨٣، ٣٧٥.

١٠٥- «أي: كـ(سَحاب)». التّاج ١٢ / ٢٨٣. وضُبط الصّادُ في: (العباب) المطبوع بالكسر، وهو خطأ. وهو بالكسر في: العين ٧ / ١١٦، والمقاييس ٣ / ٣٣٠، والمحكم ٨ / ٣١٤. وبالفتح في: التّهذيب ١٢ / ١٧٣، وبالكسر ثمّ بالفتح في: المجمل ٥٤٩.

١٠٦- «بفتح، فسكون». التّاج ١٢ / ٢٨٣. وضُمَّ الصّاد في: المقاييس ٣ / ٣٣٠، والمحكم ٨ / ٣١٤. وبالضّمّ، ثمّ بالفتح في: المجمل ٥٤٩.

١٠٧- يعني الجوهريَّ في: الصّحاح ٢ / ٧٠٧. ونسبَه إلى الأعشى. وهو له في: المقاييس ٣ / ٣٣٠، والمجمل ٥٤٩ (وفيهما عجزه فقط)، والتّنبيه والإيضاح ٢ / ١٤٥. وقالَ الصّغانيّ في: التّكملة ٣ / ٦٤: «ليسَ البيتُ للأعشى». وتابعه: الفيروزآباديُّ في: القاموس ٤٢٢. ولم يوافقه صاحبُ التّاج ١٢ / ٢٨٣. قلتُ: لم أقف عليه في (ديوان) الأعشى. وهو بلا نسبة في: العين ٤ / ٦٧، ٧ / ١١٦، والتّهذيب ١٢ / ١٧٣، ٢٣١، والتّاج ١٢ / ٣٧٥.

«كأنّ ترنُّمَ الهاجات[108] فيها
قُبيلَ الصُّبحِ أصواتُ الصَّبَار[109]».

والصّوابُ في اللّغة، وفي البيت: (الصِّيارُ) –بكسر الصّاد، وبالياء[110] المعجمة باثنتين من تحتها–: وهو صوتُ الصَّنْج ذي الأوتار[111]».

أقولُ: معلومٌ لدى المختصّين تغليطُ الصّغانيّ الدّؤوبُ الجوهريَّ في: (التّكملة)، الذي ما صُنّف إلّا لهذا الغرض، ومن الطّبيعيّ أن يستمرّ هذا التّغليط في: (العباب)، ولا أرى له هذا ههنا لا لغةً ولا شعراً؛ لأسباب:

أوّلها: ثبوتُ كلمة (الصّبار) بالباء –بكسر الصّاد، أو بفتحها– عند أكثرِ المعجميّين، ولا سيّما الأزهريِّ الذي ينقلُ عنه الصّغانيّ، الذي ما ذكرَ البتّة وجودَ تصحيفٍ ما فيها لدن عرضه إيّاها في تركيبَي: (صبر، صير).

ثانيها: اختلالُ معنى تشبيهِ نقيقِ الضّفادعِ في الشّاهد بصوتِ آلةٍ موسيقيّةٍ ما بدل صوتِ وقعِ الحجارة وهو أليقُ بتلك الكائنات.

ثالثها: عدمُ ثبوتِ كلمة (الصِّيار) –بالياء– لغة وشعراً إلّا عند الأزهريّ من الأئمّة، وعدمُ متابعة أحدٍ للصّغانيّ فيما رأى من تغليطٍ للجوهريّ، خلا الفيروزآباديَّ، الذي ردّ عليه: صاحبا: (التّاج، والجاسوس). والله أعلم.

١٧) **تركيب (ع ي ر)**[112]: وفيه ينقلُ عبارةً عن اللّيث، ثمّ يصوّبُ كلمةً فيها، ويرى أنّها من العاميّ؛ فيقول: «قالَ اللّيثُ: «(عَيَّرتُ الدّنانيرَ): وهو أن تلقيَ ديناراً ديناراً؛ فتوازنَ به ديناراً ديناراً»[113]. كذا قالَ اللّيثُ[114]. والصّوابُ: (عايَرْتُ)[115]. و(عَيَّرتُ) من كلامِ العامّة[116]».

١٠٨– في: التّهذيب ١٢ / ٢٣١، والتّاج ١٢ / ٣٧٥: (تَراطُنَ) بدل: (ترنّم). و«(الهاجةُ): الضِّفْدَعةُ الأنثى». العين ٤ / ٦٧. وفي: التّكملة ٣ / ٦٤: (الحاجات). وهو تحريف، وقد أشار إليه محقّقُ (العباب) د. المخدوميّ رحمه الله.

١٠٩– ضُبط الصّادُ في هذا الشّاهد في: (العباب) المطبوع بالكسر، وهو خطأ. وهو بالكسر في: العين ٧ / ١١٦، والمقاييس ٣ / ٣٣٠، والتّنبيه والإيضاح ٢ / ١٤٥ وصوّبَه ابنُ برّيّ. وبالفتح في: (التّهذيب) المطبوع ١٢ / ١٧٣ وفيه: (الضَّبار) –بالضّاد–، وهو تصحيف، والمجمل ٥٤٩، والتّكملة ٣ / ٦٤. قالَ الأزهريّ شارحاً: «شبّهَ نقيقَ الضّفادعِ بوقعِ الحجارة». وانظر: التّنبيه والإيضاح ٢ / ١٤٥. وفي: التّهذيب ١٢ / ٢٣١، والتّاج ١٢ / ٣٧٥: (رنّاتُ) بدل: (أصواتُ).

١١٠– في: (القاموس المحيط) المطبوع ٤٢٢: «(الصِّيار): بالكسر، والباء [كذا]». وهو تصحيف. وهي على الصّواب في: التّاج ١٢ / ٢٨٣ النّاقل عن القاموس.

١١١– الكلمة وفق ما صوّبَ الصّغانيُّ في البيت لا في اللّغة في: العين ٤ / ٦٧، والتّاج ١٢ / ٣٧٥. وفي اللّغة فحسب في: القاموس المحيط ٤٢٨ وضبَطَها بقوله: «كـ(دِيار)». وانظر: التّاج ١٢ / ٣٧٥. وكانَ الصّغانيُّ ذكرَ هذا التّصويب بتمامه في: التّكملة ٣ / ٦٤. وهو ينقلُ الكلمةَ، وتفسيرَها في البيت–من دون نسبة كعادته– في معجمَيه: (التّكملة، والعُباب) عن الأزهريّ في: التّهذيب ١٢ / ٢٣١ عن أبي الهيثم. وممّن نقلَ هذا التّصويبَ عن الصّغانيّ –من دون نسبة كعادته أيضاً– الفيروزآباديُّ في: القاموس ٤٢٢. وأشار إلى هذا صاحبُ التّاج ١٢ / ٢٨٣، ٣٧٥ الذي صحّحَ ما قالَ الجوهريّ؛ مستنداً إلى نقلٍ عن ابن سيده في: (المحكم). قلتُ: لم أقف على كلام ابن سيده المنقولِ عند الزّبيديّ. وبطّلَ صاحبُ الجاسوس ٥٠٤ ما نقلَ الفيروزآباديُّ «رواية، ودراية...».

١١٢– العباب ٦ / ١٩٥.

١١٣– الذي في: (العين) المطبوع ٢ / ٢٣٩: «(عيّرتُ الدّنانيرَ تعييراً): إذا ألقيتَ ديناراً؛ فتوازنُ [كذا] به ديناراً ديناراً». والذي في: التّهذيب ٣ / ١٦٨ عن اللّيث قريبٌ جدّاً ممّا نقلَ الصّغانيّ ههنا؛ فلعلّه ناقلٌ عنه عبارةَ اللّيث.

١١٤– وممّن ذهبَ مذهبَه: ابنُ عبّاد في: المحيط في اللّغة ٢ / ١٤٤، وابنُ فارس في: المجمل ٦٣٩ الذي فرّقَ، ووضّحَ بقوله: «(عَيّرْتُ الدّنانيرَ): إذا وزنتَها واحداً واحداً. ويقالُ: إنّما يكونُ ذلك في الكيل، والوزن. فأمّا (عيّرْتُ فلاناً) فلا يكونُ إلّا في التّعيير والذّمّ». والصّغانيُّ نفسُه في: التّكملة ٣ / ١٣٤ من دون إشارة إلى غلطٍ ما، والفيروزآباديّ في: القاموس ٤٤٧. وانظر: التّاج ١٣ / ١٨٠.

١١٥– وهي كذلك في: الجمهرة ٧٧٧.

١١٦– ذكر هذا الأزهريُّ في: التّهذيب ٣ / ١٦٨ عن أبي الجرّاح، وعن أبي عُبيدٍ عن كلٍّ من: الكسائيّ، والأصمعيّ، وأبي زيد؛ مستدلّاً بأنّ (عيّرتُ) لا يكونُ إلّا من العار. وانظر: التّهذيب ٩ / ٣٨٣، والتّاج ١٣ / ١٨٠، ٢٩ / ٢٦٠. وممّن ذكره قبلَ الأزهريّ: ابنُ السِّكّيت في: إصلاح المنطق ٢٩٦، وابنُ قتيبة في: أدب الكاتب ٣٨٠ وخَصَّه بالمكاييل لا الموازين، وابنُ دريد في: الجمهرة ٩٥٢. وممّن ذكره بعده: الجوهريُّ في: الصّحاح ٧٦٤، وابنُ هشام اللّخميّ في: المدخل إلى تقويم اللّسان ٣٠٦، والصّفديّ في: تصحيح التّصحيف ٣٨٨.

أقولُ: تبعَ الصّغانيُّ فيما صوّبَ–من دون تصريح منه– الأزهريَّ النّاقلَ ما صوّبَ عن كبار اللّغويّين، وقالَ بقولهم الأكثرون كما بانَ لي، ولكن لم يخلُ الفعلُ (عيّرتُ) من مناصرين ذكروه، وأجازوه، ويبدو تعليلُ ابن فارس إجازتَه له مع (الدّنانير) لا (الأشخاص) مقبولاً عندي. والله أعلم.

١٨) **تركيب (غ ر ر)**[١١٧]: وفيه ينقلُ عبارةً عن الأزهريّ، وإنشاداً، ثمّ يصوّبُ كلمةً وردَتْ فيهما؛ فيقول: «(الغَرْغَرةُ): كَسْرُ قَصَبَةِ الأنف، وكسرُ رأسِ القارورة. وأنشدَ أبو زيد[١١٨] لذي الرُّمّة[١١٩]: [الطّويل]

وخضراءَ[١٢٠] في وَكْرَينِ[١٢١] غَرْغَرْتُ[١٢٢] رأسَها
لأُبْلِيَ إذ[١٢٣] فارقْتُ في صاحِبي عُذْرا[١٢٤]»

هكذا ذكرَه الأزهريُّ في هذا التّركيب[١٢٥]. والصّوابُ بالعينِ المهملة[١٢٦] في اللّغة، وفي الشِّعر. وقد ذكرتُه في فصلِ العينِ المهملة من هذا الحرف[١٢٧] على الصّحّة».

أقولُ: أرى أنّ الدّقّةَ جانبَتْ تصويبَ الصّغانيِّ اللّغويَّ ههنا؛ إذ تكادُ المعجماتُ –التي وقفتُ عليها– تُجمِعُ على ذكرِ كلمةِ (الغَرْغَرْة) –بالغينين–؛ تفسيراً لمعنى (كسرِ رأسِ القارورة) لا لغيره، والصّغانيّ نفسُه لم يصرّح بهذا التّفسيرِ لها لدن ذكرِه الكلمةَ بالعينين في (فصلِ العينِ المهملة) في معجَميه: (التّكملة، والعباب). أمّا في تصويبِه الشِّعريّ فأراه محقّاً؛ إذ تكادُ تلك المعجماتُ تُجمِعُ على ذِكْرِ الفعلِ (عرعرتُ) بالعينين. والله أعلم.

١٩) **تركيب (ك م ث ر)**[١٢٨]: وفيه ينقلُ عبارةً عن ابنِ عبّاد، وإنشاداً عن غيره، ثمّ يصوّبُ كلمةً في العبارة والإنشاد –وفق ما رأى–؛ فيقول: «قالَ ابنُ عبّاد: «(الكَمْثَرَةُ): مِشْيَةٌ فيها تقارُبٌ، ودَرَجانٌ»[١٢٩].

١١٧– العباب ٦ / ٢١٥.

١١٨– سعيد بن أوس بن ثابت، الأنصاريّ الخزرجيّ. مات سنة (٢١٥هـ). ترجمته في: معجم الأدباء ١٣٥٩. ولم أقف على إنشاده الآتي في: (نوادره).

١١٩– عبارة: «أبو زيد لذي الرُّمّة». ليست في: التّهذيب ١٧ / ٨٧ (المستدرك). وذو الرّمّة هو: غَيلان بن عقبة. مات سنة (١١٧هـ). ترجمته في: طبقات فحول الشّعراء ٥٣٤، ٥٤٩، والشّعر والشّعراء ٥١٥. والبيت في: ديوانه ٤٩١. وله في: المقاييس ٤ / ٣٨، والتّاج ١٣ / ٢٣٠. وهو لمُهلهِل في: العين ١ / ٨٦. ولم أقف عليه في: (ديوانه). وبلا نسبة في: العين ٤ / ٣٤٧ (صدره فقط)، والتّاج ١٣ / ١٤. وفيه: «وقالَ يعني قارورةً صفراءَ من الطِّيب: [البيت]».

١٢٠– في: العين ١ / ٨٦، والتّاج ١٣ / ١٤: «وصفراءَ». وفي: العباب (ع ر ر) ٦ / ١١١ وحده: «خضراءُ» بالضّمّ.

١٢١– قالَ التّبريزيُّ –شارحُ (ديوان) ذي الرّمّة–: «(وخضراءَ): قارورةٌ. (في وَكرين): أي: في غِلافَين».

١٢٢– في: (ديوان) ذي الرّمّة، والعين ١ / ٨٦، والمقاييس، والعباب (ع ر ر) ٦ / ١١١، والتّاج ١٣ / ١٤: «عرعرت» –بعينين–. وفُتِحَ الرّاءُ الثاني في: العين. وهو خطأ. وفي: التّكملة ٣ / ١٤٠: «غرغرت» –بغينين– وفُتِحَ الرّاءُ الأوّل. وهو خطأ أيضاً. ولم يصوّبِ الصّغانيُّ الكلمة ثمّة.

١٢٣– في: التّهذيب: «إن». وفي: العين ١ / ٨٦، والمقاييس، والتّاج ١٣ / ١٤: «إذا». وبها يختلُّ الوزن.

١٢٤– في: (ديوان) ذي الرّمّة، والمقاييس، والعباب ٦ / ١١١: «صُحبتي». وفي: العين ١ / ٨٦: «العذرا».

١٢٥– في: تهذيب اللّغة ١٧ / ٨٧ (المستدرك). وممّن ذكرَ الكلمةَ بالغين –وفق ما فسّرَ الأزهريُّ– لغةً وشعراً: اللّيثُ في: العين ٤ / ٣٤٦، ٣٤٧، والصّغانيُّ نفسُه في: التّكملة ٣ / ١٤٠ من دون أن يصوّبَ شيئاً، والزّبيديُّ في: التّاج ١٣ / ٢٢٩، ٢٣٠. وممّن ذكرها بالغين أيضاً في اللّغة فحسب: الفارابيُّ في: ديوان الأدب ٣ / ١٩٣، وابنُ عبّاد في: المحيط ٤ / ٥١١، وابنُ سيده في: المحكم ٥ / ٣٦٦، والفيروزآباديُّ في: القاموس ٤٥٠.

١٢٦– نقلَ اللّيثُ في: العين ٤ / ٣٤٧ هذا التّصويب عن (الضّرير) –ولعلّه أبو سعيد– الذي فسّرها بتحريك صِمام القارورة؛ لاستخراجه. ولم يعلّق اللّيثُ على ما نقل.

١٢٧– وذلك في: تركيب (ع ر ر) في: العباب ٦ / ١٠٨، ١١١. والذي رأيتُه أنّ الصّغانيّ لم يذكر ثمّة (العَرعَرة) –بفتح العينين– بمعنى الكسر لقصبة الأنف وللقارورة كما ذكرها الأزهريُّ، بل بمعانٍ تتعلّقُ بالقارورة نحو: سدادها، واستخراج صِمامها، وجعلِ وكاءٍ لها أو رأس، ومعالجة رأسها؛ لإخراجه. وهي –بالعينين– بهذه المعاني، أو أحدها في: العين ١ / ٨٦، والمحيط في اللّغة ١ / ٩٢، والمقاييس ٤ / ٣٨، والتّكملة ٣ / ١٠٩، والقاموس المحيط ٤٣٨، والتّاج ١٣ / ١٤. وإنّما مرادنا في مسألتنا هذه ما ذكره الأزهريُّ تفسيراً.

١٢٨– العباب ٦ / ٣٨٨.

١٢٩– المحيط في اللّغة ٦ / ٣٧٥. وفيه: «دَرَجاتٌ». وهو تحريف. «و(الدَّرَجانُ): مشيةُ الشّيخ، والصّبيّ». العين ٦ / ٧٨. وهما يمشيان «مَشياً ضعيفاً». المحكم ٧ / ٣١٨. وانظر: التّاج ٥ / ٥٥٣. والكلمة –بالثّاء– في: المجمل ٧٨٩، والتّاج ٣٣ / ٣٢٨.

وأنشدَ غيرُه[١٣٠]:

قامَتْ مُكَمْثِـرَةً، تسعى بِـبَهكَنَـة
صفراءَ راقِنَـةٍ كالشّمسِ عُطْبُولِ[١٣١]

قـالَ الصّـغـانيُّ مؤلِّـفُ هـذا الكتـابِ –رحمـه اللهُ–: الصّوابُ –عندي–: (الكَمْتَـرَةُ) بالتّاءِ المعجمة –باثنتين من فوقِها– في اللّغة، وفي الشِّعر[١٣٢]».

أقـولُ: بدا لي تصويـبُ الصّغانيِّ اللّغـويُّ لعبارة ابن عبّـادٍ راجحـاً؛ إذ لم أقف على كلمة (الكَمْـثَرة) –بالثّاء– بمعنـى: (المِشية المتقاربة) إلّا عندَ ابـنِ فارسٍ من الأئمّةِ المتقدّمـين على الصّـغـانيّ في: (مجمله)، الـذي كانَ ذكرها بالتّاء في: (مقاييسه). أمّا تصويبُه الشِّعريُّ فإنّني لم أقف علـى البيت لـدى المتقدِّمين إلّا عندَ ابـنِ السِّكّيت (٢٤٤هـ) ينشـدُه عن أبـي عمرو، والرّوايـةُ عنده (مُكَمْـترة) بالتّاء لا بالثّـاء كمـا نقلَ الصّـغـانيّ ههنا في: (العُبـاب)، لكنّ ابنَ السِّكّيـت جاءَ بها شاهداً علـى معنى: (العَدْو) لا (المِشية المتقاربة). والله أعلم.

١٣٠– لعـلّ الصّغانيَّ يعني: ابنَ السِّكّيت في: الألفاظ ١٩٣. وفيه: «قـالَ: وأنشـدني أبو عمـرو لأبي حبيـب الشّيبانيّ: [البيـت]». والبيتُ الآتـي منسوبٌ إلى أبي حبيبٍ الشّيبانيّ في: التّاج ٣٥ / ١٠٧. وما وقفتُ على ترجمة لأبي حبيب هذا.

١٣١– في: الألفاظ، والتّاج: «جاءَتْ مُكَمْتِرةً». وفي: التّاج: (راقنةً) بالفتـح، و(عطبـولٌ) بالضّـمّ. و(البهكنـة): المـرأةُ الغضّـةُ المليحـة. و(الرّاقنـة): الحسنةُ اللّونِ المُختَضِبـة. و(العُطبول): الفتيّةُ الطّويلةُ العنق. انظر: التّاج ٣٤ / ٢٩٢، ٣٥ / ١٠٧، ٣٠ / ١١ على التّرتيب.

١٣٢– وهـي كذلـك لغـةً فحسب –وفـق ما فسّرها ابـن عبّاد– في: العـين ٥ / ٤٣١، والصّحـاح ٢ / ٨٠٩ عـن أبـي عمـرو، والمقاييـس ٥ / ١٩٤، والمحكم ٧ / ١٦٨، والعباب (ك م ت ر) ٦ / ٣٨٧ عن الصّحاح من دون نسبة، والقاموس المحيط ٤٧١، والتّاج ١٤ / ٦٧، ٣٣ / ٣٥١. وهـي كذلك لغـة أيضاً، ولكن بمعنـى: «عَدْوِ القصـيرِ المتقاربِ الخطى، المجتهـدِ في عَـدْوه» في: الغريـب المصنّف ٩٦، والتّهذيـب ١٠ / ٤٣٤ عن أبي عبيدٍ عن الأصمعيّ، والمحيط أيضاً ٦ / ٣٧٣، والجراثيم ١ / ٢٤٧، والمنتخـب ٣١٤، والمحكـم ٧ / ١٦٨، والعبـاب (ك م ت ر) ٦ / ٣٨٧ عن ابـن عبّاد تصريحـاً، والقاموس ٤٧١. وانظر: التّـاج ١٤ / ٦٧. وهي كذلك شِعراً فحسب في: التّـاج ٣٥ / ١٠٧. ولغة وشِعراً بمعنى (العَدْو) في: الألفاظ ١٩٣.

٢٠) **تركيـب (ك ن د ر)**[١٣٣]: وفيـه ينقـلُ عبارةً عن ابنِ عبّـاد، ثمّ يصوّبُ كلمـةً فيها؛ فيقـول: «(كَنْدَرَةُ[١٣٤] البـازي[١٣٥]): مَـجْثِمُـهُ»[١٣٦]. قـالَ الصّـغـانيُّ مؤلِّفُ هذا الكتـاب –رحمـه اللهُ–: الصّـوابُ: (كَنْـدَدَةُ البـازي) بدالَين[١٣٧]».

أقـولُ: أرى أنّ الصّـغـانيَّ نقـلَ تصويبَه هـذا مُعتمداً علـى: (تهذيـب اللّغـة)؛ إذ لم تُذكَر الكلمـةُ بدالَين –وفق مـا صوّبَ– إلّا عنـدَ الأزهريِّ النّاقلِ تصريحـاً عن اللّيث، ووجودُهـا في: (العـين) المطبـوعِ بالـرّاء، وذكرُها عند كلٍّ من: ابنِ سيده، والزّمخشريِّ –من اللّغويين–، والجاحظِ (٢٥٥هـ) –من الأدبـاء– بالرّاءِ أيضاً يقـوّي عدمَ وجودِ غلطٍ ما في عبارةِ ابن عبّاد. والله أعلم.

٢١) **تركيـب (ن ج ر)**[١٣٨]: وفيـه ينقـلُ عبـارةً عن ابنِ دريدٍ وإنشاداً، ثـمّ ينصُّ على وجودِ تصحيفٍ فيهما، ويصوّبُه، ثـمّ ينسبُ الإنشادَ إلى قائلـه، ويصحّحُ روايتَه التـي أتى بهـا ابنُ دريـد، ويشيرُ إلى عدمِ تنبيـه الأزهريِّ على ما رآه هو صحيحاً؛ فيقول: «(المِنْجَارُ): لُعبةٌ يلعبُ

١٣٣– العباب ٦ / ٣٨٩.

١٣٤– وردت الكلمـةُ بالـرّاء في: العين ٥ / ٤٢٩، والمحكم ٧ / ١٦٥ بضمِّ الكاف والدّال فيهما، وأساس البلاغة ٢ / ٢١٢، ٣٤٢، والقاموس المحيـط ٤٧٢. انظـر: التّـاج ١٤ / ٧١، والجاسوس ٤١٣. وهي بالرّاء أيضـاً في: رسائل الجاحـظ ١ / ٢٧٧ من الكتبِ الأدبيّـة، ضمن كلامٍ له عن طائرِ البازي.

١٣٥– في: المحكم ٧ / ١٦٥: «الهازي». وهو تحريف.

١٣٦– المحيط في اللّغة ٦ / ٣٦٩.

١٣٧– وهـي كذلـك في: تهذيب اللّغـة ١٠ / ٤٣٢ عـن اللّيث، وبفتح الكاف والدّالِ الأولى، وأشرتُ قريباً أنّه في: (العين) بالرّاء –لا بالدّال– وأنّ الـكافَ والـدّالَ الأولى فيـه بالضّمّ، وعـن اللّيث أيضـاً في: التّكملة ٢ / ٣٣٢، والعبـاب (ك ن د) ٤ / ٥١١ وفيهمـا بضـمِّ الـكاف والـدّالِ الأولى، وهـي ههنـا في: العبـاب (ك ن د ر) بفتحهمـا كمـا في: التّهذيب. وفي: التّـاج ٩ / ١١٧ عن صاحبنا الصّغانيّ عـن اللّيث: «(كُنُدُّ البازي) –كـ(قُنفُـذ)–...». كـذا مـن دون هـاءِ التّأنيـث. وممّن نقـلَ تصويبَ الصّـغانيّ هذا من دون نسبة: الشّدياق في: الجاسوس ٤١٣.

١٣٨– العباب ٦ / ٤٤٣.

بها الصّبيانُ». عن ابنِ دريد[١٣٩]، وأنشدَ[١٤٠]: [البسيط]

«والوَردُ يسعى بِعُصْم[١٤١] في رحالِهِمُ[١٤٢]
كأنّه لاعبٌ يسعى بِمِنْجارِ[١٤٣]».

قالَ الصّغانيُّ مؤلِّفُ هذا الكتابِ –رحمه اللهُ–: هكذا ذكرَ اللّغةَ والبيتَ في هذا التّركيبِ[١٤٤]. وهو تصحيفٌ. والصّوابُ: (المِيْجارُ)[١٤٥] –بالياءِ المعجمةِ باثنتين من تحتها–: وهو الصَّوْلجانُ[١٤٦]. والبيتُ للأخطلِ[١٤٧]، والرّوايةُ الصّحيحةُ:

.... يَعْدُو بِعُصْمٍ في شَرِيدِهِمِ
.....

وذكرَ الأزهريُّ اللّغةَ والبيتَ[١٤٨]، ولم يُنبّه على الصّحّة».

أقولُ: إنّ ذكرَ كلمةِ (المنجار) –بالنّون، وبالياء– لغةً وشعراً عند كلٍّ من: ابن دُريد، وابن سيده، يوهمُ أنّها ممّا وردَ بوجهين؛ بحيثُ يُؤمَنُ التّصحيف، ولكنّ ذكرَها ثانيةً –بالياء فحسب– لغةً وشعراً عند ابنِ دُريد نفسه في موضعٍ ثانٍ من (الجمهرة) –وهو ما أغفلَه الصّغانيّ، وهو ممّا يدفعُ شُبهةَ التّصحيف عنه–، وعند غيره من اللّغويّين يرجّحُ –على ما رأيتُ– تصويبَ الصّغانيّ. وأمّا فيما يتعلّقُ بتصحيحه روايةَ البيتِ فلعلّه اعتمدَ في حكمه هذا غيرَ روايةِ ابنِ الأعرابيّ (شِعر) الأخطلِ الذي بين أيدينا. والله أعلم.

٢٢) **تركيب (ن ص ر)**[١٤٩]: وفيه يفسّرُ كلمةً، وينقلُ إنشاداً منسوباً؛ شاهداً عليها، ثمّ ينفي نسبتَه، وينصُّ على تصحيفٍ فيه، ثمّ يذكرُ ما رآه روايةَ الإنشادِ الصّحيحةَ؛ مستدلّاً؛ فيقول: «(النّصرُ): العطاءُ[١٥٠]». وأنشدَ سيبويه[١٥١] لرؤبةَ[١٥٢]:

١٣٩– في: الجمهرة ٤٦٧. وعلّق بعده: «وأحسبه مولّداً». والكلمة بالنّون لغةً فحسب في: المجمل ٨٥٦، والتّكملة ٣ / ٢٠٥ ولم يشر الصّغانيُّ ثمّة إلى تصحيفٍ ما عند أحد.

١٤٠– يعني ابن دريد في: الجمهرة ٤٦٧. ولم يَنسب البيت. وهو بلا نسبةٍ أيضاً وبهذه الرّواية في: المحكم ٧ / ٣٨٩، والتّاج ١٤ / ١٨١.

١٤١– (عُصْمٌ): هو ابنُ النّعمان بن مالك، أبو حَنَش، رجلٌ من بني تغلب، قتلَ شُرحبيلَ بنَ الحارث، الملكَ الكِنديَّ يوم الكُلاب الأوّل. انظر: (شعر) الأخطل صنعة السّكريّ ٨٦، ٩٥، ٤٢٢، والجمهرة ٤٦٧، وشعر تغلب في الجاهليّة ١٥٦، وشعراء تغلب في الجاهليّة، أخبارهم وأشعارهم ١ / ٢١٦. وقالَ ابن دُريد: «(الوردُ): اسمُ فرسٍ». الجمهرة ١٢٤٢. وانظر: أسماء خيلِ العرب للغُنْدجانيّ ٢٥٣.

١٤٢– روايةُ الصّدر في: الجمهرة ١٢٤٢: «... في شريدِهمُ». وقالَ ابنُ دريد ثمّة: «(شريدُ القوم): منهزموهم». وفي: المحكم ٧ / ٤٨٥، والتّاج ١٠ / ٣١: «... يَرْدي بعُصْم في شَريدهمُ».

١٤٣– أُنشِدَ البيتُ في: المحكم ٧ / ٤٨٥ شاهداً على: (المئجار) –بالهمز–: وهو: «(المِخْراقُ)، كأنّه فُتِلَ؛ فصُلِبَ، كما يَصْلُبُ العظمُ المَجبور». وانظر: التّاج ١٠ / ٣١.

١٤٤– وممّن ذكرَ الكلمةَ –بالنّون– لغةً وشعراً أيضاً: ابنُ سيده في: المحكم ٧ / ٣٨٩، والزّبيديُّ في: التّاج ١٤ / ١٨١.

١٤٥– عادَ ابنُ دريد وذكرَ الكلمة –بالياء– لغةً وشعراً في: الجمهرة ١٢٤٢. وممّن ذكرها بالياء لغةً فحسب: ابنُ عبّاد في: المحيط ٧ / ١٧٤، وابنُ سيده في: المحكم ٧ / ٥٠٧، والفيروزآباديّ في: القاموس ٤٩١، والزّبيديُّ في: التّاج ٢٩ / ٤٨٨. وانظر: التّاج ١٤ / ٣٥١. وأشارَ الفيروزآباديّ في: القاموس ٤٧٩ إلى احتمال هذا التّصويب بقوله: «(المِنجارُ): لُعبةٌ للصّبيان. أو الصّواب: (المِيجارُ) –بالياء–». وانظر: التّاج ١٤ / ١٨١.

١٤٦– «الذي تُضربُ به الكرةُ». الجمهرة ١٢٤٢. وفي: المحيط في اللّغة ٧ / ١٧٤: «(المِيجارُ): نَحْوُ صَوْلجانٍ تُضرَبُ به الكرةُ»، وفي: التّكملة ٣ / ٢٢٣، والعباب ٦ / ٥١٨، والقاموس ٤٩١: «شِبْهُ صَوْلجان...». وانظر: التّاج ١٤ / ٣٥١.

١٤٧– غياث بن غوث بنِ الصّلْت. ترجمته في: طبقات فحولِ الشّعراء ٢٩٨، ٤٥١، والشّعر والشّعراء ٤٧٣. والذي في: (شعره)، بروايةِ (ابنِ الأعرابيّ) ٤٢٢:

والوردُ يَرْدي بعُصْم في شريدهم كأنّه لاعبٌ يسعى بمِئجار

قالَ شارحُه السّكّريُّ: «(المِئجار): الصَّولجان». والبيت منسوبٌ إلى الأخطل في: الجمهرة ١٢٤٢، والمحكم ٧ / ٤٨٥ –وهو فيه كروايةِ (شعره)–، والتّاج ١٠ / ٣١. ونُسِبَ في: أسماءِ خيلِ العرب ٢٥٣ إلى أبي حنش التّغلبيّ، وروايته: «يسعى، طوائفهم، بمِنحاز –بالزّاي–». قلتُ: لم يرد البيتُ في (شعر) أبي حنش في: شعر تغلب في الجاهليّة ١٥٦، وهو له في: شعراء تغلب في الجاهليّة، أخبارهم وأشعارهم ٢ / ٢٥٤ عن أسماءِ خيلِ العرب للغُنْدجانيّ.

١٤٨– لم أقف على هذا الذّكر في: التّهذيب، وفيه ذُكِرَ (الميجار) –بالياء– عرضاً عن عمرو عن أبيه في: ٢ / ٢٩.

١٤٩– العباب ٦ / ٤٦٣، والتّكملة ٣ / ٢١١. وعن التّكملة تصريحاً في: التّاج ١٤ / ٢٢٦، ٢٢٧.

١٥٠– الصّحاح ٢ / ٨٢٩، والمجمل ٨٧٠، والمقاييس ٥ / ٤٣٥. «ووقفَ سائلٌ على القوم؛ فقال (انصُروني نصركم الله) أي: أعطوني أعطاكم الله». التّاج ١٤ / ٢٣٤.

١٥١– في: الكتاب ٢ / ١٨٥.

١٥٢– ابنِ العجّاج. وهو أكثر شعراً من أبيه. ترجمته في: طبقات

إنّي وأسطارٍ سُطِرنَ سَطرا
لقائلٌ: يا نصرُ نصراً نصرا[153]

وليسَ لرؤبةَ[154]. وهو مع ذلك تصحيفٌ، والرّوايةُ:

يا نضرُ نضراً نضرا

-بالضّادِ المعجمةِ-[155]، و(النّضرُ) هذا هو حاجبُ[156] نصرِ بنِ سيّارٍ[157]. وبعده:

بلّغْ هداكَ اللهُ بلّغْ نصرا
نصرَ بنَ سيّارٍ يثبني وَفْرا».

أقولُ: قد يعضدُ نفيَ الصّغانيِّ نسبةَ المشطورَين إلى رؤبةَ وجودُهما في: ملحقاتِ (ديوانه)، وعدمُ وقوفِ غيره من العلماءِ -كالبغداديّ (١٠٩٣هـ)- عليهما في: (ديوان) رؤبةَ أيضاً. ولكنّني أشاطرُ صاحبَ (الخزانة) -رحمه الله- عجبَه من عدمِ تعيينِ الصّغانيِّ قائلَهما؛ ليكونَ نفيُه بدليلٍ ملموسٍ، ولا سيّما أنّ الكثيرَ من الأئمّةِ نسبوهما إليه. أمّا فيما يتعلّقُ برأيه تصحيفَ روايتِهما بالصّاد، فأظنّه حجّرَ واسعاً بما رأى، وتابعَ رأياً لا يبعدُ عن الشّذوذ؛ إذ وقعَ التّواترُ بين علمائنا بروايةِ الصّاد، من لدنِ الثّقةِ سيبويه. والله أعلم.

٢٣) **تركيب (ن ط ر)**[158]: وفيه ينقلُ -من دون نسبة- قولَين عن الجوهريّ، وإنشاداً، ثمّ يصوّبُ كلمةً أوردها الجوهريُّ لغةً وشعراً، وينسبُ الشّعرَ إلى قائله؛ فيقولُ: «قالَ بعضُ مَن صنّفَ في اللّغة[159]: «(النّاطِرُونَ): موضعٌ بناحيةِ الشّام». قالَ: «والقولُ في إعرابه كالقولِ في إعرابِ[160]: (نَصيبِينَ)[161]»، وأنشدَ[162]: [المديد]

فحولِ الشّعراء ٧٦١، والشّعر والشّعراء ٥٧٧. والمشطوران في: (ديوانه)، ما نُسب إليه ١٧٤. وانظر: الحاشيتين ٢، ٣ من الكتاب ٢ / ١٨٥؛ إذ فيهما تخريجُ الرّجز، وملخّصٌ وافٍ لأقوالِ الأئمّة في توجيهه النّحويّ، والمقتضب ٤ / ٢٠٩- ٢١١ والحاشيةَ المطوّلة النّفيسة ثمّة لمحقّقه -رحمه الله-، وتحصيل عينِ الذّهب ٣٠٧، والخزانة ٢ / ٢١٩- ٢٢٢.

١٥٣- المشطوران لرؤبة في: الخصائص ١ / ٣٤٠، والصّحاح ٢ / ٦٨٤، ٨٢٩، وتحصيل عين الذّهب ٣٠٧. وبلا نسبة في: العين ٧ / ٢١٠، والمجمل ٨٧٠ وفيهما: (أسطارٌ) -بالضّمّ-، والتّهذيب ١٢ / ٣٢٧ عن اللّيث، والمقاييس ٥ / ٤٣٦، والتّاج ١٢ / ٢٥، ٤٠ / ٥٦١. وثانيهما بالصّاد في المصادرِ السّالفة جميعها.

١٥٤- أضافَ الصّغانيُّ في: التّكملة ٣ / ٢٨: «ولا له على هذا الرّويّ رجزٌ». وقالَ البغداديُّ في: شرح أبياتِ مغني اللّبيب ٦ / ٢٠٥: «هذا الرّجزُ قيل لرؤبةَ -ولم أره في: (ديوانه)- وقيل لغيره. والله أعلم». ونسبَه ابنُ هشامٍ الأنصاريّ في: شرح شذورِ الذّهب ٥٦ إلى ذي الرّمّة. قلتُ: لم أقف عليه في: (ديوانه).

١٥٥- رأيُ الصّغانيّ -في نفي النّسبة، ووجودِ التّصحيف- منسوباً إليه في: المقاصد النّحويّة ١٦٠٤، والخزانة ٢ / ٢٢٢، ٢٢٣، والتّاج ١٤ / ٢٢٦، ٢٢٧. وممّن تابعَ الصّغانيَّ في وجودِ التّصحيف -فحسب-: الفيروزآباديُّ في: القاموس ٤٨٣؛ مُغلِّطاً الجوهريَّ، ومن قبله سيبويه. وممّن ذكرَ هذه المتابعةَ البغداديُّ في: الخزانة ٢ / ٢٢٢، وشرح أبياتِ مغني اللّبيب ٦ / ٢٠٥. وانظر: التّاج ١٤ / ٢٢٦. وكذلك تابعَه الزّبيديُّ في وجودِ التّصحيف -فحسب- في: التّاج ١٤ / ٢٢٧. والعجيب أنّ الصّغانيَّ استشهدَ بهذا الرّجزِ في موطنٍ سابقٍ من (العباب)، وهو في تركيب (س ط ر) ٥ / ٥٤٨، ولكنّه لم يتعرّض ثمّة لنسبة هذا الرّجز، ولا للتّصحيفِ الذي رآه فيه.

١٥٦- نُسبَ هذا القول إلى أبي عبيدة في: إيضاح شواهدِ الإيضاح للقيسيّ ٣٤٠، وإلى الزّجّاج في: المقاصد النّحويّة ١٦٠٤، وشرح شواهد المغني ٨١٢، والخزانة ٢ / ٢٢٢. وانظر: القاموس المحيط ٤٨٣.

١٥٧- ابن رافعٍ، اللّيثيّ. يُعَدُّ من أتباعِ التّابعين، وكانَ أميرَ خُراسان للأمويّين. خرجَ عليه أبو مسلم الخُراسانيّ. مات سنة (١٣١هـ). ترجمَهُ الصّغانيُّ في: العباب (ح ر ر) ٥ / ٢٩٩. وانظر: تاريخ الإسلام ٣ / ٧٤٥، والخزانة ٢ / ٢٢٣.

١٥٨- العباب ٦ / ٤٦٩.

١٥٩- هو الجوهريُّ في: الصّحاح ٢ / ٨٣٠. وانظر: القاموس المحيط ٤٧٧، والخزانة ٧ / ٣١١. وجرت عادةُ الصّغانيّ أيضاً في: (العباب) أنّه إذا أرادَ الجوهريَّ استعملَ عبارة: (بعض من صنّفَ في اللّغة)، ورأيتُ هذا حطّاً منه كذلك -رحمه الله-. كما سبقَ معنا لدن إرادته (الصّحاح).

١٦٠- ليست في: (الصّحاح) المطبوع، ولا في: التّاج ١٤ / ٢٤٤ النّاقل تصريحاً عن الجوهريّ.

١٦١- «اسمُ بلد. وفيه للعرب مذهبان: منهم من يجعلُه اسماً واحداً، ويُلزمُه الإعرابَ، كما يُلزمُ الأسماءَ المفردةَ التي لا تنصرفُ؛ فيقولُ: (هذه نَصيبينُ، ومررتُ بنصيبينَ، ورأيتُ نصيبينَ)، والنّسبة إليه: (نصيبيٌّ). ومنهم من يُجريه مُجرى الجمع؛ فيقولُ: (هذه نصيبون، ومررتُ بنصيبينَ، ورأيتُ نصيبينَ)... والنّسبة إليه على هذا القول: (نصيبينيٌّ)». الصّحاح١ / ٢٢٥، ٢٢٦.

١٦٢- يعني الجوهريّ في: الصّحاح ٢ / ٨٣٠ الذي مهّدَ للبيت بقوله: «ويُنشَدُ هذا البيتُ بكسرِ النّون». واستدلَّ ابنُ جنّي في: سرّ صناعةِ الإعراب ٦٢٦ على عدم زيادةِ النّون في: (الماطرون) بمجيئها

«ولها بالنّاطِرُونِ إذا أَكَلَ النّملُ الذي جَمَعا[163]»

قالَ الصّغانيُّ مؤلِّفُ هذا الكتابِ –رحمهُ اللهُ: الصّوابُ: (الماطِرُون)[164] –بالميم–، في اللّغة، والشِّعر[165]. والبيتُ ليزيدَ بنِ معاوية[166]. وقد ذكرتُه والبيتَ مع الذي يليه في: تركيب (م ط ر)[167]».

أقولُ: أرى تصويبَ الصّغانيّ حقّاً؛ إذ لم أقف البتّة –فيما رجعتُ إليه– على من ذكرَ (الماطرون) بالنّون من اللّغويّين أو النّحويّين، وعلى الرّغم من محاولة أحدِ شيوخِ الزَّبيديّ صاحبِ (التّاج) –ولعلّه الفاسيُّ (١١٧٠هـ)– تبريرَ روايةِ الجوهريِّ الكلمةَ بالنّون بقوله: «يُقالُ: إنّ الميمَ بدلٌ عن النّون، والبيتُ رُوِيَ بهما»[168] فإنّ إجماعَهم على الرّوايةِ بالميم، ونقلَ الجغرافيّين للكلمة بالميم –حصراً– يوهنُ دفاعَه. وأمّا فيما يتعلّقُ بنسبةِ الصّغانيِّ القطعيّةِ البيتَ إلى يزيدَ فيوهّنُها تعدّدُ نسبته إلى غيره[169]. والله أعلم.

٢٤) **تركيب (ه ز ب ر)**[170]: وفيه ينقلُ –من دون نسبة– عبارةً عن الجوهريّ، ثمّ ينصُّ على وجود تصحيف فيها؛ فيقول: «قالَ بعضُ مَن صنّفَ في اللّغة[171]: «(رجلٌ هَزَنْبرٌ، وهَزَنْبرَانٌ[172])[173] أي: سيّئُ الخُلق». وهو

معربةً مكسورةً في هذا البيت. وانظر: الخزانة ٧ / ٣٠٩– ٣١١، والتّاج ٣٦ / ١٧٩. وذكرَ في: الخصائص ٣ / ٢١٦ أنّ هذا استدلالُ أبي الحسن –يعني الأخفش–. ووردت الكلمةُ في أكثرِ المصادرِ الآتي ذكرها في الحواشي بفتح النّون.

١٦٣– في: التّهذيب ١٣ / ٣٤٣ –وحده فيما رأيتُ–: «قد جَمعا». وبهذا يختلُّ الوزن.

١٦٤– موضعٌ قرب دمشق، وأحدُ متنزّهاتِ غوطتها. انظر: معجم البلدان ٢ / ٥٢٦، ٣ / ٤٦٣، ٥ / ٤٢، ٤٣. والكلمةُ بالميم لغةً وشعراً في: التّهذيب ١٣ / ٣٤٣، والمحكم ٩ / ٢٥٩، والتّكملة ٣ / ٢٠٠ من دون أن يشيرَ الصّغانيُّ إلى ورودها بالنّون عند الجوهريّ، والتّاج ٣٦ / ١٧٩. وهي كذلك في مواطن ورودها في: معجم البلدان جميعها. وبالميم شعراً فحسب في: الحيوان ٤ / ١٠، والكامل ٤٩٨، والجمهرة ٦١٦، وسرّ الصّناعة ٦٢٦، والمقاييس ٢ / ٢١١. وبالميم لغةً فحسب في: القاموس المحيط ٤٧٧، ٤٨٤. وانظر: الخزانة ٧ / ٣١١، والتّاج ١٤ / ١٣٧، ٢٤٤.

١٦٥– تابعَ الفيروزآباديُّ في: القاموس ٤٧٧، ٤٨٤ الصّغانيَّ في توهيم الجوهريّ، وتغليطه؛ لذكره الكلمةَ بالنّون. وانظر: التّاج ١٤ / ١٣٧، ٢٤٤. وممّن نقلَ تصريحاً عن (العباب) ردَّ الصّغانيّ على الجوهريّ: البغداديُّ في: الخزانة ٧ / ٣١١. وكذلك نقلَ ثمّة تغليطَ صاحبِ القاموس له أيضاً.

١٦٦– ابنِ أبي سفيان رضيَ الله عنهما، وأمّه ميسونُ بنتُ بَحدل. ولِيَ الخلافة بعد أبيه t، وهو أوّلُ مَن جُعل وليَّ عهد. مات سنة (٦٤هـ). ترجمته في: نسب قريش ١٢٧، وتاريخ الإسلام ٢ / ٧٣١. والبيتُ في: (شعره) ١١. والكلمة فيه بالميم لا بالنّون. وكانَ الصّغانيُّ نسبَ البيتَ إلى يزيد في: التّكملة ٣ / ٢٠٠ أيضاً. وممّن نسبه إلى يزيدَ: ابنُ دريد في: الجمهرة ٦١٦، وياقوتُ في: معجم البلدان ١ / ٢٦١، ٥ / ٤٢، والبغداديُّ في: الخزانة ٧ / ٣١٢، والزَّبيديُّ في: التّاج ١٤ / ١٣٧. ونسبه الجاحظُ في: الحيوان ٤ / ١٠ إلى أبي دَهْبَل الجُمَحيّ، وهو في: (ديوانه) برواية أبي عمرو الشّيبانيّ ٨٥. ونسبَه ابنُ سيده في: المحكم ٩ / ٢٥٩ إلى الأخطل، وتابعَه الزَّبيديُّ في: التّاج ٣٦ / ١٧٩ وهو في: (شعره) ما نُسب إليه ٥٥٣. والبيتُ موجودٌ أيضاً في: (شعر الأحوص الأنصاريّ) ما نُسب إليه ٢٧٥. ووجدتُ د. قباوة، محقّقَ (شعر) الأخطل في حاشيته ص٥٥٣ ينسبُه إلى عبد الرّحمن بن حسّان، وهو ما نفاه د. خليل محمّد أيّوب في بحث له حول (شعر) عبد الرّحمن. انظر: مجلّة المجمع الدّمشقيّ مج ٦٦، ج١، ٢، ص٧٣– ٧٥.

١٦٧– من: العباب ٦ / ٤٢٠ حيث قالَ: «(الماطِرونُ): موضعٌ قربَ دمشقَ. قالَ يزيدُ بنُ معاوية:

ولها بالماطِرونَ إذا أكلَ النّملُ الذي جَمعا
خِلْفَةٌ حتّى إذا ارتَبَعَتْ سكنَتْ من جِلّقٍ بيَعا».

١٦٨– التّاج ١٤ / ١٣٧.

١٦٩– ونقلَ المبرّدُ (٢٨٥هـ) عن أبي عبيدة قولَه: "هذا الشِّعرُ يُختلفُ فيه". الكامل ٤٩٨. وانظر: الخزانة ٧ / ٣١٤. وسبقَ تفصيلُنا في قائليه.

١٧٠– العباب ٦ / ٥٥٧، والتّكملة ٣ / ٢٣٥.

١٧١– هو الجوهريُّ في: الصّحاح ٢ / ٨٥٤. وكانَ الصّغانيّ صرّحَ باسمه في: التّكملة.

١٧٢– لم تُضبط نونُ آخرِ الكلمة في: العباب، وهي بالتّنوين في: الصّحاح، والمنتخب ٢٠٩، وبضمّة في: التّكملة.

١٧٣– الكلمةُ الأولى بالرّاء في: الألفاظ ٥٨، والجمهرة ١١٨٦، والمجمل ٩١١. والكلمةُ الثّانية بالرّاء في: المنتخب ٢٠٩، والخصائص ٣ / ٢٨٥، والمحكم ٤ / ٤٧٩. وكلاهما بالرّاء في: المحيط في اللّغة ٤ / ١٤٤ والعجيب أنّ الصّغانيّ لم يتعقّبِ ابنَ عبّاد فيهما –كما جرت عادتُه معه–، وهو متقدّمٌ على الجوهريّ. وفي: الخصائص ٣ / ٢٠٩.

تصحيفُ: (هَزَنْبَز، وهَزَنْبَزان)[١٧٤] –بزايَين[١٧٥]–، وموضعُ ذكرِهما حرفُ الزّاي[١٧٦]».

أقولُ: إنّ ورودَ الكلماتِ الأربعِ في المرجعِ اللّغويِّ الواحد بزاي وراء دليلٌ بيّنٌ على صحّة الوجهين فيهما، وعلى نفي التّصحيفِ الذي رآه الصّغانيّ، الذي لم ينسب –كعادته– ما نقلَ ههنا في: تركيب (هـ ز ب ر)، وفي: تركيب (هـ ز ب ز) عن ابنِ السِّكّيت إلى الأزهريِّ النّاقلِ عنه. والله أعلم.

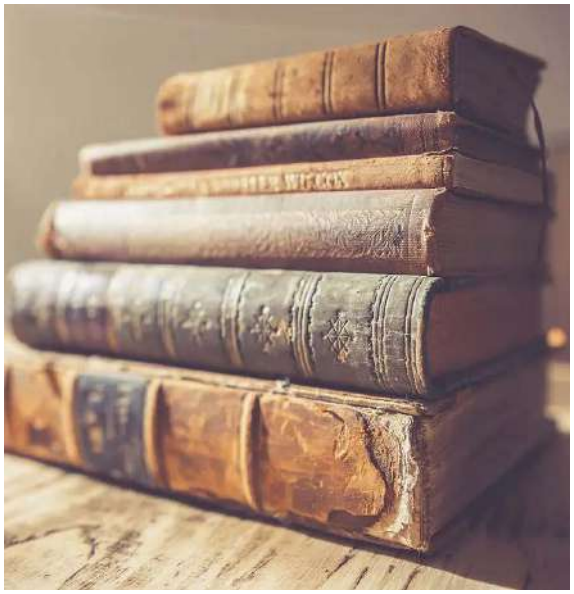

١٧٤– الكلمتان بالزّايين في: الجمهرة ١١٨٧ حيث نقلَ ابنُ دريد رجزاً؛ شاهداً على الثّانية هو:

أنْ لو مُنيتِ بهَزَنْبَزانِ

وفي: التّهذيب ٦ / ٥٢٥، والمحكم ٤ / ٤٧٨. والثّانية فحسب بالزّاي في: المنتخب ٦٩٩ مع خطأ في ضبطها، وفي: الجمهرة ١٢٣٩ مع الرّجز، وفي: الخصائص ٢ / ٥٨، ٣ / ١٨٧ حيث عدّه ابنُ جنّي ضمن الأمثلة الفائتة لـ(لكتاب)، و: ٣ / ٢٠١ حيث أشار إلى أنّه ذُكرَ في بعض نسخ (الكتاب)، وأنشدَ عليه رجزاً، و: ٣ / ٢٠٢. وانظر: التّاج ١٥ / ٣٨٢.

١٧٥– صرّحَ الصّغانيُّ في: التّكملة ٣ / ٣١٣ بنسبة الكلمتين بالزّايين إلى ابنِ السّكّيت، وهو ناقلٌ من دون تصريح عن: التّهذيب ٦ / ٥٢٥. وانظر: التّاج ١٥ / ٣٨٢. وتابعَ الفيروزآباديُّ في: القاموس ٤٩٧ الصّغانيَّ؛ فوهّمَ الجوهريَّ، وصوّبَ مجيءَ الكلمتين بزايَين. وانظر: التّاج ١٤ / ٤٣٣ حيث نصَّ الزَّبيديُّ على سبقِ الصّغانيّ.

١٧٦– وقد ذكرهما في: العباب (هـ ز ب ز) ٧ / ١٩٥ منسوبتين إلى ابنِ السّكّيت.

المصادر والمراجع

أدبُ الكاتب: لابن قتيبة (٢٧٦هـ) تح: د. محمّد أحمد الدّالي، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٩م.

أساسُ البلاغة: للزّمخشريّ (٥٣٨هـ) المطبعة الوهبيّة، ط١، ١٨٨٢م.

استدراكُ الغلطِ الواقعِ في كتابِ (العين): للزُّبيديّ (٣٧٩هـ) تح: د. صلاح مهدي الفرطوسيّ، مطبوعات مجمع اللّغة العربيّة، دمشق، د.ط، ٢٠٠٣م.

أسماءُ خيلِ العرب، وأنسابها، وذكر فرسانها: للأسودِ الغُنْدِجانيّ (كان حيّاً ٤٣٠هـ) تح: د. محمّد عليّ سلطاني، دار العصماء، دمشق، ط١، ٢٠٠٩م.

الاشتقاق: لابن دريد (٣٢١هـ) تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١م.

إصلاحُ المنطق: لابنِ السِّكّيت (٢٤٤هـ) تح: أحمد محمّد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٥٦م.

الألفاظ: لابنِ السِّكّيت (٢٤٤هـ) تح: د. فخر الدّين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

إيضاحُ شواهدِ الإيضاح: للقيسيّ (ق٦هـ) تح: د. محمّد الدّعجانيّ، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

تاجُ العروس من جواهرِ القاموس: للزَّبيديّ (١٢٠٥هـ)، مطبعة حكومة الكويت.

تاريخُ الإسلام ووفَيَات المشاهير والأعلام: للذّهبيّ (٧٤٨هـ) تح: د. بشّار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

تحصيلُ عينِ الذهب من معدن جوهرِ الأدب في علم مجازاتِ العرب: للأعلم الشّنْتَمَريّ (٤٧٦هـ) تح: د. زهير عبد المحسن سلطان، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٤م.

تصحيحُ التّصحيف، وتحريرُ التّحريف: للصّفديّ (٧٦٤هـ) تح: السيّد الشرقاويّ، مراجعة: د.

رمضان عبد التّوّاب، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م.

تقويمُ اللّسان: لابنِ الجوزيّ (٥٩٧هـ) تح: د. عبد العزيز مطر، دار المعارف، القاهرة، ط٢، د.ت.

التّكملةُ والذّيل والصّلة لكتاب (تاج اللّغة وصحاح العربيّة): للصَّغانيّ (٦٥٠هـ) تح: عبد العليم الطحاويّ، وإبراهيم الأبياريّ، ومحمّد أبو الفضل إبراهيم . مراجعة: عبد الحميد حسن، ومحمّد خلف الله أحمد، ود. محمّد مهدي علام، طبعة مصوّرة عن طبعة دار الكتب، القاهرة، د.ط، ١٩٧٠م.

التّنبيه على الغريبين: للسَّلاميّ (٥٥٠هـ) تح: د. وليد السّراقبيّ، وزارة الثّقافة، دمشق، ط١، ٢٠١٠م.

التّنبيهُ والإيضاح عمّا وقعَ في الصّحاح: لابن برّيّ (٥٨٢هـ) تح: مصطفى حجازيّ، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٨٠م.

تهذيبُ اللّغة: للأزهريّ (٣٧٠هـ) تح: عبد السلام هارون، راجعه محمّد علي النجّار، مصوّرة دار الصادق، د.ط ، د.ت.

الجاسوسُ على القاموس: أحمد فارس الشّدياق (١٣٠٤هـ) طبعة دار النّوادر، دمشق، ٢٠١٣م، المصوّرة عن الطّبعة الأصليّة في مطبعة الجوائب، قسطنطينيّة (إستانبول)، ١٢٩٩هـ.

الجحّافُ بن حُكيم السُّلَميُّ (٩٠هـ): حياته، وما تبقّى من شِعره: محمّد أحمد شهاب، مجلّة العرب، المجلّد ٤٧، العددان ٩، ١٠، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م.

الجراثيم: المنسوب إلى ابن قتيبة (٢٧٦هـ) (ق١) تح: محمّد جاسم الحميديّ، وزارة الثّقافة، دمشق، د.ط، ١٩٩٧م.

جمهرةُ اللّغة: لابن دريد (٣٢١هـ) تح: د. رمزي منير بعلبكيّ، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

الجيم: لأبي عمرٍو الشّيبانيّ (نحو٢١٠هـ) تح: إبراهيم الإبياريّ، راجعه: محمّد خلف الله أحمد، الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميريّة، القاهرة، د.ط، ١٩٧٤م.

الحيوان: للجاحظ (٢٥٥هـ) (ج٤) تح: عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابيّ الحلبيّ وأولاده بمصر، ط٢، ١٩٦٥م.

خزانةُ الأدب ولبّ لباب لسانِ العرب: للبغداديّ (١٠٩٣هـ) تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ط٤، ١٩٩٧م.

الخصائص: لابن جنّي (٣٩٢هـ) تح: محمّد علي النجّار، دار الكتب المصريّة، د.ط، ١٩٥٢م.

ديوان أبي دَهْبلٍ الجُمحيّ (نحو ١٢٦هـ): رواية أبي عمرو الشّيبانيّ، تح: عبد العظيم عبد المحسن، مطبعة القضاء، النّجف، ط١، ١٩٧٢م.

ديوان الأدب: للفارابيّ (٣٥٠هـ) تح: د. أحمد مختار عمر، مجمع اللّغة العربيّة في مصر، د.ط، د.ت.

ديوان الأعشى الكبير: شرح وتعليق: د. محمّد محمّد حسين، المكتب الشرقيّ للنشر والتوزيع، بيروت، د.ط، د.ت.

ديوانُ جرير (١١٤هـ): بشرح محمّد بن حبيب: تح: د. نعمان محمّد أمين طه، دار المعارف، ط٤، د.ت.

ديوان ذي الرُّمّة (١١٧هـ): (شرح التِّبريزيّ) تح: مجيد طراد، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط٢، ١٩٩٦م.

ديوان رؤبةَ بنِ العجّاج: تح: وليم بن الورد البروسيّ، مصوّرة دار ابن قتيبةَ، الكويت، د.ت، د.ط.

ديوان مهلهل بن ربيعة: شرح وتقديم: طلال حرب، الدّار العالميّة، من دون بيانات نشر.

رسائلُ الجاحظ (٢٥٥هـ): تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، د.ط، د.ت،

الزّاهرُ في معاني كلماتِ النّاس: لأبي بكر بن الأنباريِّ (٣٢٨هـ) تح: د. حاتم صالح الضّامن، دار البشائر، دمشق، ط٣، ٢٠٠٤م.

سرّ صناعة الإعراب: لابن جنّي (٣٩٢هـ) تح: د.حسن هنداويّ، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٩٩٣م.

سِفرُ السّعادة، وسفيرُ الإفادة: للسّخاويّ (٦٤٣هـ) تح: د، محمّد أحمد الدّالي، مطبوعات مجمع اللّغة العربيّة، دمشق، د.ط، ١٩٨٣م.

شرحُ أبيات مغني اللّبيب: للبغداديّ (١٠٩٣هـ) تح: عبد العزيز رباح، وأحمد يوسف الدقّاق، دار المأمون للتّراث، دمشق، ط٢، ١٩٨٨م.

شرحُ ديوانِ الزَّفَيان: (رسالة ماجستير) إعداد: محمّد عبد الله الأطرم، جامعة الأزهر، ١٩٧٤م.

شرحُ شذور الذّهب في معرفة كلام العرب: لابن هشام الأنصاريّ (٧٦١هـ) تح: عبد الغني الدّقر، الدّار المتّحدة، دمشق، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٤م.

شرحُ شواهدِ المغني: للسّيوطيّ (٩١١هـ) تح: الشّيخ محمّد محمود الشنقيطيّ، لجنة التراث العربيّ، د.ط، د.ت.

شرحُ ما يقع فيه التّصحيفُ والتّحريف: للعسكريّ (٣٨٢هـ) تح: د. السيّد محمّد يوسف، مطبوعات مجمع اللّغة العربية، دمشق، د.ط، د.ت.

شرحُ نقائض جرير والفرزدق: لأبي عُبيدة (٢١٠هـ) تح: د. محمّد إبراهيم حُور، د. وليد محمود خالص، منشورات المجمع الثّقافيّ، أبو ظبي، ط٢، ١٩٩٨م.

شعرُ الأحوص الأنصاريّ: تح: عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ط٢، ١٩٩٠م.

شعرُ الأخطل (٩٠هـ): صنعةُ السّكريّ (٢٧٥هـ)، روايته عن ابن حبيب (٢٤٥هـ)، تح: د. فخر الدين قباوة، دار الفكر، دمشق، ط٤، ١٩٩٦م.

شعرُ تغلب في الجاهليّة: جمع وتحقيق: أيمن محمّد ميدان، معهد المخطوطات العربيّة، القاهرة، د.ط، ١٩٩٥م.

شعراءُ تغلب في الجاهليّة، أخبارهم وأشعارهم: د. عليّ أبو زيد، السّلسلة التّراثيّة، الكويت، ط١، ٢٠٠٠م.

شعرُ عبدِ الرّحمن بن حسّان بن ثابت (نقدٌ واستدراك): د. خليل محمّد أيّوب، بحثٌ منشورٌ في مجلة مجمع اللّغة العربيّة بدمشق، مج ٩٦، الجزآن ١، ٢.

الشّعرُ والشّعراء: لابن قتيبة (٢٧٦هـ) تح: أحمد محمّد شاكر، دار الحديث، القاهرة، د.ط، د.ت.

شعرُ يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (٦٤هـ): تح: صلاح الدّين المنجّد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.

الصّحاح: تاجُ اللّغة وصحاحُ العربيّة: للجوهريّ (٣٩٣هـ) تح: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٩٠م.

طبقاتُ فحولِ الشّعراء: لابن سلّام الجُمحيّ (٢٣١هـ) تح: محمود شاكر، دار المدنيّ، جدّة، د.ط، د.ت.

العُباب الزّاخر، واللّباب الفاخر: للصّغانيّ (٦٥٠هـ) تح: د. فير محمّد حسن المخدوميّ، د. تركيّ العتيبيّ، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٢٢م.

العين: للفراهيديّ (١٧٥هـ) تح: د. مهدي المخزوميّ، ود. إبراهيم السّامرّائيّ، سلسلة المعاجم والفهارس، د.ط، د.ت.

الغريبُ المصنّف: لابن سلّام (٢٢٤هـ) تح: د. محمّد المختار العبيديّ، المجمَع التّونسيّ للعلوم والآداب والفنون، دار سُحنون، تونس، ط٢، ١٩٩٦م.

القاموسُ المحيط: للفيرزآباديّ (٨١٧ه) تح: مكتب تحقيق التّراث في مؤسّسة الرّسالة، بإشراف محمّد نعيم العرقسوسيّ، بيروت، ط٨، ٢٠٠٥م.

الكامل: للمبرّد (٢٨٥هـ) تح: د. محمّد أحمد الدّاليّ، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط٥، ٢٠٠٨م.

الكتاب: لسيبويه (١٨٠هـ) تح: عبد السّلام هارون، عالم الكتب، بيروت، د.ط، د.ت.

المؤتلف والمختلف في أسماءِ الشعراء وكناهم

وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم: للآمديّ (٣٧٠هـ) صحّحه، وعلّق عليه أ.د.ف.كرنكو، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١م.

المُجرّدُ في غريبِ كلامِ العرب ولغاتها: لكُراعِ النّمل (٣١٠هـ) تح: د. محمّد بن أحمد العمري، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.

مجملُ اللّغة: لابن فارس (٣٩٥هـ) تح: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.

المحكمُ والمحيطُ الأعظمُ في اللّغة: لابن سيده (٤٥٨هـ) تح: د. عبد الحميد هنداويّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

المحيطُ في اللّغة: لابن عبّاد (٣٨٥هـ) تح: الشّيخ محمّد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

مختصَر العين: للزُّبيديّ (٣٧٩هـ) من أوّلِ حرفِ الكاف إلى آخرِ الكتاب (رسالة ماجستير) إعداد: محمّد بن سلمان الرّحيليّ، بإشراف: د. عبد الله بن ناصر القرنيّ، جامعة أمّ القرى، مكّة المكرّمة، ١٩٩٩م.

المدخلُ إلى تقويمِ اللّسان: لابن هشامٍ اللّخميّ (٥٧٧هـ) تح: د. حاتم صالح الضّامن، دار البشائر الإسلاميّة، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

المذكّر والمؤنّث: للأنباريّ (٣٢٨هـ) المذكّرُ والمؤنّث: لابنِ الأنباريّ (٣٢٨هـ) تح: محمّد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، القاهرة، د.ط، ١٩٨١م.

المُزهرُ في علومِ اللّغة، وأنواعها: للسّيوطيّ (٩١١هـ) تح: محمّد أحمد جاد المولى، وزميلَيه، دار الحرم للتّراث، القاهرة، د.ط، د.ت.

معجمُ الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفةِ الأديب): لياقوت الحمَويّ (٦٢٦هـ) تح: د. إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

معجمُ البلدان: لياقوت الحمَويّ (٦٢٦هـ) دار صادر، بيروت، د.ط، ١٩٧٧م.

معجمُ الشّعراء: للمرزُبانيّ (٣٨٤هـ) تح: د. فاروق اسليم، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.

المقاصدُ النّحويّة في شرحِ شواهدِ شروحِ الألفيّة: للعينيّ (٨٥٥هـ) تح: د. عليّ محمّد فاخر، وزميليه، دار السّلام، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.

مقاييسُ اللّغة: لابن فارس (٣٩٥هـ) تح: عبد السّلام هارون، دار الفكر، د.ط، ١٩٧٩م.

المقتضب: للمبرّد (٢٨٥هـ) تح: محمّد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، د.ط، د.ت.

المقصور والممدود: للقاليّ (٣٥٦هـ) تح: د. أحمد عبد المجيد هريديّ، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م.

المنتخَبُ من غريبِ كلامِ العرب: لكُراعِ النّمل (٣١٠هـ) تح: د. محمّد العمريّ، مركز إحياءِ التّراث الإسلاميّ، جامعة أمّ القرى، مكّة المكرّمة، ط١، ١٩٨٩م.

المنجَّدُ في اللّغة: لكُراعِ النّمل (٣١٠هـ) تح: د. أحمد مختار عمر، ود. ضاحي عبدِ الباقي، عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ١٩٨٨م.

النّبات: للدِّينَوريّ (٢٨٢هـ) قطعة من ج٥ (من حرف الألف إلى حرف الزّاي) تح: ب. لوين، مطبعة بريل، ليدن، د.ط، ١٩٥٢م. و(من حرف السّين إلى حرف الياء) جمع: محمّد حميد الله، المعهد العلميّ الفرنسيّ للآثار الشّرقيّة، القاهرة، د.ط، د.ت.

نسبُ قريش: للمصعبِ الزّبيريّ (٢٣٦هـ) تح: ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، ط٣، د.ت.

النّوادر في اللّغة: لأبي زيدٍ الأنصاريّ (٢١٥هـ) تح: د. محمّد عبد القادر أحمد، دار الشروق، بيروت، ط١، ١٩٨١م.

نظرات في ديوان ابن مقبل

د. محمد يحيى زين الدين[1]

نشر الدكتور عزة حسن عام ١٩٦٢ ديوان تميم بن أبي بن مقبل عن أصل فريد، بذل فيه غاية جهده في تقويم ما أشكل من ألفاظه وما اعوج من عباراته، كما عمد إلى شرح ألفاظ الديوان ومعانيه وصوره، مع الميل إلى الإيجاز في بعض المواضع، كما أضاف إليه ما وجده في المصادر المختلفة من أبيات لم ترد في الأصل المعتمد، وذيل صنيعه هذا بفهارس وافية سهلت الانتفاع به، شملت المعاني العامة، والألفاظ اللغوية، والأعلام، والقبائل، والأماكن، والنجوم، والمصادر إلا أنه أغفل فهرس القوافي.[2] ثم أعاد نشره عام ١٩٩٥ بعد أن أضاف إليه فهرسين: فهرس الديوان الذي اشتمل على قُسَيم من مطلع كل قصيدة، وفهرس مقارنة الأبيات مع المصادر العربية.[3] إلا أن عمله هذا لم يخل من بعض المآخذ والهنات، إذ إنه لم يتقيد برواية هذا الأصل، وإنما كان يختار من بين الروايات ما كان يراه أجود وأكثر مناسبة للمعنى،[4] كما أغرب في شرح بعض الألفاظ، وبقي وجه الصواب غامضًا في بعض الأبيات. وقد رأيت أن أعرض في هذا المقال ما عنّ لي من ملاحظات، يتصل بعضها بما وقع في الديوان من تصحيف أو تحريف أو خلل في الضبط وما جاء فيه من شروح غامضة، ويتصل بعضها الآخر بما ورد من أوهام في تعليقات المحقق[5].

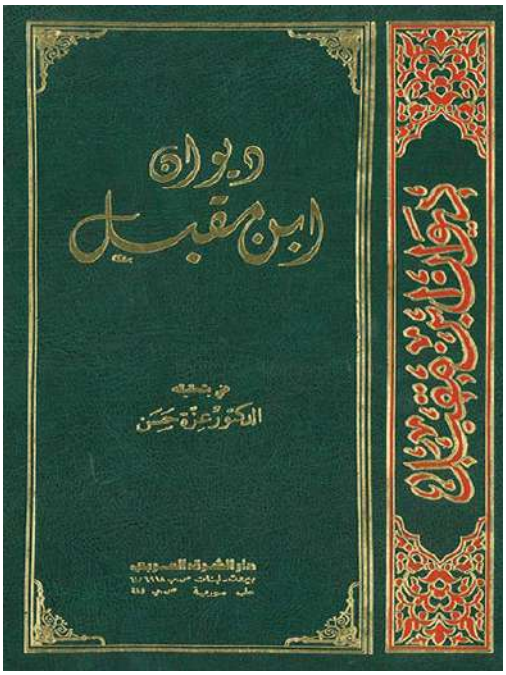

(١) أُستاذ في كلّيّة العلوم في جامعة حلب، باحث في نقد النُّصوص المحقَّقة.

(٢) أغفل المحقق فهرس القوافي أيضا في ديوان بشر بن أبي خازم وديوان الطرماح.

(٣) المراد بالفهرس الثاني ما نسب إلى ابن مقبل من أبيات لم ترد في الأصل المعتمد، وهو مثل سابقه حيث احتوى على قسيم البيت الأول من كل قطعة، والأرجح أن هذين الفهرسين من صنع الناشر.

(٤) ديوان ابن مقبل: المقدمة ص ٢٧.

(٥) كان الأستاذ مسعود عامر قد نشر في مجلة مجمع اللغة العربية (**دمشق**) المجلد ٧١ **ص ٣٤١– ٣٤٧ مقالاً** أورد فيه ما عثر عليه من أبيات لم ترد في الديوان المطبوع وهي ثلاثة وثلاثون بيتًا.

١ – أثقل المحقق حواشي الكتاب بما لا طائل منه، فمن ذلك مثلاً الإشارة إلى رواية الأصل المخطوط أو بعض المراجع رغم اتفاقها مع رواية المتن، وكان أولى به أن يكتفي بذكر مواقع الخلاف بين المصادر والأصل وعدم الإشارة إليه إلا إذا كان ثمة تحريف أو تصحيف. فمن ذلك مثلاً ما ورد في تعليقه على البيت ٢٢ ص ٤٦، ٥٢:[6]

وتُولِجُ في الظِّلِّ الزَّناءِ رؤوسَها
وتحسَبها هِيمًا وهنَّ صحائحُ

الأصل المخطوط ومنتهى الطلب والمقاييس والممدود واللسان: وتولج. الجمهرة والصحاح والفائق: وتدخل.

وما ورد في تعليقه على البيت ١٥ ص ١٢٠، ١٤٩:

ولاحَ ببُرقَةِ الأمهارِ منها بعينكَ نازحٌ من ضوءِ نارِ

الأصل المخطوط: بعينك. البلدان: لعينك. الأصل المخطوط والبلدان (شوق): نازح، البلدان (برقة الأمهار): ساطع. ومواضع أخرى كثيرة.

٢– لم يُحسن المحقق ضبط بعض الأبيات كما أغرب في شرح بعض الألفاظ بما لا يتفق مع ما ورد في المعاجم:

ص ٣٨، ٤٦:

وبَاتَ يُغَنى في الخليجِ كَأَنَّهُ
كُمَيْتٌ مُدَمًّى نَاصِعُ اللَّوْنِ أَقْرَحُ

قوله «يُغَنى» وكذلك في شرح البيت، تطبيع صوابه: يُغنِّي، بالياء وبكسر الغين. بات: أي الوتد. الخليج: الحبل، سُمِّي بذلك لأنه يختلج ما رُبط به. الكميت: الأحمر الذي يداخل حمرته سواد. الأقرح: ما كان في جبهته قُرحة، بالضم، وهي بياض يسير في وجه الفرس دون الغرّة. شبه الوتد بالفرس.

ص ٦٠، ٦٠:

لَعَلَّكمَا أَنْ تَخْزَيَا قَرْضَ مثْلِهَا
عَلَى حَاجَةٍ إِنْ نَائبُ الدَّهْرِ أَطْرَدَا

وفي الحاشية: أن تخزيا: من خَزِي الرجل إذا وقع في بليّة وشرّ، فذلّ بذلك وهان... وأطرد: إذا جاء بعد آخر سبقه، ولم تذكر كتب اللغة هذه الصيغة.

٦– الرقم الأول للطبعة الأولى، والرقم الثاني للطبعة الثانية.

ولا وجه لما ذهب إليه المحقق، وإنما الصواب: تَجْزِيَا بالجيم. يقال: جزى قرضَه: أدّاه وقضاه. وأطرد: جعله طريدًا لا يأمن. اللسان (طرد)، ومثله قوله في كلمة أخرى (ديوانه ١٩٧، ١٥٢):

جَزَيتُ ابنَ أروى بالمدينةِ قرضَهُ
وقلتُ لشُفّاعِ المدينةِ أَوجِفوا

أوجفوا: أسرعوا، وقوله أيضًا: (ديوانه ٢٠٧، ١٦٠):

يَمَانِيَةٌ تَجْزِي الشَّمَالُ قُرُوضَهَا
أَفَانِينَ مِنْهَا هَاجَ هَجْرًا ومُؤْصَلا

ص ٦٤، ٦٣:

وإِنَّا وإِيَّاكُمْ ومَوْعِدٌ بَيْنَنَا
كَمِثْلِ لَبِيدٍ يَوْمَ زَايَلَ أَرْبَدَا

والبيت مختلّ الوزن والصواب: وموعدُ بيننَا،[7] بدليل قوله في الشطر الثاني: زايل. البين: الفراق. وزايل: فارق.

ص ٧٧، ٧٢:

لَقَدْ قَضَيْتُ فَلاَ تَسْتَهْزِئَا سَفَهًا
ممَّا تَقَمَّأْتُهُ مِنْ لَذَّةٍ وَطَرِي

قوله «لَذَّة» تطبيع صوابه: لَذَّة، بالتنوين.[8] تَقَمَّأ: أخذ خيار الشيء. الوطر: الحاجة.

ص ٨٠، ٧٤:

أَبْقَى خُطُوبٌ وحَاجاتٌ تُضَيِّقُني
ومَا جَنَى الدَّهْرُ مِنْ صَفْوٍ ومِنْ كَدَرِ

لم يعلق المحقق على قوله «تُضَيِّقُني» بشيء، وإنما هو تصحيف صوابه: تَضَيَّفَني. أي ألم بي الهم. ومثله قول الراعي (ديوانه ٢٠٧):

أُخَليدُ إن أباكَ ضافَ وسادَهُ همّانِ باتا جَنبَةً ودخيلا

أي بات أحد الهمّين جنبَه، وبات الآخر داخلَ جَوفه. وقول القتّال الكلابي:

قرى الهمَّ إذْ ضافَ الزَّماعَ فأصبَحَتْ
منازلُهُ تَعتَسُّ فيها الثَّعالبُ

٧– في الطبعة الثانية: ومَوْعِدُ بَيْنَنَا.

٨– جاء البيت على الصحة في الطبعة الثانية.

الزمـاع: المضـاء في الأمـر والعـزم عليـه. وتعتـس: تختلف وتجول. ديوانه ٢٩ وشرح الحماسـة (المرزوقي) ٢ / ٦٥٢ و(التبريـزي) ٢ / ٢٠٠. وقـول بَلعـاء بن قيس (المؤتلف والمختلف ١٥٠):

وإني لأقري الهمَّ حينَ يضيفني
زماعًا إذا ما الهمُّ ضاقت مصادرُهْ

ص ٩٧، ٨٤:

في حَاجِبٍ خَاشِعٍ ومَاضِغٍ لَهِزٍ
والعَيْنُ تَكْشِفُ عَنْهَا ضَافِيَ الشَّعَرِ

في اللسـان (لهز) «في حَاجِبٍ خاضِعٍ»، وهي رواية لم ينبـه عليها المحقق في الحاشـية. الخاشـع: غـير المشرف. والماضـغ: الحنـك. واللهز: الشـديد. والضـافي: السـابغ المسترخي.

ص ١٠٢، ٨٧

هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ قَفْرًا لاَ أَنِيسَ بِهَا
إِلاَّ المَغَانِيَ وإلاَّ مَوْقِدَ النارِ

والبيت مختل الوزن والصـواب: إِلاَّ المَغَانِي، بتسكين الياء.[9]

ص ١٠٢، ٨٧:

في لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي القُرِّ داجِيَةٍ
مِنْ مَائِهَا صَائِمٌ بالبِيدِ أَوْ جَارِي

وفي الحاشـية: الصـائم: بمعنى الساكن الراكد هاهنا، وربّما عنى به الجامد من البَرد.

قوله «وربما عنى به الجامد من البرد» ليس في المعاجم، والصواب: أنه الماء الدائم. يقال: ماء صائم وقائم ودائم. القر: البارد. والداجية: المظلمة. أساس البلاغة (صوم).

ص ١٠٣، ٨٨:

حَتى دَعَانِي وكَرْبُ المَوْتِ عَامِرَةٌ
واصْطَادَ رِئْمَانَ وُدِّي بَعْدَ إِنْفَارِ

وفي الحاشـية: عامـرة: أي قائمـة. ولا أدري لماذا أنّث الكـرب، إلا أن يكـون نظـر إلى معنى الشـدة فيـه، أو إلى الكريبة، وهي بمعنى الكرب فأنث.

كذا، وإنما الصـواب: غامرُه. أي غَمَره، وغمره: علاه وغطاه. والرئمان: العطف.

ص ١٠٤، ٨٨:

نَصِلٌ في الأَرْضِ أَفْرَاداً وَيَجْمَعُنَا
حَدُّ الخُصُومِ لِبَادِي المَلْكِ جَبَّارِ

وفي الحاشـية: نَصِـلٌ في الأَرْضِ، أي نجـوب فيهـا مسافرين، فنعطش وتصل أجوافنا من العطش، أي تيبس ويسمع لها صوت.

كـذا ولا معنـى لما ذهـب إليـه المحقق ولعل الصـواب: نحلّ، أي نقيم.

ص ١٠٥، ٨٩:

تَكْسُو لِفَاعَ النَّقَا مِنْ رَمْلِ أَسْنُمَةٍ
جَعْدَ الثَّرَى غَيْرَ مَوْطُوءٍ ولاَ هَارِ

وفي الحاشـية: اللفـاع: ما يُتلفّع به مـن رداء أو لحاف أو قناع.

أغـرب المحقق في شرح هـذا البيت أيّما إغـراب، وإنما الصـواب: يَفاع النقا، وهو ما ارتفع مـن الأرض. والهار والهائر: الساقط الضعيف.

ص ١١٢، ٩٤:

مَنَحْتُ نَصَارَى تَغْلِبَ إذ مَنَحْتُهَا
عَلَى نَأْيِهَا حَذَّاءَ بَاقِيَةَ الغِمْرِ

وفي الحاشية: الغمر: الحقد والضغينة.

قولـه: «الغِمْر» تصـحيف صـوابه: الغُمْـر، أي تخلد بعد فناء صاحبها. وحذاء: سائرة لا عيب فيها ولا يتعلق بها شيء من القصائد لجودتها. ومثله قول الآخر (اللسان: خلد):

فتأتيكَ حذّاء محمولةً يَفُضُّ خوالدُها الجندلا

الخوالد هنا: الحجارة، والمعنى: القوافي.

ص ١٠٠، ١١٩:

والعَادِيَاتِ البَرْدَ كُلَّ عَشِيَّةٍ
قُبَّ البُطُونِ كَأَنَّهُنَّ صَوَارِي

وفي الحاشية: البرد: أي في وقت البرد.

ولا معنـى لما ذهب إليه المحقق وإنما الصـواب: البُرْدَ، جمع بَريد، وهو فرسـخان، وقيل ما بين كل منزلين بريد،

٩- جاء البيت على الصحة في الطبعة الثانية.

والجمع بُرُد، وإنما خفّفه ههنا، وهو نحو قولهم: رُسُلٌ ورُسْلٌ، ونحوه قول امرئ القيس (ديوانه ٦٦):

على كلِّ مَقصوصِ الذُّنابى مُعاودٍ
بريدَ السُّرى بالليلِ من خَيلِ بَربرا

مقصوص الذنابى: مقصوص الذنب. مُعاود بريد السُّرى: أي قد استعمل في سير البريد مرارًا وعاوده، وخص خيل بربر لأنها كانت أصلب الخيول عندهم وأصلبها. أراد معاود سير بريد السرى فحذف «سير» وأقام «بريد» مكانه.

ص ١٢١، ١٠١:

نَنْتَابُهُ غُرضِينَ عِنْدَ صَوَافِنٍ
وضَوَامِرٍ يَصْرِفْنَ بِالأَكْوارِ

وفي الحاشية: غرضين: جمع غَرِض، وهو القلق الضجر.

لم يحسن المحقق شرح البيت، وإنما هو من قولهم وردت الماء غارِضًا، أي مبكِّرًا. والصافن من الخيل: الذي قد قَلَب أحد حوافره وقام على ثلاث قوائم. وضوامر: هزيلة ضعيفة. ويصرفن: يهدرن. والصريف: صوت الأنياب.

ص ١٢١، ١٠١:

حَتَّى إذَا مَا الصُّبْحُ شَقَّ أَدِيمَهُ
لِلْقَوْمِ أَوْقَدُوا عَلَى الإِبْصَارِ

وفي الحاشية: أوقدوا على الإبصار: كأنهم كانوا يخافون أن يوقدوا نيرانهم في الليل خشية أن يأتيهم أحد، فلما طلع النهار أوقدوا.

ولا معنى لما ذهب إليه المحقق وإنما الصواب: أو قدروا على الإبصار. قدروا: من المقدرة.

ص ١٣٧، ١١٢:

وتعشار وسَريج وأسفر: نراها أسماء مواضع.

لم يرد إلا «تعشار» في معجم البلدان (تعشار، ٢ / ٣٤) ومعجم ما استعجم (تعشار، ١ / ٣١٤).

ص ١٤٤، ١١٧:

ومَا أَنْسَ مِلْأَشْيَاءِ لاَ أَنْسَ قَوْلَهَا
وقَدْ قُرِّبَتْ رِخْوُ المِلاَطَيْنِ دَوْسَرَا

لم يعلق المحقق على فتح «دوسر» بشيء، والصواب: قَرَّبَتْ رِخْوَ، وبهذا يستقيم البيت لغةً. والملاط: العضد. والدوسر: الشديد.

ص ١٤٧، ١١٩: [10]

تُراعِيهَا بَنَاتُ أَصَكَّ صَعْلٍ خَفِضٍ صَوْتُهُ غَيْرَ العِرَارِ

والبيت مختلّ الوزن، والصواب: خفيض صوته، بالياء. يقال: امرأة خافضة الصوت، وخَفِيضة الصوت. الأصك: الذي في ركبتيه أثر. والصكك: أن تضرب إحدى الركبتين الأخرى عند العَدو فتُؤثّر فيها أثرًا. والصعل: الدقيق الرأس والعنق. والعرار: صوت النعام.

ص ١٤٨، ١٢٠:

كأَنَّ كَوَاكِبَ الجَوْزَاءِ عُوذٌ
مُعَطَّفَةٌ [حَنَتْ] عَلَى حُوَارِ

والبيت مختل الوزن، والصواب: تحنُّ. العوذ: جمع عائذ، وهي الناقة الحديثة الولادة. والحوار: ولد الناقة.

ص ١٤٨، ١١٩:

ورد «الستار» بالسين والتاء المثناة الفوقية، وهو جبل معروف في الحجاز في ص ١٤٨، ١١٩، وفي ص ١٥٠، ١٢١، وورد بالنون والسين «النسار» في ص ٦٥، ٦٣ وهي أجبُل صغار، شُبّهت بأنسُر واقعة. والأرجح أنه النسار. معجم ما استعجم (النسار، ٤ / ١٣٠٧) حيث أورد بيت ابن مقبل.

ص ١٥٣، ١٢٣:

وأَهتَضِمُ الخَالَ العَزِيزَ وأَنْتَحِي
عَلَيْهِ إذَا ضَلَّ الطَّرِيقَ مَنَاقِرُهْ

وفي الحاشية: المناقر: جمع منقار، يريد منقار خف البعير، وهو مقدّمه، على التشبيه بمنقار الطائر.

كذا، أغرب المحقق في شرح البيت، وإنما الصواب: يقال للرجل إذا لم يستقم على الصواب أخطأت نواقره. اللسان (نقر).

ص ١٥٥، ١٢٥:

وهُنَّ سِمَامٌ وَاضِعٌ حَكَمَاتِه
مَخُوِّيَةٌ أَعْجَازُهُ وكَرَاكِرُهْ

١٠- في الطبعة الثانية: بأصك. تصحيف.

وفي الحاشية: السِمام: جمع سَمامة، وهي الناقة السريعة هاهنا.

كذا، والصواب: سَمام، بالفتح. اللسان (وضع، سمم). ووضع حكماته: إذا طامَن رأسه وأسرع، ويراد بحكمته لَحياه. ومخوية: ضامرة. والكراكر: جمع كركرة، وهي رحى زَور البعير والناقة، وقيل: هو الصدر من كل ذي خفّ.

ص ١٥٦، ١٢٥:

أَخَذْنَا قَلِيلاً مِنْ كَرَانَا فَوَقَعَتْ
عَلَى مَبْرَكٍ شَأْسٍ غَلِيظٍ حَزَاوِرُهْ

والبيت مختل الوزن، والصواب: فَوَقَّعَتْ، بتشديد القاف. الشأس: المكان الخشن من الحجارة. والحزاور: جمع حَزوَر، وهو المكان الغليظ.

ص ١٧٤، ١٣٧:

ظَلَّتْ بِأَكْثَبَةِ الحُزَّيْنِ تَرْقُبُهُ
تَخْشَى عَلَيْهِ إِذَا ما اسْتَأْخَرَ السَّبُعُ

وفي الحاشية: وكان حقه أن يقول: السبعا، فرفع المنصوب لضرورة القافية.

لم يحسن المحقق ضبط البيت فأغرب في تخريجه، وإنما الصواب: يُخْشَى عليه، بالبناء للمجهول.

ص ١٧٥، ١٣٨:

أَنِّي أُتَمِّمُ أَيْسَارِي بِذِي أَوَدٍ
مِنْ فَرْعِ شَيْحَاطَ صَافٍ لِيطُهُ قَرِعُ

وفي الحاشية: شيحاط: موضع بالطائف. والذي في التعليقات والنوادر ٥٤٣ أنه بلد غربي ترج. الليط: القشر. والقرع: القدح الذي حُك بالحصى حتى تبدو طرائقه. وعود أقرع: إذا قُرِع من لِحائه.

ص ١٧٨، ١٣٩:

أَنِّي أُنَفِّرُ قَامُوصَ الظَّهِيرَةِ والـ
ـحِرْبَاءُ فَوْقَ فُرُوعِ السَّاقِ يَمْتَصِعُ

وفي الحاشية: قاموص الظهيرة: نرى أنه يريد به الجراد، من قمص إذا وثب ولم يستقر في موضع، ولم تذكره كتب اللغة. ويمتصع: أي يحرك ذنبه ويضطرب ولم تذكره كتب اللغة أيضاً.

كذا ولا معنى لما ذهب إليه المحقق، وإنما القاموص: من قولهم بعير قامص، وهو النافر الضارب برجله. وقَمَص الفرس وغيره يقمُص ويقمص قَمْصًا وقماصًا أي استنّ، وهو أن يرفع يديه ويطرحهما معًا ويعجن برجليه. ويمتصع: هو من قولهم: الدابة تمصع بذنبها. أي: تحرّكه اللسان (قمص، مصع) وأساس البلاغة (مصع). قال رؤبة (اللسان: مصع وديوانه ١٠٨):

يَمصَعْنَ بالأذناب من لَوح وبَقّ

اللوح: العطش. والبق: البعوض.

ص ٢٠٠، ١٥٤:

كِلاَبٌ وكَعْبٌ لاَ يَبِيتُ أَخُوهُمُ
ذَلِيلاً ولاَ تُعْيِي عَلَيْهِ المَسَالِكُ

صوابه: ولا تَعيا عليه المسالك. بفتح التاء. أي: لا يجهلُها، وهو من قولهم: فلان لا يَعياه أحد، أي لا يَجهله أحد.

ص ٢٠٩، ١٦١:

غَدَتْ كَالفَنِيقِ المُسْتَشِيرِ إِذَا غَدَا
سَمَا فَتَنَاهَى عَنْ سِنَانٍ فَأَرْقَلاَ

وفي الحاشية: وقال في اللسان: «ويروى هذا البيت أيضا لضابئ بن الحارث البرجمي»

كذا، في اللسان وإنما بيت ضابئ هو:

وتُصْبِحُ عن غِبِّ السُّرَى وكأنها
فَنِيقٌ ثَناها عن سِنانٍ فأَرْقَلا

الأصمعيات ١٨١، وقوله «وتصبح عن غب السرى» جاء أيضا في شعر الأعشى (ديوانه ٢٢١):

وتُصْبِحُ من غِبِّ السُّرَى وكأنّما
ألمَّ بها من طائفِ الجِنِّ أَولَقُ

وفي شعر علقمة (ديوانه ٣٨):

وتُصْبِحُ عن غِبِّ السُّرَى وكأنّها
مُوَلَّعةٌ تخشى القَنيصَ شَبوبُ

وفي شعر عمرو بن شأس (النوادر ٤٢ وشعره ٩٩):

ويصبح عن غِبِّ السُّرى وكأنّما
جلا لونَ خدّيه بمُذهبةٍ طالْ

الفنيق: الجمل المُكرم المُودَع للفحلة. والسنان: أن يعارض البعير الناقة للتنوّخ، وذلك أن يطرُدها حتى تبرك. يقول: سان ناقته ثم انتهى إلى العدو الشديد فأرقل، وهو أن يرتفع عن الذميل.

٢١٤، ١٦٤:

في الحاشـية: البيت في البلدان (هُبَيّ). كذا والصواب: هُنيّ، بالنون. معجم البلدان (هُنيّ، ٥ / ٤١٩).

٢١٧، ١٦٥:

أَوْرَدَ حِمْيَرُ بَيْنَهَا أَخْبَارَهَا بالحِمْيَرِيَّةِ فِي كِتَابٍ ذَابِلِ

وإنما الصواب: أو رَدّ، بتشديد الدال.

ونحوه قول امرئ القيس (ديوانه ١١٩):

صَمَّ صَداها وعفا رسمُها

واستعجَمَت عن مَنطِقِ السّائلِ

ص ٢١٧، ١٦٦:

لِلرِّيحِ والأَمْطَارِ مَا سَبَقَا بِهِ

ومَا تَرَكْنَ فَمِنْ نَصِيبِ الخَابِلِ

وفي الحاشـية: الخَابِل: الجن، كأني بالشـاعر يريد أن هذه الدار قد أوحشت فغنى بها الجن.

قولـه «الخابـل» تصـحيف صـوابه على الأرجـح «الجائل»، وهو ما سفرته الريح من حُطام النبت وسواقط ورق الشجر، فجالت به وغطت معالمها.

ص ٢٢٣، ١٦٩:

يِقصُ الإِكَامَ بِسِرْطِمٍ مُتَحَادِبٍ

سَبِطٍ بِطَانَتُهُ كَسِبْتِ النّابِلِ

وفي الحاشـية: السـبط: بمعنـى الرخص اللـين هاهنا، النابـل: نرى أنه بمعنى النبيل هاهنا، وتكون نعله لينة، لأنه من أهل النعمة والسعة، ولم تذكره كتب اللغة بهذا المعنى.

قولـه «النّابِـل» تحريـف صـوابه: الناعـل. السـبت: الجلـد المدبوغ. والناعل: ذو النعـل. ويقص الإكام: يكسر رؤوسها بحافره في تعدائه. والسرطم: الطويل.

ص ٢٣٧، ١٧٦:

كَرِيمِ النِّجَارِ حَمَى ظَهْرَهُ فَلَمْ يُنْتَقَصْ بِرُكُوبٍ زِبَالَا

وفي الحاشية: والزبال: ما تحمل النملة بفيها. والمعنى أنه فحل لم يركب وأودع للفحلة.

والصـواب أن «الزبال» بمعنى شـيء. يقال ما أصاب منه زِبالاً وزُبالاً أي شـيئًا. كما في اللسـان حيث أورد بيت ابن مقبل شـاهدًا على ذلك. أي لم يُنتقص شـيئًا. النجار: الأصل. واللبان: الصدر. وقول المحقق «أنه فحل لم يركب وأودع للفحلة» يناقض البيت الذي سبقه وهو:

حَمَلتُ عليها فشرّدتُها بسامي اللَّبان يَبُذُّ الفِحالا

ص ٢٤٠، ١٧٨:

تُمَشِّي بِهَا شَوْلُ الظِّبَاءِ كَأَنَّهَا

جَنَى مَهْرَقَانٍ فَاضَ بِاللَّيْلِ سَاحِلُهْ

قوله: «تُمَشِّـي» صـوابه: تَمَشَّـى، وقولـه «مَهْرَقَانٍ» صوابه: مُهْرُقَانٍ، بضم الميم والراء. اللسان (هرق).

ص ٢٩٤، ٢١١:

فَرُحْنا تُراكِلُ أَيديهما سَرِيحًا تَخَرَّقَ بعدَ المُرُنْ

المـرن: نـراه بمعنـى المرون وكـثرة العمـل هاهنا، أي كثرة السير على النعل.

ولا معنى لما ذهب إليه المحقق، وإنما الصـواب: المَرَنْ. والمَرْن، بسكون الراء: أن يُدهَن أسفل خُفّ البعير والناقة من حفًى بـه وحرّكه للضرورة. وتراكل: من الركل، وهو الضرب. ونحوه قول حميد الأرقط (اللسان خذم):

وخَذَّمَ السريح من أنقابه

تخذم: تقطع.

ص ٣٤٣، ٢٤٢:

فَهَلْ يُبْلِغَنِّي أَهْلَ دَهْمَاءَ حُرَّةٌ

وأَعْيَسُ نَضَّاحُ القَفَا مَرَجَانِ

وفي الحاشية: مرجان: صفة حرة وأعيس، ولذا أتى به مثنى، واحده مَرَج، ونراه بمعنى الذي يضطرب في السير من سرعته.

قولـه: «مَرَجَان» تصـحيف صـوابه: مَرحـان، والمَرَح: شـدة النشـاط، ولا معنى لأن يضطرب في سيره، وبهذا يلتئم معنى البيت. الأعيس: الذي يُخالط بياضَه شيءٌ من الشُّقرة.

ص ٣٤٥، ٢٤٣:

أَقَرَّتْ بِهِ نَجْرَانُ ثُمَّ حَبَوْنَنٌ

فَتَثْلِيثُ فَالأَرْسَانُ فَالقَرَظَانِ

وفي الحاشـية: حَبَوْنَنٌ: موضـع باليمن من ديار مذحج. والذي في التعليقات والنوادر ٥٤٣ أنه من ديار بني الحارث.

ص ٤٠٦، ٢٨٤:

.. منسوبا إلى القلاخ بن حبابة.

قوله: ابن حبابة، تحريف لا معنى له وإنما الصـواب: ابن جناب. المؤتلف والمختلف ٢٥٣ واللسـان والصـحاح والتكملـة (قلخ) وأراجيز المقلين لكاتبه (مجلة المجمع) م ٥٩ ج ٢ ص ٣٨٩.

٣- أورد المحقق في ذيل الديوان بعض الأبيات التي نسبت إلى ابن مقبل مما لم يرد في النسخة الخطية دون أن يتثبت من صحة نسبتها، فمن ذلك مثلاً قوله (ص ٣٥٨، ٢٤٩):

سَبَتني بعيني جُؤْذَرٍ حَفَلتهُما
رِعَاثٌ وبَرَّاقٌ من اللونِ واضحُ

فهو للراعي في ديوانه ص ٤٦ من أبيات أولها:

أَلَمْ تدرِ ما قال الظِّباءُ السَّوانحُ
مَرَرْنَ أمامَ الركبِ والركبُ رائحُ

وفيه: سبتك.

ومثله أيضًا قوله (ص ٣٦٠، ٢٥١):

لَحِقنا بحيٍّ أَوَّبُوا السَّيرَ بعدَما
دفعنا شُعاعَ الشمس والطَّرفُ مُجْنَحُ

فهو للراعي أيضًا في ديوانه ص ٣٩ وأول الأبيات:

أفي أَثَرِ الأظعانِ عينُكَ تلمَحُ
نَعَمْ لاتَ هَنًّا إن قلبَكَ مِتْيَحُ

ومثله كذلك قوله (ص ٣٦٣، ٢٥٤):

هَوجاءُ موضعُ رَحلها جَسْرُ

فهو لعمرو بن مالك العائشي وتمامه:

بعُرَاضةِ الذِّفرى مُكايِلَةٍ كوماءَ موقعُ رَحلِها جَسْرُ

التكملة (جسر)

ومثله أيضًا ما جاء في (ص ٣٦٥، ٢٥٦):

... حين تختلفُ العوالي وما بي إنْ مدحتُهُمُ ابتهارُ

فهو للأخطل في ديوانه ص ٣٢١ وتمامه: ربيعةُ حينَ .. وقبله وهو أول الأبيات:

أعاذلُ نِعْمَ قومُ الحربِ قومي إذا نَزَلَ المُلِمَّاتُ الكِبارُ

أورد المحقق قول ابن مقبل (ص ٣٧٣، ٢٦٢) عن اللسان (خصلف):

كقِنوانِ النخيلِ المُخَصْلَفِ

دون أن يتنبه إلى أنه قد ورد تامًّا في موضع آخر من المادة نفسها (اللسان ٩ / ٧٥) وتمامه:

إذا زُجِرَتْ أَلْوَتْ بضافٍ سَبيبُهُ أَثيثٍ ...

ومثله أيضا قوله (ص ٣٧٣، ٢٦٣):

عن طامسِ الأعلامِ قد تَخَوَّقا

فهو لرؤبة وقبله:

إذا المهارى اجتبْنَهُ تَخَرَّقا

ديوانه ١٠٩ والتكملة (خوق) وفيهما: أو تخوقا.

هذا ما وقفت عليه في أثناء قراءتي لبعض القصائد، ولا ريب أن هناك أشياء أخرى كثيرة تحتاج إلى بيان وإيضاح.

المصادر

أراجيز المقلّين، محمد يحيى زين الدين، مجلة المجمع (دمشق). م ٥٩ ج ٢ ص ٣٨٩ – ٤٠٤.

أساس البلاغة، الزمخشري، بيروت ١٩٧٩.

استدراك على ديوان ديوان تميم بن أبي بن مقبل، مسعود عامر، مجلة المجمع (دمشق). مج ٧١ ص ٣٤١– ٣٤٧.

الأصمعيات، الأصمعي، أحمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون، القاهرة ١٩٦٣.

التعليقات والنوادر، أبو علي الهجري، حمد الجاسر، الرياض ١٩٩٢.

التكملة والذيل والصلة، الصغاني، القاهرة ١٩٧٠– ١٩٧٩.

تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، القاهرة ١٩٦٤.

ديوان الأعشى الكبير، محمد حسين، القاهرة ١٩٥٠.

ديوان الراعي النميري. راينهرت فايبرت، بيروت ١٩٨٠.

ديوان امرئ القيس، الأعلم الشنتمري، محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة ١٩٦٩.

ديوان تميم بن أبي بن مقبل، عزة حسن، دمشق ١٩٦٢ (ط١)، ١٩٩٥ (ط٢).

ديوان رؤبة بن العجاج (مجموع أشعار العرب، الجزء الثاني)، وليم بن ألوارد، ليبسيغ ١٩٠٣.

ديوان علقمة الفحل، لطفي الصقال، درية الخطيب، حلب ١٩٦٩.

شعر الأخطل، السكري، فخر الدين قباوة، دمشق، ١٩٩٦.

شعر عمرو بن شأس، يحيى الجبوري، النجف ١٩٧٦.

الصحاح، الجوهري، أحمد عبد الغفور عطار، القاهرة ١٩٥٦.

لسان العرب، ابن منظور، بيروت ١٩٥٥.

معجم الأدباء، ياقوت الحموي، بيروت ١٩٧٧.

معجم ما استعجم، أبو عبيد البكري، مصطفى السقا، القاهرة ١٩٤٥.

المؤتلف والمختلف، الآمدي، عبد الستار أحمد فراج، القاهرة ١٩٦١.

نظرةٌ في كتابِ «مَوادّ البَيَانِ» لعليّ بنِ خلفٍ الكاتب

د. ليال سعيد أبو العزّ[1]

إن الإبحار في لُجَج التراث العربي يقودنا إلى كنوز الكتب التي أودع فيها أصحابها علماً غزيراً، ومعارف فريدة، وحقائق نفيسة، فما إن نقف على هذه الكتب حتى تُدهشنا ثقافة هؤلاء العلماء، وسعة معارفهم الأدبية واللغوية والبلاغية، ومدى حرصهم على حفظها وتقييد دقائقها، وهذا ما يجذب قرّاء هذا العصر كي يطالعوا هذه الكتب، ويلتمسوا شيئاً من علوم التراث يُعينهم على خدمة العربية ودراستها.

نودُّ أن نخصِّص هذا المقال للوقوف على كتاب «موادّ البيان»[2] لمؤلِّفه علي بن خلف الكاتب، وهو كتاب جامع لأصول البلاغة والبيان، ومحيط بدقائق صناعة الكتابة على اختلاف مجالاتها وميادينها وفروعها، ومبني، على عادة التأليف آنذاك، على الاستشهاد بشواهد من القرآن الكريم، وأحاديث الرسول (ص)، وأقوال الصحابة والأئمة والفقهاء والبلاغيين، مما يجعل هذا الكتاب مصدراً مهماً في باب البيان وصنعة الكتابة، ولا سيما أن الفصاحة والبلاغة والبيان ملكة خصَّ بها الله تعالى الإنسان، وجعل الناس فيها درجات، وعلى رأي صاحب الكتاب: «وكما أن بالتمييز وقع الفصل بين الإنسان وأنواع جنسه، فكذلك يجب أن يفصل به في الفضيلة والنقيصة بين أشخاص نوعه، فمن علت طبقته في البلاغة والإبانة حُكم له بالفضيلة، ومن انخفضت درجته فيهما حُكم عليه بالنقيصة، لأن أثر القوة المميِّزة في البليغ الألسن أظهر من أثرها في المُفْحَم الألكن»[3].

(١) مدرِّسة في قسم اللُّغة العربيَّة وآدابها – كلّيّة الآداب الثَّانية – جامعة دمشق.

(٢) علي بن خلف الكاتب (ت بعد سنة ٤٣٧هـ)، موادُّ البيان، تحقيق: حاتم صالح الضامن، دار البشائر، دمشق، سورية، ط١، ٢٠٠٣.

(٣) نفسه، ص: ٢١.

نبذة عن المؤلِّف:

هو مؤلِّف مغمور لم تذكره وتعرِّف به كتب التراجم، وقد جاء في مقدِّمة المحقِّق أنه «هو أبو الحسن عليّ بن خلف بن عليّ بن عبد الوهَّاب الكاتب، من كُتَّاب الفاطميين في القاهرة، كان حيًّا سنة ٤٣٧هـ. ولم نقف على ترجمة له، إذ أغفلته كتب التراجم جميعاً»[٤]. من مؤلَّفاته: كتاب موادّ البيان، وكتابان آخران مفقودان هما: آلة الكُتَّاب، الخراج[٥].

عنوان الكتاب «موادُّ البيان»:

لمَّا كان العنوان يمثِّل العتبة الأولى التي تتصدَّر الكتاب، ومنها يدخل القارئ إلى فضائه الرحب، لم يكنْ بد، والحال كذلك، أن يكون العنوان معبِّراً عن الموضوع المراد تناوله والتأليف فيه، وأن يكون بؤرة لجذب القارئ، لذا نجد المؤلِّف قد اختار عنوان: موادّ البيان، المركَّب تركيباً إضافياً يجمع لفظتي: المواد والبيان، والمواد من «(مادّة الشيء): أصوله وعناصره التي منها يتكوَّن، حسية كانت أم معنوية، كمادّة الخشب، ومادّة البحث العلمي. والجمع: موادّ. و(موادّ اللغة): ألفاظها. و(موادّ العلم): مباحثه. و(موادّ القانون): الجمل التي تتضمَّن أحكامه»[٦].

أما البيان فهو «الحجة. والمنطق الفصيح. والكلام يكشف عن حقيقة حال، أو يحمل في طيَّاته بلاغاً. وعلم يُعرَف به إيراد المعنى بطرق مختلفة من تشبيه، ومجاز، وكناية»[٧]. وعليه يكون العنوان واضحاً تمام الوضوح من جهة التعريف بموضوع الكتاب الذي سيتناول أصول علم البيان، ومباحث علم البلاغة والكتابة البيّنة البليغة.

علَّة تأليف الكتاب:

ذكر علي بن خلف الكاتب أن ما دفعه إلى وضع هذا الكتاب القيّم هو أنه «لما كانت الصناعة الكتابية والفضيلة اليراعية من أنبل الصنائع خطراً وأحسنها على أهلها أثراً لاشتراك الخاصة والعامة في استعمالها، وأخذ كل منهم ما تقتضيه حاجته ومنزلته منها أكثرَ الناس من وضع الكتب فيها... إلا أننا لما طالعنا الكتب الموضوعة منها وجدنا أكثرها معدولاً به عن الطريق القاصد إليها... فرأينا لذلك، وبالله التوفيق، أن نصنِّف كتاباً جامعاً أصولها وفروعها، ورسومها المستعملة، وأوضاعها وأقسام البلاغة وأنواعها ليكون عَلماً يُهتدى بناره، ودليلاً يُسعى على آثاره، وحاكماً يُحتكم إليه ... ونعتنا هذا الكتاب بموادّ البيان، لوقوع هذا النعت منه موقع الحقيقة»[٨].

أراد المؤلِّف، إذن، أن يجعل كتابه مصدراً في باب أصول صنعة الكتابة، وأصول البلاغة والبيان معاهداً القارئ أنه سيجد فيه جملة المعلومات المفرَّقة في مختلف الكتب المصنَّفة في هذا الباب، ولا سيما أن «منفعة هذه الصناعة ظاهرة متجلية، عامة شاملة، لتتميمها قوة النطق التي هي معنى الإنسانية، وبلوغها به إلى أبعد غايات كماله كما ذكرنا فيما سلف، وكونها من المرافق المشتركة التي لا يخلو خاص ولا عام من الأخذ بحظ منها، لحاجته وضرورته إلى استعمالها، ولقيامها بمصالح الملوك الذين هم نظام الأمور وقوام الجمهور، ووقوع الاضطرار إلى المتحلين بها من الكتاب لتوسطهم بين طبقتي السلاطين والرعية»[٩].

مخطوطة الكتاب:

«هي نسخة فريدة، تحتفظ بها مكتبة الفاتح بإسلامبول برقم ٤١٢٨، وتقع هذه النسخة في ٢٠٢ ورقة، في كل ورقة صفحتان، عدد أسطر كل صفحة ١٥ سطراً. وقد كُتبت النسخة بخطّ النسخ المضبوط بالشكل، والمخطوطة مبتورة الآخر، إذ ينقص من أجزائها العشرة المذكورة في مقدِّمة الكتاب البابان التاسع والعاشر»[١٠].

٤- مقدِّمة المحقِّق، ص: ٦.

٥- نفسه، ص: ٦.

٦- مجموعة مؤلفين، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مصر، ط٣، ١٩٩٣، ص: ٨٩٢.

٧- المصدر نفسه، ص: ٨٢- ٨٣.

٨- علي بن خلف الكاتب، مواد البيان، ص: ١٦- ١٧.

٩- نفسه، ص: ٣٣- ٣٤.

١٠- مقدِّمة المحقِّق، ص: ٩.

منهج المؤلِّف في صناعة الكتاب:

١–قسَّم المؤلِّف كتابه على عشرة أبواب هي:

الباب الأول: في حدّ صناعة الكتابة وفضيلتها ومنفعتها وغرضها وقسمتها ورسم الكتاب وعلّة وضعه.

الباب الثاني: في البلاغة وأقسامها الأصلية.

الباب الثالث: في أقسام البلاغة الفرعية.

الباب الرابع: في صناعة البديع وأبوابها.

الباب الخامس: في ما يُخرِج الكلام من أحكام البلاغة.

الباب السادس: في أن الطبع هو قوام الصناعة ونظامها واحتذاء مذاهب السابقين بكمالها وتمامها.

الباب السابع: في أوضاع الخطّ وقوانينه وترتيب الصدور والأدعية والعنوانات والتاريخ والخَتْم.

الباب الثامن: في رسوم المكاتبات.

الباب التاسع: في آداب الصناعة.

الباب العاشر: في آداب السياسة.

٢–إن أول ما يلفت نظر المتأمِّل في هذا الكتاب طريقة المؤلِّف الرصينة في صناعته، من حيث البدء بتعريف المصطلحات التي يستعملها، مثل ما جاء في الباب الأول من تعريف الحد، والفضيلة، والقسمة، والغرض، والرسم، ثم الانتقال إلى تفاصيل كل جزء على حدة. نذكر مثالاً على ذلك ما جاء في «القول على الفضيلة: «أما الكلام على فضيلة هذه الصناعة، فإنها من الصنائع الظاهرة الشرف والجلالة، الحائزة للسيادة والنبالة، وذلك لاختصاصها بالقوة الإنسانية»[١١].

–و«أما حد صناعة الكتابة فإنها صناعة ترسم صوراً دالّة على الألفاظ دلالة الألفاظ على الأوهام»[١٢].

«وصناعة الكتابة مختصّة بالقوّة المميّزة من قسميها العلمي والعملي. أما العلمي فهو البيان عما يُخرجه الكاتب من الصور القائمة في ضميره بالقوة إلى الفعل، بالألفاظ البليغة والحساب الذي يبرز من وهمه إلى العقل»[١٣]. و«أما العملي فهو الخطّ، وهو لاحق بالمنطق في إيضاح المعاني وإبانة الأغراض والدلالة على المقاصد، وهو معبِّر صامت مسرٌّ، وهو مع ذلك يفعل فعل الناطق المفصِح والمعرِب الموضِح، لأنّه يدلُّ على المعنى برسمه، كما يدلُّ عليه المتكلِّم بلفظه»[١٤].

وكذلك طريقته المنهجية في تحديد حدود كل مفهوم، وتعيين أجزائه، ومكوِّناته، ومختلف حالاته على سبيل الاستقصاء والدقة في عرض المعلومات، كما في حديثه عن أقسام البلاغة: «فأما تدبير الكلام من جهة كميته فقد قلنا فيما سلف: إن البلاغة تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

أحدها: الإيجاز والاختصار وجمع المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة والإشارة إلى الغرض بلمحة تدل عليه.

والثاني: مساواة اللفظ للمعنى وحذو أحدهما على الآخر حتى يكون له لفظاً وعليه طبقاً.

والثالث: للإطناب والإشباع والشفاء والإقناع وترديد الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد، وهذه قسمة طبيعية، لأنه لا يخلو شيء من طرفين ووسط»[١٥].

٣–اعتمد المؤلِّف في التدليل على صحة ما يذهب إليه من آراء وأحكام على الاستشهاد بشواهد من القرآن الكريم، ومن أحاديث النبي (ص)، ومن أقوال الصحابة والأئمة والحكماء والبلغاء، ومن الشعر. نذكر مثالاً على ذلك ما جاء في فصل فضائل الكتابة المستنبَطة من كتاب الله عزَّ وجلَّ:

«فأما فضائلها المستنبَطة من كتاب الله عزَّ وجلَّ، فإن الله تعالى شرَّفها بإضافتها إلى نفسه، وإن كان الحكم في إضافتها إليه سبحانه على غير الحكم في إضافتها إلى خلقه، فقال جلَّ وعزَّ: ﴿**وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء**﴾ [سورة الأعراف: ١٤٥]. وقال: ﴿**وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس**﴾»[١٦] [سورة المائدة: ٤٥].

١١– المرجع السابق نفسه، ص: ٢٠.

١٢– نفسه، ص: ٢٠.

١٣– نفسه، ص: ٢١.

١٤– نفسه، ص: ٢٢.

١٥– نفسه، ص: ٩٠.

١٦– نفسه، ص: ٢٤.

ومن مستحسن الإيجاز المطابق قوله تعالى: ﴿**ولكم في القصاص حياة**﴾ [سورة البقرة: ١٧٩] لما فيه من حسن النظم وقلة الحروف ووضوح الإبانة»[١٧].

«وقولـه تعـالى: ﴿**يحسبـون كل صيحـة عليهـم**﴾ [سـورة المنافقـون: ٤] والغرض فيه المبالغة في وصـفهم بالفـزع، وقد بلغ في سـهولة العبارة وقلـة النظم كل مبلغ في الوصف بذلك. وقول النبي صلَّى الله عليه وسلَّم: «إنكم لَتكـثرون عند الفزع وتقلُّون عنـد الطمع"، وقوله: «المرء كثـير بأخيه». وقول علي رضـي الله عنه: (قيمة كل امرئ ما يُحسـن)، وقوله: (المرء مخبوء تحت لسـانه، وتكلّموا تُعرَفـوا). وقول ابن عباس وقد سُـئل: أنَّى لك هذا العلم؟ فقال: قلب عقول ولسان سؤول»[١٨].

كما كان للشـعر نصـيب وافر بين الشـواهد، فاختار مثلاً من مستحسَن الشعر الموجز قول زهير:

مَنْ يلقَ يومًا على علاته هرماً

يلقَ السماحة منه والندى خلقا

وقول جرير:

إذا غضبتْ عليك بنو تميم

حسِبتَ الناسَ كُلَّهُمُ غِضابا

وقال عبد الرحمن بن حسّان:

وإن امرأً يُمسي ويُصبح سالماً

من الناس إلا ما جنى لسعيد

والنظم الوجيز كثير»[١٩].

٤- كثيراً ما يستعرض آراء البلاغيين في تركيب ما، أو قـول ما، مما يعكس اطلاعه العميق على جهود السـابقين والمعاصرين لـه، ومحاكمته لما ورد في كتبهم، فتارة نجده يأخـذ بها ويشرحها ويدلِّل على صـحتها، وتارة يخالفها ويقدِّم رأياً مغايراً مشـفوعاً بالحجة والاستدلال المنطقي. نذكر مثـالاً على ذلك قوله: «وأما أبـو علي الحاتمي فذكر في (حلية المحاضرة) أنه قد اسـتوفى القول على السـجع في كتابـه المنعـوت بـ (الحـالي والعاطل)، ولم يقـع إليَّ هذا الكتـاب فأطّلع من تضـمنه علـى مذهبه فيـه»[٢٠]. ومنها قولـه: «وقال الخليل بن أحمد: أصـناف الحروف تسـعة ....»[٢١].

ومنها استقصاؤه آراء البلاغيين في تعريف التجنيس: «فالتجنيس علـى مذهب عبدالله بن المعتز... وهذا القسـم عند أبي علي الفارسي داخل في باب الترصيع... وقال أبو علي الحاتمي: التجنيس نوعان... وقال آخرون: التجنيس أن تجانس الكلمة الكلمةَ في مسـموع حروفها... وأما أبو الفرج قدامة فلم يذكر التجنيس...»[٢٢].

٥- غلب على منهجه أن ينسـب الأقـوال التي يُورِدها إلى أصـحابها، وإن كان قد تجاهل في مواضع كثيرة ذلك، واكتفـى بتعابير عامـة مثل قوله: قال آخـرون، قال قوم، قال بعضـهم، قال الشاعر، قال آخر.

«وقيـل (القول للجاحظ في كتابـه «البيان والتبيين»): البيان اسم لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته ...»[٢٣].

والأمثلة على ذلك كثيرة.

٦- أكـثر مـن الموازنة والمفاضـلة بـين الأشـياء، من أجـل عرض الوجـوه المتناقضـة والفروق، أو المحاسـن والمسـاوئ، نذكـر مثالاً علـى ذلك ما جاء في المفاضـلة بين الخُطَـب والشـعر: «وإذا اعتُـبِر فضـل مـا بـين الخطابة والشـعر بفضـل ما بين الخطباء والشعراء عُلِم أن التقدم للخطبـاء علـى الشـعراء»[٢٤] لأن رسـول الله صـلَّى الله عليه وسـلَّم، أول مـن يُعزَى إلى الخطابة، وخطبه أفضـل الخطـب، وقد حاز رتبة الخطابة علـى أكمل حدودها وأتمّ رسـومها. فأما الشـعر فإن الله تعالى نزَّهـه عن نظمه، بل عن إنشاده»[٢٥].

١٧- نفسه، ص: ١١٩.

١٨- نفسه، ص: ١٢٠.

١٩- نفسه، ص: ١٢١.

٢٠- نفسه، ص: ١٥٣.

٢١- نفسه، ص: ١٦٩.

٢٢- ينظر: نفسه، ص: ١٧٢ وما بعد.

٢٣- نفسه، ص: ١٤١.

٢٤- نفسه، ص: ٤١.

٢٥- نفسه، ص: ٤١.

«والشعر إنما بُني على معانٍ أكثرها مستحيل، وأقوال جلُّها كذب، ولا سيما الشعر الجاهلي الذي هو أفحل الأشعار، فإنه يشتمل على قول البهتان، وشهادة الزور، وسبِّ الأعراض، وقذف المحصنات، والقدح في الأنساب الصريحة، وقبح الهجاء، وما يجاري هذا مما يجب التنزه عن الخوض فيه والتصون عن إطلاق اللسان به»[٢٦].

لكنه عقب ذكرِ مساوئ الشعر انتقلَ إلى تبيان محاسنه، فقال:

«وأما ما يشرُف به الشعر غيره من الكلام فبوزن الأجزاء، وتساوي الحروف، وطول بقائه على أفواه الرواة، فإنه لا شيء أبقى على الدهر من الشعر، لتمكن القوة الحائطة بارتباط أجزائه، وتعلق بعضها ببعض من تقييده ...

ومنها: اشتهاره واستفاضته ...

ومنها: تزيينه مجالس الملوك بالثناء عليهم وتعديد محاسنهم.

ومنها ما يحصل عليه الشاعر المجيد من الحِباء الجسيم الذي يستحقه...

ومنها: عِمارته لمجالس الأنس التي لا تعمر إلا بإنشاد الأشعار ورواية الأخبار.

ومنها: قبوله لما يركب عليه من الألحان المطربة المؤثرة في الأنفس اللطيفة والطباع الرقيقة.

ومنها: أن ألفاظ العربية وشواهد القرآن وغيره من الكلام العالي ككلام النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما يُستنبط منه.

ومنها: معرفة أمثال العرب وحكمها وعلم تواريخ أيامها ووقائعها»[٢٧].

٧- ومما يلفت انتباه المطالع لهذا الكتاب أيضاً أنه جاء على أتمّ الترتيب، وأكمل الإتقان والتنظيم في عرض الأفكار وإيرادها، مما جنَّب الكاتب الوقوع في هوة الاضطراب أو التكرار، إذ نجده يذكِّر القارئ بمعلومة قد وردت سابقاً، أو يَعده باستكمال شرح فكرة ما في الأبواب اللاحقة. نذكر مثالاً على ذلك قوله: « وقد قلنا فيما سلف أن حكماء اليونانيين يُسمُّون صناعة الكتابة: العلم المحيط. وهذا اسم واقع لافتقار جميع الأشياء وحاجتها إلى الاستعانة بها في تكميل معانيها»[٢٨].

ومثله: «وسنستوفي القول على ترتيب الأجوبة في الباب الثامن من هذا الكتاب بعد انقضاء أمثلة النداءات ورسومها إن شاء الله»[٢٩].

ومثله: «قول في الإيجاز: قد ذكرنا عند القول على كمية الكلام المواضعَ التي تصلح للإيجاز والاختصار وحذف فضول الكلام...»[٣٠].

٨-ومما يدلُّ على منهج الكاتب الصارم في تنسيق أفكاره، ويقظته في عرض مضمون الكتاب، أنه قدَّم في خاتمة الباب الثاني تلخيصاً لأفكار الباب، وتذكيراً بعناوينه، أي إنه اتبع شروط صنعة الكتابة في صناعة هذا الكتاب، حيث قال:

«والذي أتينا به كافٍ في معرفة أحكام البلاغة وأقسامها الأصلية التي هي الألفاظ البسيطةُ والمعاني المجردة والمركَّب منهما الذي هو ذات البلاغة، وتدبيره من جهة كيفيته ومن جهة كميته ومن جهة ترتيبه»[٣١].

٩- استعمل تشابيه وتراكيب لطيفة تقرِّب الفكرة من ذهن القارئ، وتُثبت أنه جدير بصنعة الكتابة وبتعليم أهلها، نذكر على سبيل المثال لا الحصر قوله: «فنستدلُّ على أن الصناعة إنما تحصل لمن جمع بين المهارة والألفاظ، لأن مثال صاحب الألفاظ البسيطة مثال الصيدلاني الذي يجمع أصناف الأدوية المفردة ولا يتأنَّى لتركيبها. ومثال الكاتب الذي يأخذ تلك الألفاظ فيظهر فيها صورة تأليف مثال الطبيب الذي يركِّب الأدوية المفردة التركيب الشافي

٢٦- نفسه، ص: ٤٢.

٢٧- المرجع السابق نفسه، ص: ٤٢- ٤٣.

٢٨- نفسه، ص: ٥٩.

٢٩- نفسه، ص: ١٠٤.

٣٠- نفسه، ص: ١١٦.

٣١- نفسه، ص: ١٠٦.

من الأدواء المعضلة»[٣٢]. وقوله: «وكما أن الباني لا بد له من وضع أساس لما يبنيه يعتمد عليه ويستند إليه، كذلك مؤلِّف الكلام لا يغني عن تقديم مقدِّمة يتطرَّق منها إلى ما يروم التأليف فيه»[٣٣].

ومثله قوله: «إن مستعمل الأسجاع يضطر إلى أن يجعل المعاني تابعة لها ... ومثل الفاعل لذلك كمن رصَّع تاجاً وألبسه زنجياً ساقطاً، ونظم قلادة درٍّ وطوَّق بها كلباً. ونحن نقول في كلامه هذا قولاً فصلاً، ونحكم عليه حكماً عدلاً»[٣٤].

١٠–اتجه المؤلِّف إلى إبداء رأيه، وتعليل ما يذهب إليه بالحجَّة والمحاكمة المنطقية، كما في قوله: «وقد ذهب قوم إلى أن المجاز كذب. وهذا قول فاسد، لأن الصدق والكذب إنما يدخل في باب الإخبار، ولو كان المجاز كذباً، وكل فعل يُنسب إلى من لا يصحُّ منه الفعلُ باطلاً لفسدَ أكثرُ الكلام، لأنهم يقولون: نبتَ البقل، وطال السَّحَر، وأينع الثمر، ورخص السعر، وكان هذا الفعل منك في وقت كذا، والفعل لم يكن وإنما كوَّن، والله سبحانه يقول: ﴿**فإذا عزم الأمر**﴾ [سورة محمَّد: ٢١]. والأمر لا يعزِم وإنما يُعزَم عليه. ويقول: ﴿**فما ربحت تجارتهم**﴾ [سورة البقرة: ١٦]، والتجارة لا تربح، وإنما يُربَح فيها»[٣٥].

١١– كثيراً ما كان يفسِّر ويعلِّق ويشرح الشواهد معتمداً في ذلك على ذائقته الأدبية العالية، واستيعابه لأصول البلاغة وفروعها، وكل ما يتعلَّق بطرق الكتابة، «كقوله: ﴿**فاصدع بما تُؤمَر**﴾ [سورة الحِجْر: ٩٤]: حقيقته فبلِّغْ، إلا أن للصدع تأثيراً كتأثير صدع الزجاجة، والتبليغ قد يضعف حتى يكون لا تأثيرَ له، ويجمع معناهما الاتصال، والاتصال الذي له تأثير كصدع الزجاجة أبلغ من الاتصال الذي لا تأثير له.

وكصفة امرئ القيس بـ (قيد الأوابد) والحقيقة مانع الأوابد، و(قيد الأوابد) أنصع وأبلغ. وكقولهم: (العروض ميزان الشعر)، حقيقته تقويم الشعر، والاستعارة فيه أحسن»[٣٦].

١٢– نجده يخالف أحياناً الأدباء والنقاد في قضية أدبية ما، مما يُظهر حس الابتكار، وعمق التأمل، كما في قوله: «وقد عاب قوم على أبي تمام قوله:

لا تسقني ماء الملام فإنني
صبٌّ قد استعذبت ماء بكائي

فعلَّق: ومثل هذا قد يحسن بعض الحسن لما فيه من مطابقة (ماء الملام) بماء البكاء»[٣٧]. مما يُدلِّل على أنه يبتعد عن الأخذ الأعمى عن الآخرين.

١٣– ومن لطيف ما نبَّه عليه الكاتب، وفصَّل الحديث فيه، أجزاء العلامة (المفردة) اللغوية على نحوٍ نجد مثيله في الدراسات اللسانية المعاصرة، ولا سيما عند شارلز سندرس بيرس، مما يُثبت أسبقية العلماء واللغويين العرب إلى بذور الدراسات الغربية المعاصرة، حيث جاء في الكتاب: «والأشياء التي تدلُّ ويُدلُّ عليها أربعة:

الأول: الأعيان التي تقع عليها الأسماء[٣٨].

والثاني: صورها الوهمية التي انتُزعت بها وانتُسخت عنها[٣٩].

والثالث: الألفاظ التي تدلُّ على هذه الصور وتُخرِجها من القوة إلى الفعل المطلق[٤٠].

والرابع: الرسوم التي تُقيِّد الألفاظ وتحفظها على مرّ الأزمان»[٤١].

ففي هذا القول تحليل دقيق لمكوِّنات أية لفظة في اللغة، إذ كلُّ لفظة هي اتحاد بين الصورة الصوتية / السمعية، والصورة الذهنية / المفهوم، ولا بد أن تمثِّل عنصراً خارجياً تشير إليه، ويكون لها تمثيل مكتوب يرمز إليها.

٣٢– نفسه، ص: ٧٩– ٨٠.

٣٣– نفسه، ص: ٨٤.

٣٤– نفسه، ص: ١٥٣.

٣٥– نفسه، ص: ١١٥.

٣٦– المرجع السابق نفسه، ص: ١٢٦.

٣٧– نفسه، ص: ١٢٧– ١٢٨.

٣٨– يقصد بذلك الشيء المادي الخارجي الذي تمثِّله المفردة.

٣٩– يقصد بها المفهوم، أو الصورة الذهنية التي ترتسم في الذهن للمفردة.

٤٠– يقصد بذلك الصورة السمعية للمفردة.

٤١– نفسه، ص: ٢٦.

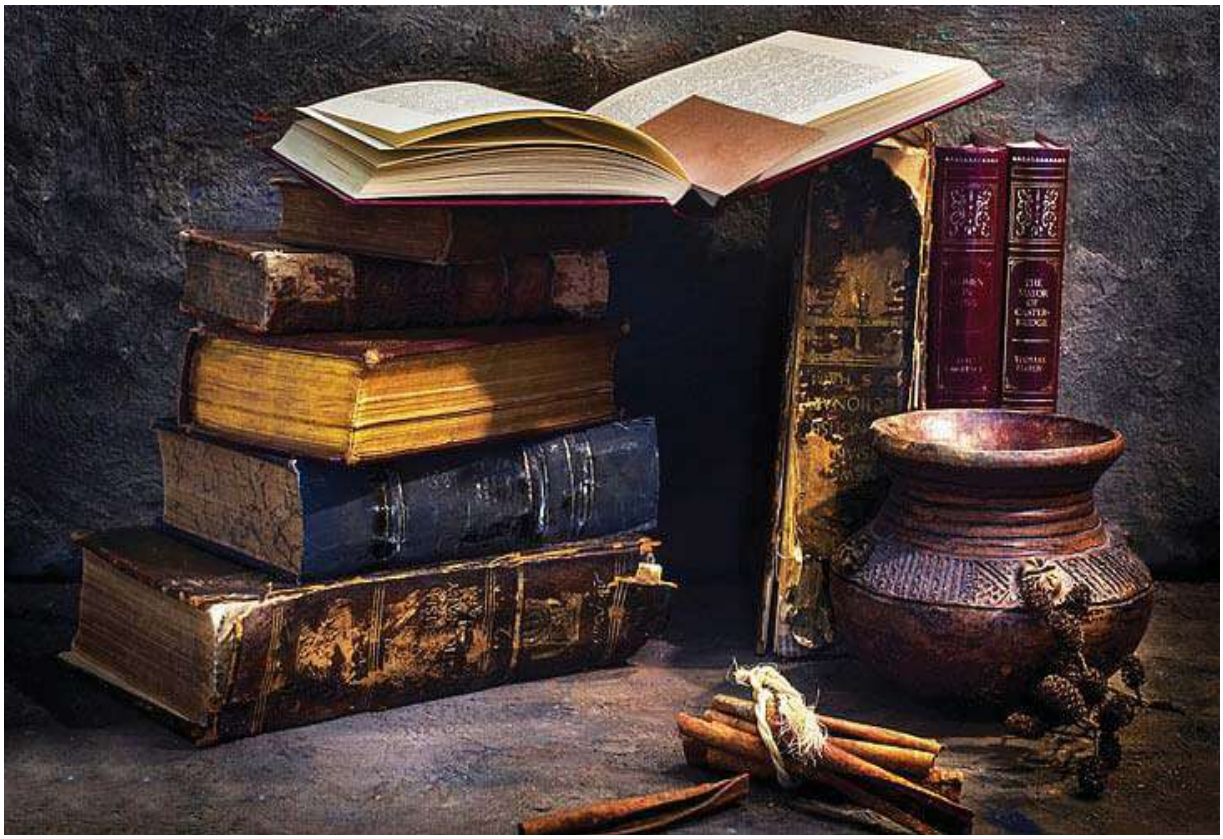

١٤- اعتمد الكاتب في معظم الأحيان على أسلوب الإجمال ثم التفصيل، كما في مراتب صناعة الكتابة: «وأما المراتب التي تنقسم إليها صناعة الكتابة فخمس عشرة مرتبة، وهي: الوزارة والتوقيع والرسائل والخراج والضياع وبيت المال والخزائن والنفقات والجيش والزمام والبريد والفض والمظالم وكتابة القضاء وكتابة القوَّاد والأمراء وكتابة المعاون»[٤٢]. ثم شرع يشرح كلاً منها على حدة، فبدأ يعرِّف الوزارة قائلاً: «هي الرئاسة. وصاحبها يجب أن يكون قيِّماً بجميع أنواع الكتابة وأقسامها، عالماً بشروطها وأحكامها، لأن كل ناظر في فن من فنونها إليه يرفع ما ينظر إليه، فلا يجوز أن يكون جاهلاً بشيء منه..»[٤٣]. والأمثلة على ذلك تتناثر في مواضع كثيرة من الكتاب.

في الختام لا بد أن نعترف بقيمة هذا الكتاب العظيمة، لأنه يُعنى بأسمى الملكات التي خصَّ الله تعالى بها الإنسان، ألا وهي ملكة البلاغة والبيان، وما يرتبط بها من صنعة الكتابة التي تُقيِّد إنتاج الإنسان ومختلف نشاطاته وإبداعاته الفكرية والأدبية، ولما للبلاغة من مكانة عليّة في حياة البشر، وقد شبَّه الكاتب اشتراك المعاني والألفاظ وارتباطهما بارتباط الأرواح بأجسادها، وعليه لا بد للإنسان أن يُتقن أصول البيان اللفظي والكتابي، وأن يسعى جهده كي يرتقي وينمِّق هذه الملكة بطول المران والتدريب على نحو يمكِّنه من التعبير عن مقاصده وأفكاره وحاجاته مراعياً مقتضى الحال، وحال المخاطبين، وشرطَي الزمان والمكان، ورتبة الموضوع الذي يتناوله.

في المجمل نأمل أن نكون قد استوفينا القول في بعض مزايا منهج المؤلِّف في كتابه، وقد حاولنا أن نضيء جوانب من سمات أسلوبه وصنعته في التأليف والعرض والجمع والشرح والمناقشة والاستشهاد والتوزيع والتنسيق.

٤٢- المرجع السابق نفسه، ص: ٤٨.

٤٣- نفسه، ص: ٤٩.

تدبير الضوء في عمارة القصور العربية

د. مهـــا الشـــعار(*)

مقدمة:

ربما كانت الطبيعة البشرية الراغبة دائماً بالتفرد والتميز على الأقران، وإظهار القوة والسلطة المستمدة من كثرة المال الدافع الرئيس في عمارة القصور على مر العصور، ولا يختلف أصحاب القصور العربية عن غيرهم في رغبتهم في إظهار مدى عظمتهم وإبهار الضيوف والزوار بما احتوته قصورهم من روائع كان للمهارة البشرية الدور الرئيس في صنعها، فقد حاول مهندسو وحرفيو تلك القصور تسخير ما توفر بين أيديهم من عناصر طبيعية لتحقيق هذا الهدف، ويعد الضوء من أهم العوامل الطبيعية التي جرى الاستفادة منها وتسخيرها لإبداع روائع أبهرت كل من شاهدها وجعلتها حديثاً يؤرخ إنجازات مهندسي وحرفيي تلك القصور المهرة؛ الجنود المجهولين- الذين تمتعوا بفكر متميز وذكاء متقد، فكانوا قادرين على تصنيعها رغم التقنيات الضعيفة المستخدمة في ذلك الوقت.

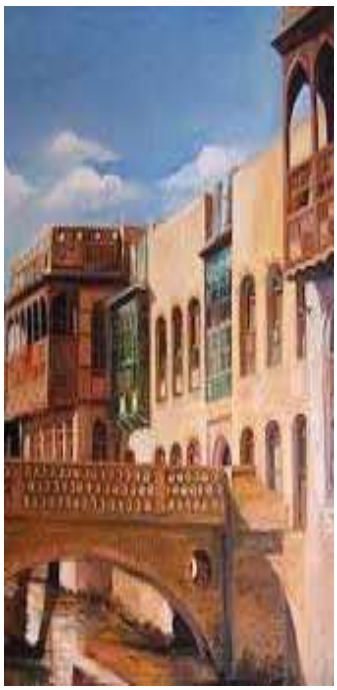

(*) أستاذة في معهد التُّراث العلْميّ العربيّ – جامعة حلب.

أولاً – قصر غُمدان[١]:

تفرد أهل اليمن ببناء القصور الفخمة والعالية منذ القديم، ويُعَدُّ قصر غُمدان «أقدم قصور اليمن وأعجبها ذكراً وأبعدها صيتاً»[٢]، وواحداً من عجائب الهندسة المعمارية القديمة، سكنه ملوك اليمن، وكان سيف بن ذي يزن من أشهر الملوك الذين سكنوه وآخرهم، وفيه استقبل سيف وفود العرب من الحجاز وغيرها التي جاءت تهنئه على انتصاره على جيش الحبشة وعودة المُلك إليه، وكان من جملة «من وفد عليه قريش وفيهم عبد المطلب بن هاشم، فبشره سيف برسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بما يعلم من أمره»[٣].

يُعتقد بأن الجامع الكبير بمدينة صنعاء قد بُني على أنقاض هذا القصر، فمن الثابت أن أبواب الجامع الكبير الفولاذية هي نفسها أبواب قصر غُمدان وعليها كتابات بالخط المسند[٤].

ومما يثير الإعجاب بهذا القصر المادة التي أنشئ منها وعلوه الشاهق، فقد ذُكر أنه بُني على شكل مربع، كل وجه من وجوهه مبني بنوع مختلف من الرخام الملون، فوجه أبيض، ووجه أحمر، ووجه أصفر، ووجه أخضر «فبُني هناك على أربعة أوجه: وجه أبيض، ووجه أحمر ووجه أصفر ووجه أخضر»[٥].

أما بالنسبة لارتفاع القصر فقد تباينت الآراء، فمنهم من غالى فيه مثل ياقوت الحموي الذي ذكر في مخطوطته **معجم البلدان** أن القصر كان مؤلفاً من «سبعة سقوف، بين كل سقفين منها أربعون ذراعاً، وكان ظله إذا طلعت الشمس يُرى على عَينان، وبينهما ثلاثة أميال»[٦]، وبما أنَّ الميل يساوي[٧] ١،٩٧٣١كم، فهذا يعني أن ظل القصر كان يمتد لطول ٦ كم تقريباً، وهذا الرقم مبالغ به كثيراً إلا أنه يعطي فكرة عن الارتفاع الكبير للقصر، وبما أن الذراع تعادل تقريباً ٥٠ سم في وقتنا الحاضر[٨]، فهذا يعني أن ارتفاع الطابق الواحد كان ٢٠ متراً، وعلو القصر بالكامل نحو ١٤٠ متراً، وقد ازداد هذا الرقم بين راوٍ وآخر إلى أن وصل إلى الألف ذراع (أي ما يعادل ٥٠٠ متراً) كما ذكر الهمداني في مخطوطته **الإكليل**، لكنه أورد فيما بعد الرأي الأصح، وهو أن القصر كان مؤلفاً من «عشرين سقفاً غرفاً بعضها على بعض، واختلف الناس في الطول والعرض، فقائل يقول كل وجه علوه ألف بألف، وقائل يقول كان أكثر، وكان بين كل سقفين عشر أذرع»[٩]. أي إن القصر كان مؤلفاً من ٢٠ طابقاً، وارتفاع الطابق الواحد عشر أذرع، مما يعني أن ارتفاع الطابق الواحد كان ٥ أمتار، فيكون علو القصر الكلي نحو ١٠٠ متر.

---

١) للمزيد راجع:
الشعار، مها، «عجائب قصر غمدان»، **مجلة بحوث جامعة حلب –سلسلة تاريخ العلوم عند العرب**، جامعة حلب، حلب، سورية، العدد ١٤، ٢٠١٩م، ص ص٨٩–١٠٨.

٢) **الهمداني**، أبو محمد الحسن، **الإكليل**، حرره وعلق حواشيه نبيه أمين فارس، دار العودة، بيروت ودار الكلمة، صنعاء، ج٨، ص٣.

٣) **ابن كثير**، إسماعيل بن عمر (٧٠١–٧٧٤هـ)، **البداية والنهاية**، اعتنى به حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، لبنان، ٢٠٠٤م، ج١، «ذكر خروج المُلك عن الحبشة ورجوعه إلى سيف بن يزن»، ص٢٨٦.

٤) **ويكيبيديا الموسوعة الحرة**، مادة «قصر غمدان»، https://ar.wikipedia.org

٥) **ياقوت الحموي**، شهاب الدين، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ج٤، حرف الغين، باب الغين والميم وما يليهما، ص٢١٠.

٦) **ياقوت الحموي**، **معجم البلدان**، ج٤، حرف الغين، باب الغين والميم وما يليهما، ص٢١٠.

٧) الميل: يساوي ١،٩٧٣١ كم.
فاخوري، محمود **وخوام**، صلاح الدين، **موسوعة وحدات القياس العربية الإسلامية**، مكتبة لبنان، ٢٠٠١م، مادة «ميل»، ص١٦٠.

٨) **فاخوري**، **موسوعة وحدات القياس العربية الإسلامية**، مادة «ذراع»، ص١٠٠.

٩) **الهمداني**، أبو محمد الحسن، **الإكليل**، حرره وعلق حواشيه نبيه أمين فارس، دار العودة، بيروت ودار الكلمة، صنعاء، ج٨، ص١٢.

يقول الهمداني واصفاً القصر:

يسمو إلى كبد السماء مصعداً
عشرين سقفاً سمكها لا يقصر
ومن السحاب معصبٌ بعمامة
ومن الرخام سَمكها لا يقصر

ويُفهم من شعره أن السحاب كان يحيط بأعلى القصر كما تحيط العمامة بأعلى رأس الرجل مما يدل على العلو الكبير للقصر[١٠]، على أيّ حال مهما كان اختلاف المؤرخين في مقدار ارتفاع القصر أجمعوا على أن القصر كان شاهق العلو، مما يجعله أعجوبة هندسية معمارية في زمانه.

وقد تطرقنا لعلو القصر الشاهق وللمادة التي بُني منها القصر وهي الرخام الملون الذي يسمح بنفاذ أشعة الضوء من خلاله لنتحدث عن تطويع الضوء الذي سُخر ليكون أحد روائع القصر، **فإنارة القصر جعلته أعجوبة من عجائب ذلك الزمان**، ذكرت المخطوطات العربية أنه كان يُؤْمَرُ بالمصابيح فتُسرج ليلاً، فينفذ الضوء من خلال الرخام الملون فيلمع سائر القصر من ظاهره بألوان متعددة تبعاً للون الرخام كما يلمع البرق، فإذا أشرف عليه الإنسان من بعض الطرق ظنه برقاً، ولا يعلم أن ذلك ضوء المصابيح؛ إذ لا تُرى حمرة النار من خلال الرخام، وفيه يقول الهمداني:

وغُمدانُ الذي حُدثت عنه
بناه مشيداً في رأس نيق
بمرمَرة وأعلاه رخامٌ
تُحامٌ لا يُعَيّبُ بالشقوق
مصابيح السليط يَلُحْنَ فيه
إذا يمسي كتَوْماض البروق[١١]

وذُكر أن التبابعة إذا قعدوا على هذا القصر وأشعلوا شموعهم يُرى على مسيرة أيام[١١]، ويُقال إن «ضياء سرجه كان يُنظر من المدائن، وقيل: إلى المدينة»[١٢].

ربما كان في هذا الخبر مبالغة كبيرة، إلا أنه يدل على علو القصر من جهة، وعلى مدى نفوذية جدرانه الرخامية للضوء من جهة أخرى، مما حول القصر ليلاً إلى كتلة ضوئية ملونة متلألئة تلمع وتبرق في ظلمات الليل، فتخلب لب الناظرين إليها.

ثانياً–قصر التاج في بغداد[١٣]:

يقع قصر التاج على الجانب الشرقي من نهر دجلة في مدينة بغداد، ويعود بدء تاريخ بنائه إلى عهد الخليفة هارون الرشيد (تولى الحكم عام ١٧٠هـ / ٧٨٦م)، وتألف بعد الانتهاء من بنائه في عهد الخليفة العباسي جعفر المقتدر بالله (تولى الحكم عام ٢٩٥ هـ / ٩٠٨م) من ثلاث وعشرين منشأة، وقد سُميت كل منشأة بدار، «وقام المكتفي ببناء التاج على دجلة، وعمل وراءه من القباب والمجالس ما تناهى في توسعته وتعليته، ووافى المقتدر بالله فزاد على ذلك، وأوفى مما أنشأه واستحدثه»[١٤].

وقد ورد ذكر دور هذا القصر ومحتوياتها في أثناء الحديث عن زيارة رسول ملك الروم «وكان ذلك في سنة خمس وثلاث مئة»[١٥] للخليفة المقتدر بالله، وسنتحدث عن

١٠) **الهمداني، الإكليل**، ج٨، ص١٣.

١١) **القزويني، آثار البلاد وتاريخ العباد**، مادة «صنعاء»، ص٥١.

١٢) **ابن المجاور**، جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد (ت٦٩٠هـ)، **تأريخ المستبصر**، راجعه ووضع هوامشه ممدوح حسن محمد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٦م، ج٢، ص٢١٠.

١٣) للمزيد راجع:

– **الشعار**، مها، «عجائب في قصر التاج العباسي»، **مجلة التراث العلمي العربي**، مركز إحياء التراث العلمي العربي–جامعة بغداد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد العراق، العدد ٤٣، (ت١–ت٢–ك ١) ٢٠١٩م، ص ص٢١٥–٢٤٦.

– **الشعار**، مها، «الشبكات المائية في حدائق القصور العربية التاريخية»، **مجلة المخطوط العربي**، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، سورية، النصف الأول ٢٠٢٣م، العدد ٥، ص ص٣٣–٤٧.

١٤) **الخطيب البغدادي**، أحمد بن علي بن ثابت، **تاريخ مدينة السلام (تاريخ بغداد)**، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، مج ١، ص٤١٦.

١٥) **الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام (تاريخ بغداد)**، مج ١، ص٤٢٤.

الـدور التي لعب فيها الضـوء دوراً مهمّـاً في تميزها كدار **الجوسق**[١٦] **المحدث** الواقعة وسـط بسـتان نخيل، وفي وسـطها بركة تبلـغ أبعادها نحـو (١٥×١٠م)، وقد بُني في داخـل البركة أربعة مجالس كانت تسـمى طيارة، وهي عبارة عن حجرة خشبية تكون مفتوحة من جهاتها الأربع ليتمتع أصـحابها بنسـيم الصـيف في أيام الحر، وحولها درابزين من الخشـب[١٧]، وكان الجالس في هذه الطيارات يسـتمتع بمناظـر جميلة لعب الضـوء فيها دوراً رئيسـاً، وذلك في اتخاذ **عدة تدابير** هي:

–بُنـي في الطيـارات مجالـس مذهبـة مزينـة بقماش دبيـق[١٨] مطرز، وتحيـط بالطيارة سـتائر دبيقية مذهبة تلمع عند سقوط أشعة الشمس عليها.

–كُسـيت جدران البركة الداخلية والقناة التي توصل إليها الماء بالرصاص القلعي أي القصدير[١٩]، والقصدير

كمـا هـو معـروف فلز لـيِّنٌ ذو لونٍ فضـي، فكانـت المياه والجدران الفضـية اللون تعكس أشـعة الشمس الساقطة عليها، فتبدو البركـة والقناة متلألئة بالنور المنعكس عنها كأنها مرايا ضخمة تنشر الضياء في كل مكان حولها.

– كان الجالـس في الطيـارات يُطـل على بسـتان كبير يحيـط بالبركة فيـه أربعمئة نخلـة، وقد كُسـيت جذوعها من أصـلها إلى قمتها بخشـب الساج المنقوش بحلقات من النحاس المذهب التي كانت تعكس أشـعة الشـمس عندما تمر عليها فتلمع بانعكاسات جميلة تخلب الأبصار.

ذكـر الخطيـب البغـدادي هـذه التدابـير عند وصـفه مشـاهدات رسـول ملـك الـروم والوفـد المرافق لـه: «ثم أخرجـوا إلى الجوسـق المحدث، وهي دار بين بسـاتين في وسـطها بركة رصاص قلعي، حواليها نهر رصاص قلعي أحسـن من الفضـة المجلوة، طول البركة ثلاثون ذراعاً في عشرين ذراعاً، فيهـا أربع طيارات لطاف بمجالس مذهبة مزينـة بالدبيقي المُطرز وأغشـيتها دبيقي مذهب، وحوالي هـذه البركـة بسـتان بميادين فيها نخـلٌ، قيـل: إن عدده أربع مئة نخلة، وطول كل واحدة خمسـة أذرع، وقد لُبس جميعها سـاجاً منقوشـاً من أصـلها وإلى حد الجُمَّارة[٢٠] بحلق من شِبْهٍ (نُحاس) مذهبة»[٢١].

١٦) **الجوسق**: القصر الصغير.
مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط٤، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، حرف الجيم، مادة «جوسق»، ص١٤٧.

١٧) **رزق**، عاصم محمد، **معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٠م، حرف الطاء، مادة «طيارة»، ص١٨٥.

١٨) **قماش دبيق**: نسبة إلى دَبِيق، وهي «بليدة كانت بين الفرما (بور سعيد الآن) وتنيس، من أعمال مصر، تنسب إليها الثياب الدبيقية».
ياقوت الحموي، معجم البلدان، حرف الدال، مادة «دبيق»، ج٢، ص٤٣٨.
والثياب الدبيقية: «هي ثياب كانت تتخذ بها رقيقة، وكانت العمامة منها طولها مئة ذراع، وفيها رقمات منسوجة بالذهب، يبلغ ما في العمامة خمس مئة دينار، سوى الحرير والغزل».
الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب **(ت٨١٧هـ)، القاموس المحيط**، راجعه واعتنى به أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، حرف الدال، مادة «دبق»، حاشية الشارح. ص٥٢٣.
وتذكر المراجع الحديثة أن دبيق كانت تقع «على بحيرة تنيس بالقرب من تنيس ودمياط، وتخصصت بصناعة المنسوجات الحريرية والمنسوجات الموشاة بخيوط الحرير والذهب، وقد اندثرت اليوم».
مأمون، جيهان ممدوح، **تنيس**، تقديم أحمد عبد الرزاق أحمد، سلسلة مدن مصرية، نهضة مصر للطباعة والنشر، ص٤٨.

١٩) **ابن البيطار**، ضياء الدين عبد الله بن أحمد الأندلسي (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨ م)، **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**. مكتبة المثنى، بغداد، مادة «رصاص»، ج٢، ص١٤٠.

٢٠) **الجُمَّارُ**: شحم النخيل.
الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت٣٩٢هـ)، الصحاح، راجعه واعتنى به محمد محمد تامر، أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، حرف الجيم، مادة «جمر»، ص١٩٨.
وشحم النخيل: هو القمة النامية لشجرة النخيل التي تكون في أعلى الجذع من النخلة.
كامل، هبة، **فوائد شحم النخل**، مقالة منشورة على الموقع الإلكتروني: http://mawdoo3.com

٢١) **الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام**، مج١، ص ٤٢١.

أما في **دار الشجرة** التي سُـميت بهذا الاسم نسبة إلى شـجرة موجودة في وسـط بركة ماء مدورة أمام الإيوان، فقد صُنعت الشجرة بجذعها وأوراقها وأغصانها الثمانية عشر المتفرعة عنها من الفضة، ويتفرع من كل غصن فروع كثيرة يتدلى منها أنواعٌ مختلفة من الجواهر المنحوتة على شـكل ثمار، كما ثُبت على أغصان الشجرة تماثيل مختلفة لطيور مصـنوعة من الذهب والفضـة. «وفيها شـجرة في وسـط بركة كبـيرة مـدورة فيها ماء صـافٍ، وللشـجرة ثمانيـة عشر غصـناً، لكل غصـن منها شـاخات[٢٢] كثيرة عليها الطيور والعصـافير من كل نوع مذهبة ومفضضة، وأكثر قضـبان الشـجرة فضـة، وبعضـها مُذهـب، وهي تتمايـل في أوقات، ولها ورقٌ مختلـف الألوان يتحرك كما تُحـرك الريح ورق الشـجر، وكل من هذه الطيور يصـفر ويهدر»[٢٣].

تعتبر هـذه الشجـرة أيقونة خلـدت المخطوطات العربية ذكرهـا، فلقد أبدع الحرفيـون الذين نحتوها فجعلوهـا آيـة في الروعـة، ويمكن أن نتصـور مشهد رسـول ملك الروم وهو يقف مشدوهـاً أمام الشجرة، وقـد خلـب عقلـه الأضـواء المنعكسة عـن كل قطعة فيهـا ابتداء مـن جذعها وأغصانهـا وأوراقها الفضية مـروراً بثمارها المنحوتة من الجواهر الثمينة، انتهاء بعصافيرها الذهبية.

ثالثاً–القصر الطولوني[٢٤]:

تحـدث ابـن تغـري بَـرْدي في مخطوطتـه **النجـوم الزاهـرة في ملـوك مصـر والقاهـرة** عن القصـر الذي بنـاه أحمد بـن طولون عام ٢٦٢هـ / ٨٧٥م، والذي تولى الحكـم بعد وفاته سـنة ٢٧٠هـ / ٨٨٤م ابنه أبو الجيوش خمارويـه، وهـو لا يزال في العشرين من عمره، فسـكن في قصـر أبيـه، وأنفق ما ادخر والده من أمـوال على ملذاته ومسراتـه، وكـذا مـا كان يأتيه من الخراج بعـد أن عكف على كل ألوان المتعة والمسرة[٢٥]، وكان من ضمن ما أنفق عليه الأموال الطائلة التدابير التي اتخذها لتعديل منشآت القصر وتزيينها، وكان للضـوء أثرٌ مهمٌّ في هذه التدابير، فقد أمر خمارويه بكسـاء جذوع أشجار النخيل المنتصبة في بسـتان القصر بكساء نحاسـي مُذهب حسن الصنعة، ومُدت شـبكة أنابيب رصاصـية خفية تحت الأرض إلى أن وصـلت إلى أرض البسـتان، فتفرعت منهـا أنابيب دخلت بين الكسـاء النحاسـي وأجسـام النخل حتى وصـلت إلى أعلى جذوع الشـجر، فكانت المياه تخرج من هذه الأنابيب على شـكل عيون مـاء فوارة، ثم تنحدر لتسـقط في قنوات محفورة حول الشجر، ومهيأة لاستقبالها.

ذكـر ابن تغـري بَرْدي: «وحمـل إلى هذا البسـتان النَّخْلَ مـن خراسـان وغيرها، وكسـا أجسـام النخل نحاسـاً مذهباً

٢٢) **شاخات**: من شاخه وهي كلمة فارسية تعني غصن الشجرة. **كسرائي**، شاكر، **قاموس فارسي–عربي**، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م، حرف «ش»، مادة «شاخه»، ص٣١١.

٢٣) **الخطيب البغدادي**، **تاريخ مدينة السلام**، مج١، ص٤٢٢.

٢٤) للمزيد راجع:
الشعار، مها، «عجائب هندسية وتقنية من القصر الطولوني»، **مجلة إحياء التراث العلمي العربي**، مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، (العدد الخاص بوقائع المؤتمر الدولي العلمي الثالث (الافتراضي) لتاريخ العلوم عند العرب)، ٢٠٢٠م، ص ص ٥٦٩–٥٨٤.

٢٥) **أحمد**، أحمد عبد الرازق، **تاريخ وآثار مصر الإسلامية**، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ص١٠١.

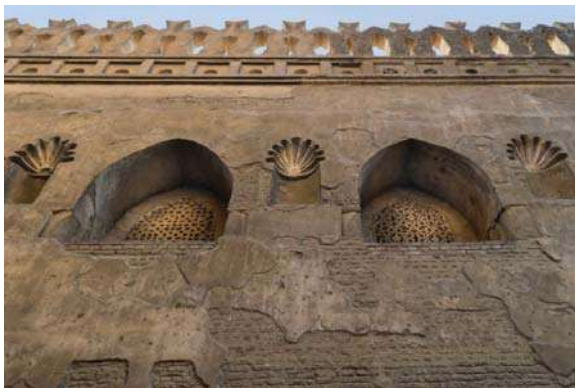

حسن الصنعة، وجعل بين النحاس وأجسام النخل مزاريب الرصاص، وأجرى فيها الماء المدبر، فكان يخرج من تضاعيف قائم النخل عيون الماء فوارة فينحدر إلى فساقي[٢٦] معمولة، ويفيض الماء منها إلى مجارٍ تسقي سائر البستان»[٢٧].

إن ما ذُكر يثير خيالنا ليصور اللوحة الفنية الرائعة التي كانت الطبيعة ترسمها بمساعدة **تقنيي القصر المهرة** في بستان النخيل، فكانت أشعة الشمس تسقط على جذوع الأشجار المكسوة بالنحاس المذهب لتنعكس عنها مارة من خلال فوارات الماء المنسدلة من جذوع الأشجار مشكلة ألواناً وأضواء مبهرة تسر الناظرين.

وما كان القصر ليكتمل دون بركة تزين حديقته، إلا أن بركة حديقة القصر الطولوني كانت مبتكرة لم تذكر المخطوطات العربية أن أحداً عمل مثلها قبل خمارويه، إذ أمر خمارويه بعمل بركة في الحديقة مُلئت بالزئبق بعد أن رُكبت سكك فضية في زواياها، وثُبت فيها حلقات ضخمة من الفضة، ثم أمر بعمل فراش من الجلد، وأمر بنفخه بالهواء حتى يمتلئ بشكل جيد، فيُحكم عندئذ سده، ثم أُلقي هذا الفراش على سطح بركة الزئبق بعد أن شُد من أطرافه بزنانير حريرية مربوطة بإحكام في الحلقات الفضية، فكان خمارويه ينزل فيستلقي عليه ليلاً، فيرتج الفراش ويتحرك الزئبق بحركته حركة لطيفة، وقد استفاد مهندسو القصر من خاصية انعكاس أشعة القمر الفضية عن سطح الزئبق، فهَيَّؤُوا له ليالي مضاءة بأنوار خلابة تنير المكان وتسحر الألباب.

ذكر ابن تغري بَرْدي هذه البركة العجيبة ومشهدها المثير للإعجاب في الليالي المقمرة، فقال: «وطولها خمسون ذراعاً في خمسين ذراعاً عرضاً، وملأها من الزئبق، فأنفق في ذلك أموالاً عظيمة، وجعل في أركان البركة سككاً من فضة، وجعل في السكك زنانير من حرير محكمة الصنعة في حلق من فضة، وعمل فرشاً من أدم يُحشى بالريح حتى ينتفخ فيُحكم حينئذ شده، ويُلقى على تلك البركة الزئبق، ويشد بالزنانير الحرير التي في حلق الفضة المقدم ذكرها، وينزل خمارويه فينام على هذا الفراش، فلا يزال الفرش يرتج ويتحرك بحركة الزئبق ما دام عليه، وكانت هذه البركة من أعظم الهمم الملوكية العالية، وكان يُرى لها في الليالي المقمرة منظر عجيب إذا تألف نور القمر بنور الزئبق»[٢٨].

وهكذا نجد أن مهندسي قصر خمارويه استفادوا من خاصية انعكاس الأشعة الضوئية، فهيَّؤُوا له ليالي مضاءة بأنوار خلابة ناتجة عن انعكاس أشعة ضوء القمر الساقطة على سطح بحيرة الزئبق.

رابعاً–قصر الخلافة في الزهراء[٢٩]:

يقع قصر الخلافة في مدينة الزهراء الأندلسية التي بناها الخليفة عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الله الملقب بالناصر (تولى الحكم ٣٠٠هـ / ٩١٢م) «تحت جبل العروس من قبلة الجبل وشمال قرطبة، وبينها وبين قرطبة ثلاثة أميال أو نحو ذلك، وأتقن الصنعة فيها،

---

٢٦) **فساقي:** جمع فسقية، وهي حوض من الرخام ونحوه مستدير الشكل غالباً في وسطه نافورة تمج الماء فيه.
رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية. مادة «فسقية»، ص٢١٤.

٢٧) **ابن تغري بَرْدي**، جمال الدين يوسف، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م، ج٣، ص ص٥٣–٥٤.

٢٨) **ابن تغري بَرْدي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة.** ج٣، ص٥٥.

٢٩) للمزيد راجع:
الشعار، مها، «استعمال المواد الثمينة في تزيين القصور العربية–نماذج مختارة–»، **مجلة بحوث جامعة حلب–سلسلة تاريخ العلوم عند العرب**، جامعة حلب، حلب، سورية، العدد ١٦، ٢٠٢٠م، ص ص ١–٢٩.

وجعلها مستنزهاً ومسكناً»[٣٠]، وقد وصفت بأنها من عجائب أبنية الدنيا. وكان قصر الخلافة من أوائل ما بُني في مدينة الزهراء، وكان «عدة الدور التي بقصرها الزهراء أربعمئة دار، وذلك لسكنى السلطان وحاشيته وأهل بيته، وعدد حماماتها ثلاثمئة حمام»[٣١]، وتذكر المصادر أن الخليفة عبد الرحمن الناصر بنى في مدينته الجديدة قصراً «منيف الذرا، لم يدخر وسعاً في تنميقه وزخرفته، حتى غدا تحفة رائعة الفخامة والجلال، تحف به رياض وجنان ساحرة، وسُمي بقصر الخلافة»[٣٢].

ضم القصر مجلسين رئيسين، وما يهمنا هنا هو **المجلس الغربي (مجلس الخلافة)** الذي كان عبارة عن دمج كامل بين مواد البناء الثمينة والضوء مما أعطى تناغماً رائعاً، فكان مجلساً من النور والضياء حتى إنه سُمي بالمجلس البديع أو مجلس الذهب[٣٣] أيضاً، فقد أمر الناصر ببناء جدران المجلس وسقفه من قراميد من الذهب والفضة، «وكانت قرامد هذا القصر من الذهب والفضة»[٣٤] والرخام الملون والبلور الصافي، وكساء أرضيته بالرخام الملون الصافي، «وكان سمكه[٣٥] من الذهب والرخام الغليظ في جرمه، الصافي لونه، المتلونة أجناسه، وكانت حيطان المجلس مثل ذلك»[٣٦].

٣٠) **المقري** أحمد بن محمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، ج١، ص٥٢٣.

٣١) **ابن عِذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ومراجعة ج. س. كولان و إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت– لبنان، ط٣، ١٩٨٣م، ج٢، ص٢٣٣.

٣٢) **عنان** محمد عبد الله، **دولة الإسلام في الأندلس**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، القسم الأول، ص٤٣٧.

٣٣) **سالم** السيد عبد العزيز، **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٧م، ج١، ص٢٤٠

٣٤) **المقري**، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ج١، ص٥٢٧.

٣٥) **السمك**: من السمِّاك، ج سُمُك، وما «سُمك» به الشيء، أي رُفع، وكل ما سُمك كالسقف.
مسعود، جبران، **الرائد**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٧، ١٩٩٢، حرف السين، مادة «السماك»، ص ٤٤٩.

٣٦) **المقري**، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ج١، ص٥٢٧.

ويبدو أن المجلس كان في موضع بارز بعيد عن أي مبنى آخر، لا يتصل به أي مبنى آخر، وذلك لغاية في نفس الناصر، إذ جعل في كل جانب من المجلس ثمانية أبواب، فحين كانت أشعة الشمس تسقط على أحد جوانب المجلس تفتح الأبواب الموجودة في هذا الجانب، فتدخل أشعة الشمس من الأبواب لتسقط على الحيطان والأرضية الصقيلة الذهبية والرخامية، فتنعكس عنها محدثة لمعاناً شديداً كلمعان البرق يخطف الأبصار، «وكان في كل جانب من هذا المجلس ثمانية أبواب قد انعقدت على حنايا من العاج والأبنوس المرصع بالذهب وأصناف الجواهر، قامت على سوارٍ من الرخام الملون والبلور الصافي، وكانت الشمس تدخل على تلك الأبواب فيضرب شعاعها في صدر المجلس وحيطانه، فيصير من ذلك نور يأخذ بالأبصار»[٣٧].

ولم يكتف الناصر بكل ما فعله سابقاً في المجلس، بل رغب بالمزيد من الفخامة والعظمة، فأمر ببناء قبة من القرميد المغشى بالذهب والفضة لتليق بجدران وسقف المجلس الفخمة، فذُكر أن الناصر اتخذ لسطح القبة «التي كانت مائلة على الصرح الممرد المشهور شأنه بقصر الزهراء قراميد مغشاة ذهباً وفضة أنفق عليها مالاً جسيماً، وقرمد سقفها به، وجعل سُقُفها صفراء فاقعة، إلى بيضاء ناصعة تستلب الأبصار بأشعة نورها»[٣٨].

وتذكر المصادر أن الناصر شُغف بالبناء، وانشغل بتنسيق قصره لدرجة أثارت سخط الفقهاء في قرطبة عليه، وبالذات القاضي منذر بن سعيد البلوطي، فلمَّا شرع الناصر في بناء مدينة الزهراء، بالغ في الاهتمام ببنيانها، وبعد انتهاء بناء القبة «جلس فيها إثر تمامها يوماً لأهل مملكته»[٣٩]، وقد جمع رجال دولته ووزرائه وقرابته، وأخذ يتباهى بما صنعه فيها من التأنق والزخرفة، فقال: «هل رأيتم أو سمعتم ملكاً كان قبلي فعل مثل هذا أو قدر عليه؟ قالوا: لا والله يا أمير المؤمنين، وإنك لأوحد في شأنك كله، وما سبقك في مبتدعاتك هذه ملك رأيناه، ولا انتهى إلينا خبره، فأبهجه قولهم، وسره»[٤٠]، ولكن دخول القاضي منذر بن سعيد البلوطي وسماعه المديح دفعه لأن يعظ الخليفة ويذكره بأن عمله هذا يجعله بمنازل الكفار، «ودخل عليه في قبة قد جعل قرمدها من ذهب وفضة، واحتفل فيها احتفالاً ظناً أن أحداً من الملوك لم يصل إليه»[٤١]، فوجم الأمير بعد سماعه تأنيب القاضي، وبكى من خشية الله، ثم أمر بنقض سقف القبة، وأعاد قرميدها تراباً[٤٢].

ويبدو أن الناصر قد وصله خبر بركة خمارويه الزئبقية، فأحب أن يبنيَ مثيلاً لها لكن مع اختلاف الغاية منها، فقد ذُكر أن الناصر تلقى حوضاً هدية من ملك القسطنطينية، وكان الحوض عظيم الحجم، مذهباً، منقوشاً، غريب الشكل، غالي الثمن، «وأما الحوض المنقوش المذهب، الغريب الشكل، الغالي القيمة، فجلبه إليه أحمد اليوناني من القسطنطينية»[٤٣]، فقرر وضعه في وسط مجلس الخلافة، «وجعلت في وسطه اليتيمة التي أتحف الناصر بها أليون ملك القسطنطينية»[٤٤]، وأمر بملئه بالزئبق، «وأنشأ وسطه صهريجًا عظيمًا مملوءاً بالزئبق».

وهنا نتعرف الغاية من حوض الزئبق هذا في وسط مجلس الخلافة، إذ كان الناصر كلما «أراد أن يُفزع أحداً من أهل مجلسه أومأ إلى أحد صقالبته[٤٥]، فيُحرك ذلك الزئبق فيظهر في المجلس كلمعان البرق من النور،

٣٧) **المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ج١، ص٥٢٧.
٣٨) **المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ج١، ص٥٧٤.
٣٩) **المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ج١، ص٥٧٤.
٤٠) **المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ج١، ص٥٧٤.
٤١) **المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ج١، ص٥٧٥.
٤٢) **المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ج١، ص٥٧٤.
٤٣) **المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ج١، ص٥٦٨.
٤٤) **المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ج١، ص٥٢٧.
٤٥) **الصقالبة**: كلمة كانت تطلق في الأندلس على الأسرى والخصيان من الأجناس الصقلبية (السلافية) الحقيقية، ثم باتت تطلق بمضي الزمن على جميع الأجانب الذين يعملون في البطانة والقصر.
عنان، دولة الإسلام في الأندلس، القسم الأول، ص٤٥٠.

ويأخذ بمجامع القلوب، حتى يُخيل لكل من في المجلس أن المحل قد طار بهم، ما دام الزئبق يتحرك، وقيل: إن هذا المجلس كان يدور ويستقبل الشمس، وقيل: كان ثابتاً على صفة هذا الصهريج، وهذا المجلس لم يتقدم لأحد بناؤه في الجاهلية ولا في الإسلام، وإنما تهيأ له لكثرة الزئبق عندهم»[٤٦]، لذا قيل عن قصر الخليفة الناصر: إنه «ولو لم يكن فيه إلا السطح المرَّد المُشرف على الروضة المُباهي بمجلس الذهب والقبة وعجيب ما تضمنه من إتقان الصنعة وفخامة الهمة وحسن المستشرف وبراعة المجلس والحلة ما بين مرمر مسنون، وذهب موضون، وعَمد كأنما أفرغت في القوالب، ونقوش كالرياض، وبرك عظيمة محكمة الصنعة، وحياض وتماثيل عجيبة الأشخاص لا تهتدي الأوهام إلى سبيل استقصاء التعبير عنها»[٤٧].

وهكذا أفاد مهندسو مجلس الخلافة من تطبيقات علم الضوء العملية، فصمموا إنارة المجلس بشكل رائع ومبهر للأبصار، كما حققوا للخليفة أمنيته في إخافة من يعصيه، فجعلوا أشعة الشمس المنعكسة عن سطح بركة الزئبق أكبر عقاب لمعارضي الخليفة حتى كان الجالس يظن أن مجلس الخليفة مثبت على آلة تجعله يدور حول نفسه متتبعاً الشمس في حركتها، وذلك لشدة تلألؤ الأضواء.

أخيراً

نجد مما سبق أن مهندسي القصور وحرفييها التي تحدثنا عنها كانوا ذوي خبرة ودراية عملية بفيزياء علم الضوء، وكانت آلية انكسار الضوء وانعكاسه واضحة في أذهانهم، فسخروا علمهم لتدبير الضوء واستخدامه بشكل أذهل كل من شاهد أعمالهم، فحققوا رغبة باني القصر في التميز والانفراد.

٤٦ المقري، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ج١، ص٥٢٧.

٤٧) المقري، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ج١، ص٥٦٦.

المصادر والمراجع

- **ابن البيطار**، ضياء الدين عبد الله بن أحمد الأندلسي (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨ م)، **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**. مكتبة المثنى، بغداد.
- **ابن تغري بَرْدي**، جمال الدين يوسف، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م.
- **ابن عِذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ومراجعة ج. س. كولان و إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت– لبنان، ط٣، ١٩٨٣م.
- **ابن كثير**، إسماعيل بن عمر (٧٠١–٧٧٤هـ)، **البداية والنهاية**، اعتنى به حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، لبنان، ٢٠٠٤م.
- **ابن المجاور**، جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب ابن محمد (ت٦٩٠هـ)، **تأريخ المستبصر**، راجعه ووضع هوامشه ممدوح حسن محمد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٦م.
- **أحمد**، أحمد عبد الرازق، **تاريخ وآثار مصر الإسلامية**، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- **الجوهري**، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت٣٩٢هـ)، **الصحاح**، راجعه واعتنى به محمد محمد تامر، أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.
- **الخطيب البغدادي**، أحمد بن علي بن ثابت، **تاريخ مدينة السلام (تاريخ بغداد)**، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
- **رزق**، عاصم محمد، **معجم مصطلحات العمارة**

والفنون الإسلامية. مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.

- **سالم**، السيد عبد العزيز، **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٧م.

- **الشعار**، مها، «استعمال المواد الثمينة في تزيين القصور العربية-نماذج مختارة-»، **مجلة بحوث جامعة حلب-سلسلة تاريخ العلوم عند العرب**، جامعة حلب، حلب، سورية، العدد ١٦، ٢٠٢٠م، ص ص ١-٢٩.

- **الشعار**، مها، «الشبكات المائية في حدائق القصور العربية التاريخية»، **مجلة المخطوط العربي**، والهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، سورية، النصف الأول ٢٠٢٣م، العدد ٥، ص ص٣٣- ٤٧.

- **الشعار**، مها، «عجائب في قصر التاج العباسي»، **مجلة التراث العلمي العربي**، مركز إحياء التراث العلمي العربي-جامعة بغداد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد العراق، العدد ٤٣، (ت١-ت٢-ك ١) ٢٠١٩م، ص ص٢١٥-٢٤٦.

- **الشعار**، مها، «عجائب قصر غمدان»، **مجلة بحوث جامعة حلب -سلسلة تاريخ العلوم عند العرب**، جامعة حلب، حلب، سورية، العدد ١٤، ٢٠١٩م، ص ص٨٩-١٠٨.

- **الشعار**، مها، ««عجائب هندسية وتقنية من القصر الطولوني»، **مجلة إحياء التراث العلمي العربي**، مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، (العدد الخاص بوقائع المؤتمر الدولي العلمي الثالث (الافتراضي) لتاريخ العلوم عند العرب)، ٢٠٢٠م، ص ص ٥٦٩-٥٨٤.

- **عنان** محمد عبد الله، **دولة الإسلام في الأندلس**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

- **فاخوري**، محمود **وخوام**، صلاح الدين، **موسوعة وحدات القياس العربية الإسلامية**، مكتبة لبنان، ٢٠٠١م.

- **الفيروز آبادي**، مجد الدين محمد بن يعقوب **(ت٨١٧هـ)، القاموس المحيط**، راجعه واعتنى به أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

- **القزويني**، زكريا بن محمد بن محمود، دون تاريخ، **آثار البلاد وتاريخ العباد**. دار صادر، بيروت.

- **كسرائي**، شاكر، **قاموس فارسي- عربي**، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م.

- **مأمون**، جيهان ممدوح، **تنيس**، تقديم أحمد عبد الرزاق أحمد، سلسلة مدن مصرية، نهضة مصر للطباعة والنشر.

- **مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط٤، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

- **مسعود**، جبران، **الرائد**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٧، ١٩٩٢.

- **المقري** أحمد بن محمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.

- **الهمداني**، أبو محمد الحسن، **الإكليل**، حرره وعلق حواشيه نبيه أمين فارس، دار العودة، بيروت ودار الكلمة، صنعاء.

- **ياقوت الحموي**، شهاب الدين، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.

المراجع الإلكترونية:

- **كامل**، هبة، **فوائد شحم النخل**،
http://mawdoo3.com

- **ويكيبيديا الموسوعة الحرة**، مادة «قصر غمدان»،
https://ar.wikipedia.org

حجر الألماس ثروة وتراث

د. بثينـــــــة جلخـــــي(*)

مقدمة:

حَظِيَت الأحجار الكريمة بمكانة عند شعوب الحضارات القديمة، فقد اعتقدوا أنها وسيلة مهمة حاولـوا من خلالها جـذب انتباه معبوداتهم، فكلما زاد عدد الأحجـار الكريمة التي يرتدونها، زادت جاذبية المعبودات لهم، كما اعتقدوا بالقوة الروحية لتلك الأحجار، فاختاروا لكل واحد منها وظيفة، جعلـوا منها تميمةً تربطها بتعويذة، وبعضـهم نسـب إليهـا قدرات خارقة في الشـفاء من الأمراض النفسـية والجسـدية، ومنها ما يطيل الحياة، ويبدد الخوف والقلق، ويشـل تأثير العيون المؤذية، ويحرك الشـبق، ويجعل العاقر تلد، والمريض يشـفى، والثعابين تنهزم، والجن تختفي، والأحلام السيئة تزول، والأمطار تهطل... وغيرها من الاعتقادات.

(*) أُستاذة في معهد التُّراث العلميّ العربيّ – جامعة حلب.

وخير مثال على ذلك الحضارة المصرية القديمة، فقد كان الفراعنة يرتدون المجوهرات دائمًا لإظهار أنهم في أعلى سلطة، ووثقوا تاريخهم على جدران الكثير من المعابد الفرعونية، ومن بينها جدران مقابر الملوك، والكنوز التي تنوعت بين تماثيل ومقتنيات كانت غالبيتها مصنعة من الذهب الخالص وبعض الأحجار الكريمة التي كان المصريون القدماء يقدسونها في بعض الأحيان، وقد تزينوا بالقلائد والأساور وأطواق العنق والمعلقات والأقراط وشارات الذراع والخواتم والتمائم. وارتداء المجوهرات لم يكن للزينة فقط، بل لأنهم آمنوا بقواها السحرية، فهي تجلب لهم الحظ السعيد، وتحميهم من الأمراض والأرواح الشريرة، سواء في حياتهم أم مماتهم، لذلك دُفن أفراد العائلة المالكة والنبلاء مع مجوهراتهم.

وكان **للألماس** مكانة كبيرة مهمّة، فهو برأيهم يحتوي على خصائص سحرية أسطورية وخرافية وخيالية وعلاجية، لأن ظاهرة التفسفر في بعض أنواع الألماس يعطيه القدرة على التوهج ليلاً، الذي كان في الماضي دليلاً على قوة الحجر الخارقة، لذلك اعتقد القدماء أن الألماس يهدئ الأمراض العقلية، ويحمي من النوبات الشيطانية ومن الأرواح الشريرة.

وقد وثقت كتب التاريخ عدداً من عشاق الحلى والأحجار الكريمة، **مثل** كليوباترا ملكة مصر المشهورة بولعها بالأحجار الكريمة، وملكة تدمر زنوبيا المشهورة باهتمامها بالأحجار الكريمة التي كانت تزيدها جمالاً وهيبةً، وتدل المنحوتات التدمرية على مدى شغف حِسان تدمر بالجواهر والأحجار الكريمة، والحلى الجميلة المرصعة بها، وفي المتحف الوطني بدمشق منحوتة تدمرية من حجر الجير تمثل سيدة تدمرية وقربها خادمتها تحمل لها صندوق الجواهر. وإن لوحة فسيفساء الإمبراطورة البيزنطية السورية تيودورا في كنيسة سان فيتال في مدينة رافينا الإيطالية تمثل هذه الإمبراطورة الجميلة في أجمل زينة لها باللآلئ والجواهر والأحجار الكريمة[1].

الأحجار الكريمة في الحضارة اليونانية أنموذجاً

يُعد العلماء اليونان أول من صنفوا الأحجار الكريمة ودرسوها دراسة علمية، منهم ديسقوريدس، وثيوفراستوس، و أرسطوطاليس، وبالياس الحكيم، وتُعد دراسات ثيوفراستوس (٣٧٢-٢٨٧ق.م) و بالياس الحكيم (ت نحو ١٩٩م) بمنزلة دليل مفيد لكل باحث في موضوع الجواهر والأحجار الكريمة، فقد ذكر جورج سارتون أن ثيوفراست ألف كتاباً عن الأحجار عُدّ أقدم رسالة علمية تصف خواص الصخور ومصادرها وفوائدها، وقد خصص ربعه للجواهر والأحجار الكريمة (عجائب عالم الجماد)، وقد وصفها، وأوضح خواصها الطبيعية كالثقل واللون والشفافية والبريق والقابلية للكسر والانصهار، وأماكنها وأثمانها[2].

أما بالياس الحكيم صاحب كتاب «سر الخليقة وصنعة الطبيعة» ويسمى أيضاً كتاب العلل، فبدأ مقالته الثالثة بالقول في المعادن والنبات والحيوان، وفسّر فيه طريقة تكوّن الأحجار والأجساد في معادنها، واعتبر عدد المعادن على الأرض ٣٦٦ معدناً، وهي مطابقة لعدد درج الفلك، فقد كان يذكر المعدن ثم أحجار مجموعته، فمثلاً: **الحديد** وأحجار مجموعته، هي: اللؤلؤ، والياقوت، والزمرد، والألماس.

كما خصص فصلاً لكينونة الحجارة، شرح في مقدمته أنّ للحجارة أنواعاً عديدة وألواناً مختلفة كالأحمر والأبيض والأصفر والأخضر، وتكلّم على صفات الأحجار فقال: «منها صافية ومنها كدرة، ومنها صلبة شديدة، ومنها رخوة متكسرة، ومنها ما يذوب في النار ومنها ما لا يذوب، ومنها يتكلس ومنها ما لا يتكلس».

وبيّن أنّ أصل هذه الأحجار مهما اختلفت صفاتها هو التراب والماء، وأنّ سبب تعدد أنواعها هو الزيادة والنقصان في تكوينها والعوامل الجوية المؤثرة فيها كالشمس والرياح.

وتناول موضوع تغير الألوان ضمن الحجر الواحد،

١) زهدي بشير، الأحجار الكريمة في العصور الكلاسيكية، ص٢٢٧.

٢) المرجع السابق، ص٢٢٧.

فقال: «كل حجر متغير اللون فإنّما تغير لونه على قدر ما أصابه من الحرارة الفاعلة المحدثة للألوان، فعلى قدر تسخينها الشيء وقبول الشيء لها تكون الألوان مختلفة»[٣].

الأحجار الكريمة في الإسلام

كان لبريق بعض أنواع الأحجار الكريمة أثر خلاب في اهتمام العرب بها، وقد امتلأت قصور حكامهم وأمرائهم بشتى أنواع اللآلئ والمجوهرات، ففي الدولة الأموية ونتيجة الفتوحات والتوسعات التي قامت بها تدفقت الأموال والغنائم من الأمصار المفتوحة، فعم الرخاء وزاد الترف، ومال الخلفاء تدريجياً إلى الإسراف والتبذير في مظاهر حياتهم العامة، فصاروا يتفننون هم وأزواجهم وأبناؤهم في اقتناء الجواهر والأحجار الكريمة واستخدامها في زينتهم، وفي أواني طعامهم وأدواته، فزاد الإقبال على شرائها والإفراط في استخدامها والتباهي والتنافس في الحصول عليها.

ويذكر ابن الزبير أن معاوية بن أبي سفيان (٤١-٦٠هـ / ٦٦١-٦٧٩م) أهدى إلى السيدة عائشة (ت ٥٧هـ / ٦٧٦م) رضي الله عنها حلقاً من ذهب فيه جوهر بمئة ألف درهم، فقسمته بين أزواج النبي، بل إن الوليد بن يزيد (١٢٥-١٢٦هـ) كان يتخذ الجواهر كثياب يغيرها يومياً، ويغالي في اقتنائها.

ويذكر أن سوق الجواهر والأحجار الكريمة قد بلغ الأوج أيام العباسيين، ولا سيَّما في خلافة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ / ٧٨٦-٨٠٩م)، وهو من أكثر الخلفاء العباسيين ولعاً بالجواهر والأحجار الكريمة، فقد قدر سعر خاتمه المعروف بالإسماعيلي والمصنوع من زمردة حمراء ويزن ثلاثة مثاقيل إلا دانقاً بمليون دينار، واشترى الرشيد الدرة اليتيمة التي لا يوجد لها مثيل في الدنيا بتسعين ألف دينار حملها إليه من عمان التاجر مسلم بن عبد الله العراقي، أما زبيدة زوج الخليفة وابنة عمه فلم تكن تقتني من أدوات المائدة ما هو مصنوع من الذهب والفضة المرصع بالجواهر، وكانت تضع الطراز للأزياء بين النساء المترفات، وهي أول من اتخذ الخفاف المرصعة بالجواهر، فتشبهت نساء الطبقة الراقية بها.

كما أُنفق كثير من الجواهر والأحجار الكريمة عند زواج المأمون ببوران بنت وزيره الحسن بن سهل، فقد أهداها ليلة زفافها ألف جوهرة من ياقوت، ووقف العروسان على حصير منسوج من ذهب مرصع بالدر والياقوت، وجيء بصينية من ذهب، فيها درر كبار، نثرها المأمون على النساء، وعندما جاء المأمون إلى عروسه في الليلة الثانية نثرت عليه جدتها ألف درة.

ومن أروع نماذج النفائس والذخائر التي كان يملكها الخليفة المتوكل على الله (٢٣٢-٢٤٧هـ / ٨٤٦-٨٦١م) سبحة فيها مئة حبّة، وزن كل حبّة مثقال، وقيمة كل حبة ألف دينار.

وجارى الفاطميون العباسيين بالترف، فكان لهم دور لخزن الجواهر، ومما كان في خزانة المستنصر بالله (٤٢٧-٤٨٧هـ / ١٠٣٦-١٠٩٤م) طاووس من ذهب، مرصع بالجواهر، عيناه من ياقوت أحمر، وغزال نظم برائع الدر ونفيسه، ونخلة من ذهب مكللة بجوهر.

كذلك فعل ملوك الأندلس، فقد كان مصحف عثمان في مسجد قرطبة مرصعاً بالجوهر، وكان المعتمد بن عباد من ملوك الطوائف في إشبيليا (٤٦١-٤٨٤هـ / ١٠٦٨-١٠٩١م) يضع في مجلسه تماثيل العنبر، في عدادها جمل من بلور، له عينان من ياقوت، محلى بنفائس الدر، وآخر مرصع بالذهب واللؤلؤ.[٤]

المؤلفات العربية في علم الجواهر والأحجار الكريمة

ترجمت المؤلفات اليونانية إلى اللغة العربية في عصر الترجمة والنقل، وكانت موضع اهتمام العلماء العرب، فقد درسوها ومحصوها وشرحوها، وتناولها بالبحث

٣) باليناس الحكيم، **سر الخليقة وصنعة الطبيعة (كتاب العلل)**، ص٢٢٣-٣٠٨.
قنواتي جورج، « **الخيمياء العربية**» ضمن **موسوعة تاريخ العلوم العربية**، (بتصرف) ص١٠٩٤.

٤) أبو سكة ميشلين، **الأحجار الكريمة في العصر الإسلامي**، ص٢٢٩.

الكيميائيون والجغرافيون والأطباء، لذلك نجد في تراثنا العربي كثيراً من المخطوطات التي تحدثت عن تلك الأحجار وخصائصها، مثل كتاب «منافع الأحجار» لمحمد بن عطارد البغدادي (نحو ٨٥هـ)[٥] ، و كتابي «الأحجار» و«الجواهر الكبير» لجابر بن حيان (ت٢٠٠هـ)[٦] ، وكتاب «الجواهر وصفاتها» ليوحنا بن ماسويه (ت٢٤٣هـ)[٧]، و «رسالة في أنواع الجواهر الثمينة» للكندي (نحو ٢٦٠هـ)[٨]، وكتاب «خواص الأحجار» لحُنيْن بن إسحق (ت٢٦٠هـ)[٩] ، وكتابي «الخواص» و«علل المعادن» لأبي بكر الرازي(ت٣١٣هـ)[١٠] ، و«الجماهر في معرفة الجواهر» للبيروني (٤٤٠هـ)[١١]، و«أزهار الأفكار في جواهر الأحجار» للتيفاشي (ت٦٥١هـ)[١٢]، وكتاب «كنز التجار في معرفة الأحجار» للقبجاقي(ت٦٨١هـ)، وكتاب «نخب الذخائر في أحوال الجواهر» لابن الأكفاني(ت٧٤٩هـ)، وكتاب «سر الأسرار في معرفة الجواهر والأحجار» لابن الشماع الحلبي(ت٩٣٦هـ).

ومن يبحث في المؤلفات المذكورة يتضح له أن معظم العلماء استقوا معلوماتهم ممن سبقهم، ونقل بعضهم عن بعض، واقتبسوا فقرات كثيرة، منهم من أشار إلى ذلك ملتزماً الأمانة العلمية، ومنهم من لم يشر، وسأوضح ذلك من خلال البحث.

وعلى الأغلب يعد كتاب ابن ماسويه في «الجواهر وصفاتها» وثيقة في غاية الأهمية تكشف لنا بداية اشتغال العرب في هذا العلم وتصنيفهم فيه، إضافة إلى ما ينفرد به من معلومات حضارية قيّمة، يقول الدكتور عماد عبد السلام رؤوف: «واقتصر في منهجه (يقصد ابن ماسويه) على معلوماته الشخصية، وتجاربه العلمية، وملاحظاته المباشرة، وهو ما يدل بلا شك على ثقته الشديدة بنفسه وعلمه، تلك الثقة التي لم تتوفر للكتّاب المتأخرين أمثال التيفاشي، وابن الأكفاني، الذين دأبوا على نقل ما وجدوه في كتب الأقدمين في أغلب الأحيان»[١٣].

تصنيف الألماس في مجموعة الأحجار الكريمة

ذكر الكندي: «الجوهر ينقسم إلى قسمين، أحدهما من الحيوان وآخر أرضي، والأرضي ينقسم إلى قسمين أولين، أحدهما المشف وآخر غير مشف، فالذي ليس بمشف ينقسم قسمين: إما ألَّا يشف في كله، وإما ألَّا يشف في بعضه ... ، فأما الحيواني منه فهو الدر، وهو ما عظم منه، واللؤلؤ وهو ما صغر منه ...، وأما قسم الأرضي المشف فمنه الثمين وغير الثمين، والثمين منه نوعان القاطع وهو **الماس**، والآخر المقطوع وهو نوعان أحدهما الياقوت والآخر الزمرد»[١٤].

وصنّف طاشكبري زاده علم الجواهر ضمن العلوم الطبيعية، فقال: «**علم الجواهر**: هو علم باحث عن كيفية الجواهر المعدنية البرية **كالألماس** واللعل والياقوت والفيروزج، والبحرية كالدر والمرجان وغير ذلك، ومعرفة جيدها من رديئها بعلامات تختصُّ بكل نوع منها، ومعرفة خواص كل منها. وغايته وغرضه لا يخفى على إنسان، والتصانيف فيها كثيرة وشهيرة»[١٥].

ويقول شهاب الدين العمري: «إن الأحجار منها ما هو صلب لا يذوب بالنار، ولا تعمل فيه الفؤوس، كأصناف اليواقيت، ومنها ما هو تراب رخو يذوب في الماء كالأملاح و الزّاجات، ومنها ما هو نبات كالمرجان، ومنها ما يخرج من الحيوان كالدّر واللآلئ، ومنها ما يتولد في الهواء كأحجار الصواعق، ومنها ما ينعقد في الأرض بواسطة الماء للعلل المذكورة أولاً، ومنها ما هو مصنوع كإقليميا

٥) الزركلي خير الدين الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، **الأعلام**، ٦ / ٣١٩.
٦) المصدر السابق، ٢ / ١٠٣
٧) المصدر السابق، ٨ / ٢١١.
٨) المصدر السابق، ٨ / ١٩٥
٩) المصدر السابق، ٢ / ٢٨٧
١٠) المصدر السابق، ٦ / ١٣٠
١١) المصدر السابق، ٥ / ٣١٤
١٢) المصدر السابق، ١ / ٢٧٣

١٣) يوحنا بن ماسويه، **الجواهر وصفاتها**، ص١٣ و١٦.
١٤) ابن الأكفاني، محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري، **نخب الذخائر في أحوال الجواهر**، ص٩٥.
١٥) طاشكبري زاده، أحمد بن مصطفى، **مفتاح السعادة ومصباح السيادة**، ١ / ٣٠٩.

الذهب والفضة والزنجفر والزنجار، ومنها ما بينهما ألفة كالذهب **والماس**»[١٦].

الألماس

كلمة diamond مشتقة من الكلمة اليونانية القديمة adams، وتعني الصلابة ومحال التطويع لصلابته، وإذا ما أردنا تتبع أثر الكلمة اليونانية فإن أصلها جاء من اللغات الشرقية القديمة، ومن ثم أدخلت إلى اليونانية ثمَّ اللاتينية، لكن المعنى اليوناني هو الذي ترك أثره في علوم الأحجار والجيولوجيا المعاصرة. وفي معظم اللغات الحديثة تُرجمت الكلمة اليونانية أدامو بمعنى أداماس، وهناك عدة ترجمات للكلمة التي جاءت كنعت وصفي من اللغة اليونانية إلى اللغة الإنجليزية، واستقر المعنى لكلمة أداماس اليونانية لوصف أقسى معدن عرفه الإنسان.

ويقال أيضاً: إنَّ قبائل العرب البدو الرحل البدائية في إفريقيا والشرق الأوسط قد استعملوا كلمة أداماس أو الألماس، وكانت تُلفظ (الألماظ أو الألماذ)، ومفردها ألماظة بحسب اللهجة الدارجة في تلك المناطق، فلمَّا وسعوا تجارتهم فيما بينهم وبين الهند وأوروبا استعملوا هذه الأحجار النادرة الوجود للوساطة المالية أو للتبادل التجاري، كأول عملة مادية عرفها العالم، وجرى التداول بالألماس كعملة في شرق الهند[١٧].

الألماس في الدّلالتين اللغويّة والعلميّة:

في الدّلالة اللغويّة:

اهتمت المعاجم اللغوية بتعريف الألماس وماهيته، ونعرض هنا بعض النصوص، فقد ذكر الفيروز آبادي: «والماس: حجر متقوم أعظم ما يكون كالجوزة نادراً، يكسر جميع الأجساد الحجرية، وإمساكه في الفم يكسر الأسنان، ولا تعمل فيه النار والحديد، وإنما يكسره الرصاص، ويسحقه، فيؤخذ على المثاقب، ويثقب به الدر وغيره. ولا نقل ألماس، فإنه لحن»[١٨].

وذكر **الزبيدي**: « والماس: حجر متقوم أي ذو قيمة، وهو يعد مع الجواهر كالزمرد والياقوت، أعظم ما يكون كالجوزة أو بيضة الحمام نادراً، لا يوجد إلا ما كان من الكوكب الدري المعلق بين يديه صلى الله عليه وسلم، الذي أهداه بعض الملوك، فإنهم قد حكوا أنه قدر بيضة اليمام، والله تعالى أعلم، وفي حديث مطرف: جاء الهدهد بالماس فألقاه على الزجاجة ففلقها، ومن خواصه أنه يكسر جميع الأجساد الحجرية، وإمساكه في الفم يكسر الأسنان، ولا تعمل فيه النار والحديد، وإنما يكسره الرصاص، ويسحقه، فيؤخذ عل المثاقب، ويثقب به الدر وغيره، وتفصيله في كتاب الجواهر والمعادن للتيفاشي وتذكرة داوود الحكيم وغيرهما، ولا تقل: ألماس أي بقطع الهمزة فإنه من لحن العامة، كما صرح به الصاغاني وغيره، وقال ابن الأثير: وأظن الهمزة واللام فيه أصليتين، مثلهما في إلْياس قال: وليست بعربية، فإن كان كذلك فبابه الهمزة، لقولهم فيه: الأَلْماسُ، قال: وإن كانتا للتعريف فهذا موضعه»[١٩].

وفي لسان العرب لابن منظور «المَاسُ حجر معروف يُثْقَبُ به الجوهر ويقطع وينقش. وقال ابن الأثير: وأظن الهمزة واللام فيه أصليتين، مثلهما في إلْياس قال: وليست بعربية، فإن كان كذلك فبابه الهمزة، لقولهم فيه: الأَلْماسُ، قال: وإن كانتا للتعريف فهذا موضعه»[٢٠].

وفي المعجم الوسيط «الألماس حجر شفاف شديد اللمعان ذو ألوان، وهو أعظم الحجارة النفيسة قيمة، وأشد الأجسام صلابة، يؤثر في جميعها، ولا يؤثر فيها أي جسم»[٢١].

أمّا في الدّلالة العلميّة: (C)Diamond "فالماس" أحد أنواع الكربون المتبلور النقي، وهو يتكون من الكربون الخالص الذي لا يحتوي شوائب، وهو خامل كيميائياً.

١٦) العمري، شهاب الدين (المتوفى: ٧٤٩هـ)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار٢٢ / ١٧١.

١٧) https://ar.wikipedia.org/wiki ، مادة الألماس.

١٨) الفيروز آبادي مجد الدين (ت ٨١٧ هـ)، **القاموس المحيط**، ص ٥٧٦.

١٩) الزَّبيديّ محمد مرتضى الحسيني (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ج١٦ ص ٥٢٥-٥٢٦.

٢٠) ابن منظور، **لسان العرب، ٢١٣/٦**

٢١) مجموعة من المؤلفين، **المعجم الوسيط**، ص

جمع ألماسة: ماس، حجر شفَّاف شديد اللَّمعان ذو ألوان، وهو أعظم الحجارة النَّفيسة قيمة، وأشدّ الأجسام صلابة، يؤثِّر في جميعها ولا يؤثّر فيه جسم، لذا تستخدم بعض أنواعه في قطع المعادن[٢٢].

الألماس (تشكله، ماهيته) في النصوص العربية

أجمع العلماء العرب على أن الألماس حجر ذهبي يتشكل من الأجساد غير الذائبة التي تنعقد ليتشكل الألماس، إلا أن هناك بعض العوامل التي عاقت تشكله كالحرارة والملوحة، فالحرارة نشفت الماء منه، وباشتدادها اشتدت ملوحته، لذلك أصبح حجراً صلباً يؤثر في جميع الأحجار ولا يؤثر به إلا الأبار[٢٣]، والسبب اجتماع الكبريت في الأبار مع الملح في الماس يؤدي إلى تفتته.

أما الرطوبة المتبقية فيه فهي سبب لونه الأبيض.

قال الكندي: «نعت حجر الماس هذا حجر طبعه البرد المفرط في الجزء الرابع من البرد واليبس، وما أقل ما يُخلع هاتان الطبيعتان من شيء من الأحجار، وفيه خاصيتان إحداهما أنه لا يليق بجسم من الأجسام المتجسدة بكثيره، وإن ألح به على ذلك الجسم كسره وقلعه وذهب بنوره».

وذكر التيفاشي في الباب الثامن من كتابه الأحجار الملوكية التي توجد في خزائن الملوك وذخائر الرؤساء الماس معتمداً على ما جاء عند بالليناس الحكيم بقوله: «**علة تكونه في معدنه**: قال بالليناس: الماس حجر ذهبي، وهو أشبه بالأحجار الذائبة لأنه ليس من الأحجار شيء يسحقه كما يسحق الأحجار بعضها بعضاً، فلذلك شبهته بالأجساد ولا يفسده من الأجساد شيء غير الأبار، فلذلك قلت إنه حجر ذهبي. وأقول إن الماس إنما كان في معدنه وابتدأ خلقته ليكون ذهباً، فلما سخنته الحرارة يبس الماء من الجزء الذي سخنه جداً فصار حجراً، فلما كثرت عليه الحرارة عرض فيه غلظ، فصارت فيه لزوجة لغلظته، وصار أشبه شيء بالزئبق. ويوازن فيما بين رطوبة المعدن ويبسه بلطافة الطباخ ملح فنشفه الماء والريح، فغلظ واشتدت عليه الحرارة فقوي الملح على نشف الحرّ واليبس، واشتدت يبوسته وظهرت على وجه الماس اللزج الذي هو يشبه الزئبق، فانعقد حجراً فأفرط اليبس عليه، وإنما انعقد ليكون ذهباً، فأقعده عن الذهبية انعقاده باليبس والملوحة، فلو انعقد باللين ولم يفرط عليه اليبس والحلاوة مكان الملوحة لكان ذهباً، لكنه إنما انعقد وفيه ملوحة وشدة يبس نقص عن كيان الذهبية، وصار حجراً صلباً، فأكل الأحجار كلها بملوحة طبيعته وشدة يبسه، وإنما صار بتكثير الملوحة فتفتت الملوحة واليبس جسده، وإنما صار لا يفسده شيء غير الأبار لأنه ذهبي، كما أن الأبار يفسد الذهب ويسحقه، وإنما يسحق الأبار الذهب لكثرة تربته، وذلك لاجتماع الكبريت الذي في الأبار مع ملوحة الماس، لأن الملح الذي في الماس إذا أحس برائحة الكبريت تفتت وانسحق، وإنما صار الماس أبيض لانعقاد الرطوبة، ودفع رطوبة الموضع عنه وهج النار، فصار كذلك أبيض، فهذه علة كون الماس»[٢٤].

ونجد القبجاجي في كتابه «كنز التجار في معرفة الأحجار» قد تحدث عن آلية تكون الماس بالتفصيل نقلاً عن بالليناس الحكيم أيضاً، فجاء مطابقاً لما ورد عند التيفاشي[٢٥].

أما القلقشندي فقد عبّر باختصار شديد بقوله: «قال بالليناس في كتاب الأحجار: وابتدأ في معدنه لينعقد ذهباً، فأبعدته العوارض عن ذلك»[٢٦]. وهو يقصد بالعوارض الحرارة والملوحة.

أماكن وجود الألماس واستخراجه

ذكر بعض العلماء نقلاً عن يوحنا بن ماسويه والكندي أن الألماس يوجد بواد في بلاد الهند من الصعب الوصول إليه، وذكر آخرون أنه يوجد في مقدونية واليمن وقبرص ويوجد أيضاً في الصين.

---

٢٢) أسمر، مرسيل، كتاب **سر الأسرار في معرفة الجواهر والأحجار لابن الشماع الحلبي تحقيق ودراسة**، ص٢١.

٢٣) الأبار: الرصاص الأسود. ابن البيطار، **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**، ص٣٣.

٢٤) التيفاشي، أحمد بن يوسف شهاب الدين، **الأحجار الملوكية التي توجد في خزائن الملوك وذخائر الرؤساء**، مخطوط نسخة إلكترونية، مكتبة قطر الرقمية ص ٢٦.

٢٥) القبجاقي، **كنز التجار في معرفة الأحجار**، ص١١٩–١٢٠.

٢٦) القلقشندي، أبو العباس أحمد، **صبح الأعشى**، ص١٠٢.

ويُستخرج بطريقتين: إما تجرفه السيول والرياح مع الياقوت فيُستخرج من الرمال ويُغسل. وإمَّا أَنْ يُلْقى اللحم الطري في الوادي فيلتصق به الألماس، وتتهافت الطيور لالتقاطه وتطير به، فيتساقط الألماس ويُجمع، وحجارته صغيرة جداً على شكل حبيبات.

قال التيفاشي: «**معدنه الذي يتكون فيه:** ويخرج منه كما يخرج الياقوت ويوجد مع الياقوت إذا أخرجته السيول والرياح من معدنه. وقال يوحنا بن ماسويه: الماس يوجد بواد ببلاد الهند لا يصل إلى أسفله أحد من الناس، والماس في أسفله حجارة منثورة ما بين الخردلة إلى الشعيرة، يعمد إلى اللحم الطري فيلقى في ذلك الوادي والنسور تنظر إليه، فتهوي خلفه فتحركه في الأرض لتأكله، فيلتصق به الماس، ثم يتكاثر عليه ويقتتل، فيطير به، فيسقط الماس ويلتقط، وهذه النسور معودة بذلك مرتقبة له»[٢٧].

وقال ابن الشماع الحلبي نقلاً عن ابن الأكفاني: «ومعدن الألماس بالقرب من معادن الياقوت في جزيرة ذات عيون، فيُستخرج من الرمل ويُغسل على هيئة غسل دقاق الذهب المعروف بساوه، فيخرج الرمل من المخروطي، ويرسب الألماس، وتلك المعادن في المملكة المحاذية لسرنديب. وقال أبو العباس النعمان[٢٨]: إنّ معدنه في سكالان قامرون في جبل ترابي يغسل عنه ترابه في السنة التي يكثر فيها البرق، وقال الكندي: إنّه يلقط من حجارة من معادن الياقوت، وقال قوم: بل من معادن الذهب».

وأضاف ابن الشماع: ويقال والله أعلم: إنّه لا يوجد منه حجر كبير، وهو الدليل على أنّه من معدن لا يوصل إليه واصل، ولو وجدت فيه الحجارة الكبار كما توجد في حجارة الياقوت والزمرد وغيرهما من المعادن لَمَا يوجد فيها من الأحجار الكبار، فقد يوجد من الياقوت قطعٌ القطعة يكون فيها خمسون مثقالاً وأكثر من الزمرد، تصب للسكاكين ومقابض للسيوف».

«وهو من واد في بر الصين يوصل إلى موضعه من خراسان، وفي هذا الوادي الدواب المتلفة ما لا يمكن الوصول معها إلى نفس الوادي، وإنما يطلب هذا الحجر من السيول التي تمر بالوادي وتسيل منه، لأنّها إذا عبرت به أخذت منه بقدر قوتها، فيظهر ما يأخذ منه من هو متربص له»[٢٩].

أنواع الألماس

بيّن العلماء العرب أن الألماس من أشد الجواهر صلابة ورزانة، وتختلف جودته تبعاً لأنواعه وألوانه، وهو نوعان: أحدهما أبيض شديد البياض يشبه البلّور يسمّى البلّوري، والثاني يخالط بياضه صفرة فيصير كلون الزّجاج الفرعوني، ويعبّر عنه بالزيتي، وذكر آخرون عدة ألوان ولكن أجود أنواعه الأبيض والأصفر، لأنه بتأثير أشعة الشمس تصدر ألوان قوس قزح الجميلة، وقد استُعمل هذا النوع في الزينة، أما بقية الأنواع فاستعملت في قطع الأحجار.

قال التيفاشي: «الماس نوعان: الزيتي والبلوري، والزيتي أجودها، والبلوري أبيض شديد البياض كلون البلور، والزيتي يخالط بياضه صفرة كلون الزيت، وهو شبيه بلون الزجاج الفرعوني، وأخبرني بعض تجار الجوهريين من العجم المترددين إلى بلاد الهند والصين لاقتناء نفائس الأحجار أن للماس نوعاً له شعاع عظيم إذا ظهر ألقى شعاعه على ما يقرب منه حائط أو ثوب أو وجه إنسان أو غيره بنور مختلف الضوء أشبه شيء بقوس قزح، فإن هذا الصنف من الماس يتخذه أكابر أهل الهند حلياً يلبسونه للتجمل به، ولا يسمحون بإخراجه من أيديهم البتة، وما لم يلق الشعاع منه فهو الذي يستعملونه في قطع الياقوت ويرجونه إلى التجار»[٣٠].

وذكر ابن الأكفاني: «حجر الألماس يشبه الياقوت في الرزانة والصلابة وعدم الانفعال على الحديد وقهره

٢٧) التيفاشي، **الأحجار الملوكية التي توجد في خزائن الملوك وذخائر الرؤساء**، مصدر سابق، ص٢٧. القبجاقي، **كنز التجار في معرفة الأحجار**، مصدر سابق، ص١٢٠.

٢٨) البيروني، **الجماهر في معرفة الجواهر**، ص٩٨.

٢٩) ابن الشماع الحلبي، **كتاب سر الأسرار في معرفة الجواهر والأحجار**، ص٩٦ – ٩٨.

٣٠) التيفاشي، **مصدر سابق**، ص٣٨و. القبجاقي، **مصدر السابق**، ص ١٢١. القلقشندي، **مصدر سابق**، ص١٠٢.

لغيره من الأحجار، وهو شفاف فيه لون بريق، ويوجد فيه الأبيض، والزيتي، والأصفر، والأحمر، والأخضر، والأزرق، والأسود، والفضي، والحديدي، وأشكال الماس كلها مضرسة[٣١] مخروطية، ومثلثات من غير صنعةٍ. والهند تفضل منه الأبيض والأصفر، بسبب ما يظهر منهما من الشعاع الأحمر، الشبيه بقوس قزح، إذا أقيما في مقابلة عين الشمس، وأما أهل العراق وخراسان، فلا يفرقون بين ألوانه، لأنهم يستعملونه في ثقب الجواهر خاصة، ومعدنه بقرب معدن الياقوت، وله معدن بقرب غزنة، ومعدن بمقدونية، من بلاد الروم، ولونه كلون النشادر، ومعدن باليمن، وهو حديدي اللّون، ومعدن بقبرص، وهو فضي اللّون رخو»[٣٢].

وقال العمري: «أنواع الماس أربعة، أولها الهندي، ولونه إلى البياض، وعظمه في قدر باقلاء، وفي قدر بزر الخيار والسمسم، وربما كان بقدر الجوزة إلا أن هذا قليل الوجود، ولونه قريب من لون النشادر الصافي»[٣٣].

طرق اختبار الألماس

ذكر كل من البيروني وابن الشماع الحلبي طريقة لاختبار الألماس الجيد من الرديء لم يرد ذكرها في المؤلفات الأخرى، فقال البيروني: «وطريق اختباره: أن يجعل طرف منه في شمعة لتتمكن الأصبع من إمساكه، ثم يقام بإزاء عين الشمس، فإن سطعت منه حمرة ولهبة على مثال ألوان قوس قزح كان هو المختار، وليس يسطع ذلك إلّا من الأبيض والأصفر منه فقط، ولذلك صارا عند أهل الهند خير أنواعه، ويقال إنهم يتيمنون به، فإن كان ذلك، فهو بسبب قهره وغلبته جميع ما هو من جنسه»[٣٤].

خواص الألماس

يمتلك كل نوع من الجواهر والأحجار الكريمة خواصَّ تميزه من غيره من أحجار مجموعته، فخواص الياقوت تختلف عن خواص الألماس كما تختلف عن خواص اللؤلؤ والزمرد... إلخ. ونجد في النصوص التراثية مجموعة من خواص الألماس جعلت منه الحجر الأكثر شهرة على مر العصور.

قال التيفاشي: «**خواص الماس في ذاته:** من خواص الماس أن جميعه ذو زوايا قائمة، ست زوايا، أو ثماني زوايا، أو أكثر من ذلك أو أقل، يحيط بزواياه سطوح قائمة مثلثة الشكل، وإذا كسر لا ينكسر إلا مثلثاً ولو كسر على أقل الأجزاء»[٣٥].

«**ومن خواصه** أنه يقطع كل حجر نمر به عليه، وهو في نفسه مع ذلك عسر الانكسار، حتى إنه إن وضع على سندان حديد ودق بأعظم مطرقة لم ينكسر، بل يدخل في وجه السندان ووجه المطرقة ويخرقهما، وإنما ينكسر بأن يصير في شيء من الصمغ، ثم يدخل في أنبوب قصب ويطرق بمطرقة رصاص برفق ومداراة بحيث لا يباشر جسمه الحديد، أو يصير في أنبوب أسرب وينقر برفق بشيء صلب فإنه ينكسر»[٣٦].

وقال ابن الأكفاني: «ومن غريب حال الماس أنه إذا طرق بمطرقة على سندان، نكأ فيهما، ولا ينكسر، وإذا لُفَّ في صفيحة أسرب وضرب انكسر».[٣٧]

«وهو حجر صلب يأكل الحجارة كلها كما ذكرنا حتى إنه لا يلتصق بشيء من الأجساد إلا هشمه، وإذا ألح عليه ذهب بنوره، ويمحو النقوش التي في الأحجار كلها».

«ثم إنه مع جميع ما وصفناه لا يكسره شيء ولا يهشمه إلا أرخاها كلها وألينها وأطيعها وأكثرها رخاوة وصريراً،

٣١) مضرس: يذكر هذا المصطلح للحديث عن الجواهر والأحجار التي لها نتوءات وزوايا حادة. الزركان محمد علي، **المصطلحات العلمية العربية القديمة في علم الجواهر والأحجار الكريمة**، ص٥٣٧.

٣٢) ابن الأكفاني، **نخب الذخائر في أحوال الجواهر، مصدر سابق**، ص ٩٩.

٣٣) العمري، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، ٢٢ / ٣١٥

٣٤) البيروني، **الجماهر في معرفة الجواهر**، ص ١٧١.

٣٥) التيفاشي، **مصدر السابق**، ص ٣٨، والقبجاقي، **مصدر سابق**، ص١٢٢، والقلقشندي، مصدر سابق، ص١٠٢.

٣٦) التيفاشي، **مصدر السابق**، ٣٨، والقبجاقي، **مصدر سابق**، ص١٢٣.

٣٧) – ابن الأكفاني، **مصدر سابق**، ص٢٢. والعمري، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**٢٢ / ١٦٨.

الـذي يؤثـر فيـه كل الأحجار ولا يؤثـر فيها وهـو الأسرب، ومن ههنا استدلت الحكماء على أن الماس حجر ذهبي لإفساد الأسرب بحجر الماس دون سائر الأحجار كما يفسد الذهب».

«**ومـن خواصـه** أن الذباب يشـتهي أكله، فما سـقطت منه قطعة صـغيرة إلا سـقط عليها الذبـاب وابتلعها أو طار بهـا، ومتـى ابتلع منه الإنسـان قطعة، ولو أصـغر ما يكون خرقـت أمعـاءه، وقتلته علـى الفور. قال أحمـد: وقد ذكر في خواصـه أن الإنسـان إذا ابتلع منه قطعة ولو كانت أصـغر مـا يكون اخترقت أمعاءه فتقتله علـى الفور، وأخبرني بذلك ثقة من الجوهريين بالغرب أيضـاً، وذكر أنه شـاهد ذلك، ثم أخبرني جماعة من الجوهريين بالمشرق والمغرب أنهم كثيراً مـا يجعلون القطعة الصـغيرة منـه في أفواههم، فتسري مع حلوقهـم ولا تضرهـم شـيئاً، فبحثت عن الصـحيح في ذلك، فثبت عندي أن النقلين معاً صـحيحان، وسبب ذلك أن الماس يوجـد في واد كثـير الأفاعـي، فيسـيل لعابها عليـه، فمنه ما يصـل ولعاب الأفاعي جامد عليه، فإذا ابتلع قتل على الفور، وإن قعـد على الفـم ولم يبتلع أثر في اللثـات الأكالُ والحكة. وما وصـل وليس عليه شـيء مـن لعاب الأفاعـي، إما أنه لم يكن عليه ذلك في معدنه بالاتفاق، أو لأنه ذهب عنه بسبب من الأسباب، فإنه لا يفعل شيئاً من الأفعال المذكورة».

«**ومن خواصه** ما ذكره أرسطو من أن بينه وبين حجر الذهب محبة شديدة، يتشبث بالذهب حيث كان حتى يخالط منه الحبة الخفيفة، يعرف ذلك صيّاغ الذهب، فإن هم بردوه وقعت تلك الحبة تحت مباردهم فمللت المبارد وأفسدتها».

«**ومـن خواصـه** أنه يثقـب الدر والياقـوت والزمرد وغيرهـا مـن جميع ما لا يعمـل فيه الحديد مـن الأحجار، كما يثقب الحديد الخشـب، وذلك أن تركب في رأس خشبة حديـدة، ويجعـل في طرف الحديد منه قطعـة بقدر ما يراد من سـعة الثقـب وضـيقه، ثم يثقب بـه فينثقـب بسرعة، والماس بارد يابس في الدرجة الرابعة»[٣٨].

وعـن موضـوع الألفة بـين الألماس والذهب ذكر العمري: «فإن الماس إذا قرب من الذهب تشـبث به، حتى إنه يقال إن الماس لا يوجد إلّا في معادن الذهب، ومنهما ما بينهمـا مجاذبة شـديدة، حتى إن كل واحـد منهما يجذب الآخر إليه كالعاشق والمعشوق، كالحديد والمغناطيس، فإن بـين هذين المعدنين ميلاً شـديداً، فإذا شـمّ أحدهما رائحة الآخر سرى إليه وأمسـكه إمساكاً شـديداً ولم يفارقه إلا بجـاذب يجذبه، ومنهما ما بينهما مخالفة كالسـنبادج[٣٩] وسائر الأحجار، فإنه يحكها ويجعلها ملساء، وكالأسرب والماس فإن الماس يقهر سائر الأحجار، والأسرب يقهره، ومنها ما فيه قوة منظفة كالنوشـاذر[٤٠] فإنه ينظف سائر الأحجار من الوسخ، وجميع ما قلناه ليس جامعاً لخواص الأحجار، ولكن أوردناه على سبيل التعجب والمثال، ليكون لحكمـة الله تعالى في إيجاده الوجود على سـبيل الأنموذج، وإلّا فالأمر أعظم مما ذكر، وإلا فما وصـل الناس كلهم إلّا إلى قليل من كثير»[٤١].

خواصه ومنافعه الطبية

يُعـد موضـوع العـلاج بالأحجـار الكريمة علمـاً طبياً مسـتقلاً وقائماً بذاته، وهي تختلـف في تأثيرها باختلاف أنواعهـا، ويسـتخدم الألماس في عـلاج حـالات مختلفـة مـن الشـلل والصـرع وتضـخم الطحال والاضـطرابات الجسدية والنفسية والعاطفية.

«قال أرسـطاطاليس: من لبسه كان موقى من الأعداء وكيدهم بإذن الله تعالى، ولا يقدر أحد على كيده، ولا يصل إليـه حيلة محتال، ويهابه كل من رآه وأبصره من العامة، ومن تقلد به أو تختم به أو حمله سلم من الآفات والسحر وما يبدو من الأسواء، وذلك بعد أن يصاغ في خاتم ويلبس في المرفـق الأيسر، ومـن أراد تمام فعله ونقـاءه وسرعته

٣٨) التيفاشـي، **مصـدر سابـق**، ٣٨و القبجاقـي، **مصـدر سابـق**، ص١٢٣ القلقشندي، **مصدر سابق**، ص١٠٣.

٣٩) السـنبادج: قـال أرسـطوطاليس: طبـع حجـر السـنباذج البرد في الدرجة الثانية واليبس في الدرجة الثالثة ومعدنه في جزائر بحر الصين، وهـو حجر كأنه مجتمع من رمل خشـن، ويكون منه حجارة متجسـدة كبار وصـغار، وخصوصيته أنه إذا سحق فانسحق كان أكثر عملاً منه إذا كان على تخشينه، ويأكل أجسام الأحجار إذا حكت به يابساً ومرطباً بالماء. ابن البيطار، **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**، ٣ / ٥٢.

٤٠) النوشاذر: هو ملح بونيه. ابن البيطار، **المصدر السابق**، ٤ / ٤٥٨.

٤١) العمري، **مصدر سابق**، ٢٢ / ١٧١.

فيعمل شمعة من فضة وذهب ونحاس وحديد، ويركب فيها فص ألماس ويلبس كما ذكرناه، فإنّه يتم أفعاله سريعاً بإذن الله تعالى»[٤٢].

وقال: «إن الإسكندر كان معجباً بخواص الأحجار، وسببه أنه أوتي بإنسان كان في مجرى بوله حجر، فأخذت قطعة من الماس وألصقتها بقليل مصطكي[٤٣] وأدخلته في إحليله فجذبه وفتته بإذن الله»[٤٤].

وقال أحمد بن أبي خالد المعروف بابن الجزار في كتابه الأحجار: «وبهذا الفعل عالجت وصيفاً لخادم صاحب المظلمة من حصاة عظيمة كانت به، وامتنع من الفتح عليها بالحديد، ولما فعلنا به هذا الفعل اضمحلت الحصاة حتى صغرت وسهل عليها خروج ما بقي من البول».

«حجر صلب جداً، بارد يابس في الدرجة الرابعة، وقيل: حار يابس جداً، ولذلك يجلو الأسنان ويبيضها وينقيها، وإن علق على الطفل في وقت ولادته حفظه من الصرع والفزع، وإن أدخل في الفم فتت الأسنان، وربما قتل إذا بقي عليه شيء من سم الأفاعي».

وقد ذكر ابن الأكفاني جميع الخواص المذكورة آنفاً، ولكنه استخدم مصطلح **القنطرة** لتفتيت الحصى فقال: « ومتى كان في مجرى البول حصاة، فَتُلْصَقُ حبّةٌ من هذا الحجر في حديدةٍ كالقناطير، ثمّ يدخل في القضيب لتُمَاسّ الحصاة، فتفتتها»[٤٥].

أما الشيخ الرئيس ابن سينا[٤٦] فقد ذكر تأثير الألماس في أعضاء الرأس وأعضاء النفض، واستبعد قول من سبقه: إنَّ الألماس يفتت حصى المثانة فقال: «الماس:

٤٢) ابن الشماع، **سر الأسرار في معرفة الجواهر والأحجار**، ص٩٩، ١٠٠.

٤٣) شجرة المصطكي: ديسقوريدوس : يعمل من ورقها وثمرتها إذا أدركت دهن المصطكي كما يعمل دهن الغار وكما يعفص أيضاً ، ويُبرئ المواشي والكلاب من الجرب ، وقد يقع في أخلاط الفرزجات والأدهان المحللة للأعياء ، وفي مراهم الجرب المتقرح والجذام. ابن البيطار، مصدر سابق، ٢ / ٣٩٦.

٤٤) العمري، **مصدر سابق**، ٢٢ / ٣١٦

٤٥) ابن الأكفاني، **مصدر سابق**، ص ٢٣–٢٤

٤٦) ابن سينا: هو الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي (ت ٤٢٨هـ)، موسوعي برع في الطب والرياضيات والفلك وغيرها من العلوم. حميدان، زهير، **أعلام الحضارة العربية الإسلامية**، ١ / ٣٢٩.

الْمَاهِيّة: قيل إن الأصوب أَن يذكر فِي بَاب الْمِيم إِلَّا أَنا أوردنا ذكره فِي هَذَا الْبَاب لكَونه أعرف وَأشهر. الطَّبْع: قَالَ قوم: إِنَّه بَارِد يَابِس، وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّه حَار يَابِس بِقُوَّة.

الْخَواص وَالْأَفْعَال: شَدِيد الْجلاء وَعند ديسقوريدوس محرق معفن. أَعْضَاء الرَّأْس: قَالَ قوم: إنه إذا أمسك فِي الْفَم كسر الْأَسْنَان قَالُوا إِمَّا بخاصية وَإِمَّا لِأَن سم الأفاعي يكثر فِي الْموضع الَّذِي هُوَ فِيهِ، وَهَذَا كَلَام من يجازف مجازفة كَثِيرَة، وَلَا يعرف أَن سم الأفاعي إِذا كَانَ ممجوجاً إِلَى خَارج لَا يفعلُ هَذَا الْفِعْل، وخصوصاً إِذا أَتَى عَلَيْهِ مُدَّة. أَعْضَاء النفض: قَالَ قوم إنه إِذا أُلصق مِنْهُ حَبَّة بِطرف الزراقة[٤٧] مُلْصقًا بالعلك الرُّومي وأوصل إِلَى المثانة فتت الْحَصَاة وَهَذَا مِمَّا أستبعده»[٤٨].

قيمته وثمنه:

البريق المتميز للألماس جعله أغلى الأحجار قيمة وثمناً. وأشهر أنواعه هو ذلك العديم اللون، وتراوح الأنواع الأقل جودة بين الأصفر والبني والأخضر والأزرق والقرنفلي الأحمر والرمادي والأسود، وأفضله الأبيض البلوري والزيتي، وكان لكل نوع منه استخدامات خاصة به.

«القيمة الوسطى المتعارفة في الناس: زنة قيراط بدينارين، وذكر يعقوب بن إسحق الكندي في كتابه الأحجار أن قدر ما عاين من هذا الحجر ما بين الخردلة والجوزة، وأنه لم ير منه أعظم من ذلك، وذكر أن غلاماً شاهد منه ببغداد المثقال بثمانين ديناراً، وقال: إذا أبرزت منه قطعة كبيرة تصلح لتصل قدر نصف مثقال، يضاعف ثمنها على ثمن الحجر الذي يوجد على قدر الخردلة أو قدر الفلفلة ثلاثة أضعاف، وأربعة، وخمسة، وذكر أن أرخص ما شاهد منه ببغداد المثقال بخمسة عشر ديناراً»[٤٩].

٤٧) الزراقة: أنبوبة من الزجاج ونحوه أحد طرفيها واسع، والآخر ضيق في جوفها عود يجذب السائل ثم يدفعه. معجم المعاني الجامع - معجم عربي عربي.

٤٨) ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله، **القانون في الطب**، ١ / ٣٧٢.

٤٩) التيفاشي، **مصدر سابق**، ص٢٩، والقبجاقي، **مصدر سابق** ص١٢٤، أيضاً عند القلقشندي، **مصدر سابق**، ص١٠٣.

وذكر ابن الأكفاني: « وغالب ما يوجد منه قطعٌ صغيرةٌ بقدر الفلفل ونحوه، وكانت قيمته من ثلاثمئة دينار إلى خمسمئة دينار»[٥٠].

« وحكى نصر الجوهري إنّ معز الدولة بن بويه الديلميّ أهدى إلى أخيه، ركن الدّولة، من الماس فصاً، وزنه ثلاثة مثاقيل، ولم يُسمع بأعظم منه، وأخبرني السيّد الشريف ناصر الدّين الزُّمُرُّديّ: أنّه رأى عند السلطان قطب الدّين، ملك الهند، من الماس الجيد، الجليل القدر، شيئاً كثيراً جداً، ولعلّهم لا يسمحون بخروج جيده من أرضهم، لأنهم يتيمنون به»[٥١].

وذكر ابن الشماع أنه غالباً ما يوجد منه قطعٌ كبارٌ كالفلفل ونحوه، وكان هذا قديماً المثقال ثمانين ديناراً، وما كان بقدر البندقة وما يقاربه فيكون قيمتها من ثلاثمئة دينار إلى خمسمئة دينار.

وميّز ابن الشماع بين الألماس والزمرد واللؤلؤ من حيث القيمة بقوله: « وكبار هذا الحجر أفضل من كبار الزمرد في القيمة، وأفضل من كبار اللؤلؤ، وصغاره أفضل من صغار سائر الجواهر لموضع الحاجة إليه في عمل كثير من الأحجار، ويراعى في قيمته الوزن والرغبة فيه، لأنّ أشكاله وألوانه تتفاوت في القيمة، وذلك لأنَّه لا يُعمل منه فصوصٌ ولا خرز، ولكن ربما كان شكله في مثلها فيكون هذا المعنى أفضل من القيمة»[٥٢].

نشير أخيراً إلى أن ابن البيطار في كتابه **تحدث عن الألماس في باب السنبادج**، وبيّن أن هناك من عرّف الألماس على أنه حجر السنبادج، فقال:» إسحاق بن عمران: قال أرسطوطاليس طبع حجر السنباذج البرد في الدرجة الثانية والييس في الدرجة الثالثة، ومعدنه في جزائر بحر الصين، وهو حجر كأنه مجتمع من رمل خشنٍ، ويكون منه حجارة متجسدة كبار وصغار، وخصوصيته أنه إذا سحق فانسحق كان أكثر عملاً منه إذا كان على تخشينه، ويأكل أجسام الأحجار إذا حكت به يابساً ومرطباً بالماء، وهو مرطب بالماء أكثر فعلاً وفيه جلاء شديد وتنقية للأسنان وله حدة يسيرة، ويستعمل في الأدوية المحرقة والأدوية المجففة والأدوية المبرئة لترهل اللثة وتغير الأسنان، وإن أحرق بالنار وسحق وألقي على القروح والبثر العفنة التي قد طال مكثها أبرأها.

جالينوس في التاسعة: قوته قوة تجلو جلاءً شديداً والدليل على ذلك أن النقاشين والخراطين يستعملونه في المواضع التي يحتاجون فيها إلى ذلك، وقد جربناه نحن من أنه ينقي الأسنان ويجلوها، وفيه قوة حادة، ولذلك صار بعض الناس يخلط منه في الأدوية المحرقة والأدوية المجففة التي تنقي اللثة المترهلة.

ديسقوريدوس في الخامسة: هو حجر يستعمله نقاش الخواتيم في جلاء الفصوص، وقد يصلح لأن يستعمل في أخلاط المراهم المتعفنة والمراهم المحرقة، وقد ينفع اللثة المسترخية ويجلو الأسنان. وزعم ابن واقد في مفرداته أن حجر السنباذج هو حجر الماس، وأضاف إليه ما قاله ديسقوريدوس وجالينوس في السنباذج إلى قول غيرهما في الماس، ولم يعلم رحمه الله أن حجر الماس لم يذكره ديسقوريدوس ولا جالينوس»[٥٣] .

خاتمة

لاحظنا مما سبق غنى تراثنا العربي والإسلامي بالنصوص التي تناولت ماهية الألماس وخواصه، وأماكن وجوده، وفوائده الطبية، وقيمته في البلاد، فهو ثروة وتراث، وما ذكرته في هذا البحث من نصوص تراثية ما هو إلا غيض من فيض، وتكمن أهمية هذه النصوص أن معظمها ما زال مخطوطاً لم ينل حقه من الدراسة حتى الآن.

٥٠) ابن الأكفاني، **مصدر سابق**، ص٢٢.

٥١) **ابن الأكفاني ، مصدر سابق**، ص٢٢و٢٣، والبيروني، مصدر سابق، موقع الوراق، http://www.alwarraq.com الكتاب مرقم آليًا غير موافق للمطبوع ص٤٣.

٥٢) ابن الشماع، مصدر سابق، ص ٩٩.

٥٣) ابن البيطار، **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**،٣/ ٥٢.

صور بعض المخطوطات المعتمدة في الدراسة

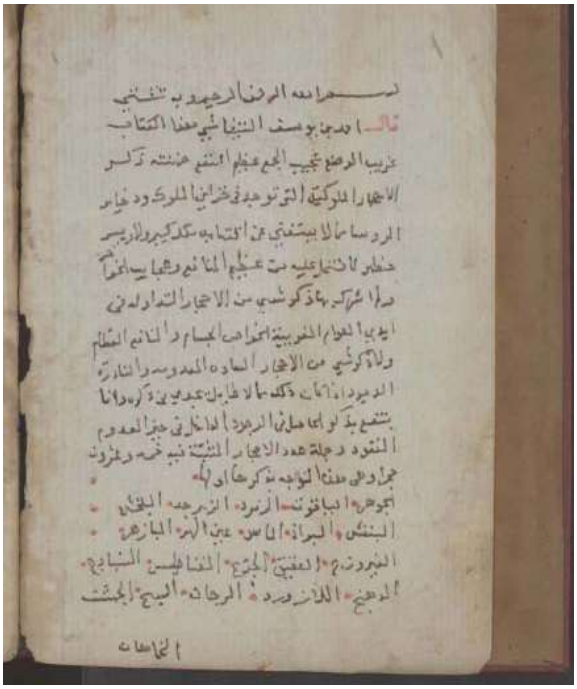

الصفحة الأولى من مخطوطة الأحجار الملوكية. نسخة إلكترونية مكتبة قطر الرقمية.

الصفحة الأخيرة من مخطوطة الأحجار الملوكية.

اللوحة الأولى من مخطوطة سر الأسرار في معرفة الجواهر والأحجار، من الخزانة التيمورية دار الكتب المصرية-٥١ طبيعية.

اللوحة الأخيرة من مخطوطة سر الأسرار في معرفة الجواهر والأحجار.

مخطوطة الأحجار الملوكية التي توجد في خزائن الملوك وذخائر الرؤساء.

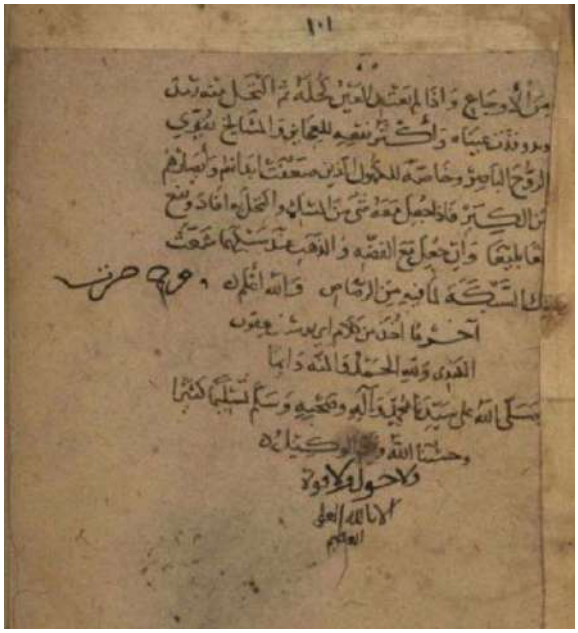

الصفحة الأخيرة من مخطوطة الأحجار الملوكية التي توجد في خزائن الملوك وذخائر الرؤساء.

المصادر والمراجع

١. **زهدي بشير**، **الأحجار الكريمة في العصور الكلاسيكية**، الموسوعة العربية آثار كلاسيكية، فنون، المجلد الأول، وزارة الثقافة دمشق.

٢. **باليناس الحكيم**، **سر الخليقة وصنعة الطبيعة** (كتاب العلل)، تحقيق أورسولا وايسر، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، ١٩٧٩م.

٣. **قنواتي** جورج، « **الخيمياء العربية**» ضمن **موسوعة تاريخ العلوم العربية**، مركز دراسات الوحدة العربية، مؤسسة عبد الحميد شومان، بيروت، ط٢، ج ٣، ٢٠٠٥م.

٤. **أبو سكة** ميشلين، **الأحجار الكريمة في العصر الإسلامي**، الموسوعة العربية آثار إسلامية، فنون، المجلد الأول، وزارة الثقافة دمشق.

٥. **الزركلي** خير الدين الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، **الأعلام**، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢ م.

٦. **ابن ماسويه**، يحيى (ت٢٤٣هـ)، **الجواهر وصفاتها وفي أي بلد هي وصفة الغواصين والتجار**، تحقيق عماد عبد السلام، القاهرة، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٦م.

٧. **ابن الأكفاني**، محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري، **نخب الذخائر في أحوال الجواهر**، تحقيق أنستاس الكرملي، بيروت، ١٩٣٩م.

٨. **زاده طاشكبري**، أحمد بن مصطفى، **مفتاح السعادة ومصباح السيادة**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

٩. **العمري**، ابن فضل الله شهاب الدين، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٧١م.

١٠. **الفيروز، آبادي** مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ)، **القاموس المحيط**، تحقيق: بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط٨، ٢٠٠٥م.

١١. **الزبيدي**، محمد مرتض الحسيني (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، **تاج العروس في جواهر القاموس**، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ج١٦، ١٩٦٥م.

١٢. **ابن منظور**، **لسان العرب**، تقديم عبد الله العلايلي، إعداد يوسف خياط ونديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت، د.ت.

١٣. **مجموعة من المؤلفين**، **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشرق الدولية، مصر، ط٤، ٢٠٠٤م.

١٤. **أسمر**، مرسيل، **كتاب سر الأسرار في معرفة الجواهر والأحجار لابن الشماع الحلبي تحقيق ودراسة**، جامعة حلب، معهد التراث العلمي العربي.

١٥. **ابن البيطار**، ضياء الدين عبد الله بن أحمد، **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**، طبعة بولاق، دار صادر، بيروت، د.ت.

١٦. **التيفاشي**، أحمد بن يوسف شهاب الدين، **الأحجار الملوكية التي توجد في خزائن الملوك وذخائر الرؤساء**، نسخة إلكترونية مكتبة قطر الرقمية.

١٧. **القبجاقي**، **كنز التجار في معرفة الأحجار، تحقيق ودراسة وائل صباغ**، جامعة حلب، معهد التراث العلمي العربي، ٢٠٠٨م.

١٨. **القلقشندي**، أبو العباس أحمد، **صبح الأعشى**، مطبعة الأمير بالقاهرة، ١٣٣١ه / ١٩١٣م.

١٩. **البيروني**، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت ٤٤٠ هـ)، **الجماهر في معرفة الجواهر**، عالم الكتب، القاهرة.

٢٠. **الزركان** محمد علي، **المصطلحات العلمية العربية القديمة في علم الجواهر والأحجار الكريمة**، أبحاث المؤتمر السنوي العشرين لتاريخ العلوم عند العرب، المنعقد في حلب، منشورات جامعة حلب، معهد التراث العلمي العربي، ١٩٩٩م.

٢١. **ابن الشماع الحلبي**، زين الدين أبو حفص (ت: ٩٣٦ه)، **سر الأسرار في معرفة الجواهر والأحجار**، تحقيق ودراسة مرسيل أسمر، جامعة حلب، معهد التراث العلمي العربي، ٢٠١٦م.

٢٢. **ابن سينا**، أبو علي الحسين بن علي، **القانون في الطب**، الجزء الأول، طبعه جديدة بالأوفست عن طبعة بولاق، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، ١٤ شارع جواد حسني، القاهرة.

٢٣. حميدان، زهير، **أعلام الحضارة العربية الإسلامية**، دمشق، إشبيلية للدراسات والنشر والتوزيع، د.ط، ١٩٩٥م.

الموسيقا والغناء في تراثنا العربي

نبيل تللو(*)
سوزان أبو حمزة (*)

لا تستقيم حياة الإنسان وتتقدَّم بالجدِّ والعمل على مدار الساعة، بل لا بُدَّ من فواصل من الترفيه والتسلية تتخلَّل مسيرته اليومية بحثاً عن موارد الرزق وتحصيل العِلم، ومع أنَّ طرائق الترفيه والتسلية متعدِّدة ومختلفة، إنَّ الموسيقا والغناء هما العنصران الأعمق تاريخياً، والأكثر استخداماً وممارسةً، والأوسع انتشاراً، والأشدُّ إقبالاً عليهما. في هذه المقالة سنتعرَّف مسيرتهما في فترات العصور العربية، وأبرز ما كتبه السلف الصالح عنه، وصولاً إلى وقتنا الحاضر، مع الإشارة إلى أنَّ لكلِّ بلدٍ عربي تراثه الموسيقي الخاص، ضمن الإطار العام للموسيقا العربية المتعدِّدة الطرائق والمختلفة الرؤى، راجين أن يتذكَّر كرام القارئات والقراء ما نسوه، وأن يتعرَّفوا ما لا يعرفونه، آملين أن نكون قد قدَّمنا لهم المعلومة المفيدة والمهمة.

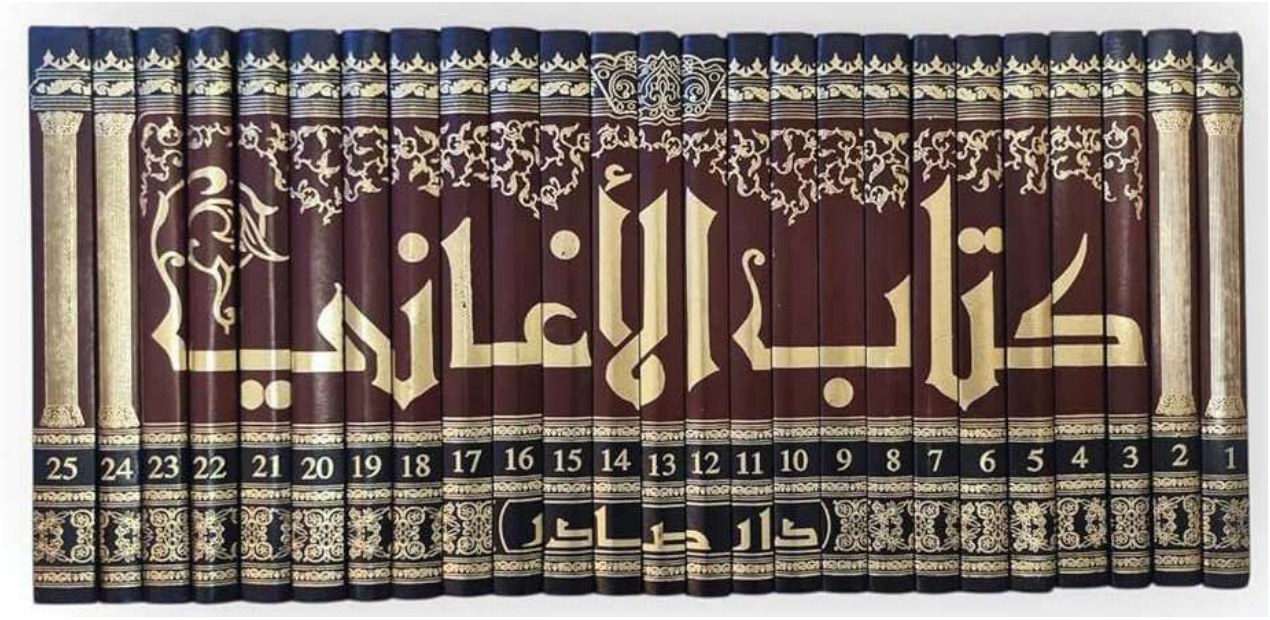

(*) نبيل تللو: باحث في شؤون التُّراث العربيّ.

(*) سوزان أبو حمزة: مديرة خدمات المستفيدين في المكتبة الوطنية بدمشق.

«الموسيقا» كلمة يونانية الأصل مستمدَّة من الآلهة «موسيس» أو «موسا» أو «موز»، ومعناها «الفن الجميل»، وهي إحدى آلهات الأساطير الخرافية التي تعبِّر عن الإلهام الغني للآلهات اليونانيات القديمات التسع، وتُعَدُّ حاميات للموسيقا والرقص والشعر والنثر والفلسفة والعلوم في الأساطير الإغريقية، وبانتقالها إلى اللغات الأخرى أصبحت: «ميوزيك» «MUSIC» كما هي في اللغة الإنكليزية، و «MUSIQUE» كما هي في اللغة الفرنسية، وعرَّبها اللسان العربي إلى «موسيقا»، وتُكتب أيضاً «موسيقى».

والموسيقا هي أحد الفنون السمعية والبصرية؛ لتنظيم النغمات بتسلسلٍ متماسك لإنتاج تركيبة موحَّدة ومتَّصلة ومتناغمة، وتعني بالمفهوم العلمي معالجة توظيف العناصر الصوتية المختلفة جمالياً، كما أنَّها تعني فن التعبير عن الأحاسيس بوساطة هذه العناصر، ويُعَدُّ الصوت والأذن البشرية أداتيهما الأساسيتين، وهكذا لازمت الموسيقا البشر في جميع أدوار حياتهم الخاصة والعامة، وفي مظاهر سلمهم وحربهم، وسعادتهم وشقائهم، وأفراحهم وأتراحهم، وسفرهم وحضورهم، وتعبدهم وراحتهم، ودينهم ودنياهم، فالمرء بطبعه لا يستغني عن رفع صوته، ليطرب نفسه وجليسه، وقلبه يصبو بالفطرة إلى سماع الأوتار التي تهزه وتطربه.

ليس هناك تاريخ محدَّد لأصول الموسيقا، ولكن من المؤكَّد أنَّها نشأت مع الإنسان البدائي الذي عاشت معه وغيَّرت من أحاسيسه، فتعرَّفها عندما بدأ يترنَّم بنغمةٍ واحدة رتيبة وبصوتٍ عاطفي، مقلِّداً أحياناً بعض الطيور، ثمَّ تابع ترنيمه بصوتين متعاقبين، ثم في ثلاثة، وهكذا إلى أن ارتقى الغناء، وأصبح من ضرورات الحياة والتعاطف مع الآخرين. ثم أصبح الإيقاع ملازماً للغناء الذي تجلَّى بالرقص، فاستخدم التصفيق بالأيدي والوقع بالأرجل، وكان قرع الأشياء الصلبة بعضها ببعض كالأحجار وقطع الخشب. ومع تطوُّر الحياة الإنسانية، ابتكرت الآلات الموسيقية، وأولها الآلات الموسيقية الوترية، التي أوجدها الإنسان البدائي، الذي كان ينزع قشور الأشجار اليابسة بأظافره، فتعطي رنيناً محبَّباً، ممَّا دعاه إلى استخدام خيوط نباتية متينة مشدودة على جسم ما، ثم أضاف إليه زنداً لشدِّ الخيوط وتغيير نغمات عزفه.

أمَّا «الغِناء» فهو من السماع، وكلٌّ من رفع صوته ووالاه فصوته عند العرب غِناء كما ورد في الجزء الخامس عشر من لسان العرب لابن منظور، وقد رافق الغناء الموسيقا على الدوام، حتَّى إنَّهما يُعَدَّان توءَمين متلازمين لا يكاد يفترق أحدهما عن الآخر.

ـ الموسيقا والغناء في العصر الجاهلي:

كانت الموسيقا العربية في العصر الجاهلي لا تعدو الترنيم بالشعر غناءً. أمَّا الآلات الموسيقية مثل القضيب والطبل والدف والجلاجل والطُّنبور والقيتار (وهو مربَّع ذو تجويفٍ منبسط) والمزهر والبريط وما إليها، فلم يكن لها الأثر البارز، إذ كان العربي في ذاك الزمان يؤثر سماع الغناء على الموسيقا، ليتسنَّى له تذوُّق معاني الشعر، والعرب كسائر شعوب العالم لهم عقائدهم وعباداتهم، وكانت للعبادة طقوسها التي يرافقها الغناء والموسيقا، وكانوا يؤدُّون عباداتهم على ضربٍ غنائي بدائي، فيطوفون حول الكعبة في مكَّة وهم يصفِّرون ويصفقون، في حين كانت العذارى ترقص حول الأصنام رقصة «الدوار»، وأشار امرؤ القيس إلى هذا الضرب من الرقص الطقسي بقوله:

فعَنَّ لنا سِرْبٌ كَأَنَّ نِعَاجَهُ عَذَارَى دَوارٍ في مُلاءٍ مُذَيَّلِ

ويصف البيت القطيع من البقر يلوذ بعضه ببعض، وتدور كما تدور العذارى وعليهنَّ مُلاء طويل مهذَّب حول «دَوار»، وهو صنمٌ كانت العرب في الجاهلية تنصبه ويدورون حوله. شبَّه بياض البقر بثياب العذارى.

وكانت نسوة بني دوس يرقصن حول صنم «ذي الخلصة»، وكان الكهنة والعرَّافون يرتلون التعاويذ بمصاحبة آلة موسيقية، ويُعَدُّ العرَّاف «سطيح» أشهر مرتِّلٍ للتعاويذ. وسبقت علاقة الموسيقا بالطقوس الدينية «الحداء»، أو «النشيد»، أو «الركبانية»، وهي ضربٌ من

الغناء، وكان الشعر مادة غنائهم، وألحانهم سهلة بسيطة توقع مع مقاطع البيت الشعري، وتضبط بالضرب على الدف، ومنه غناء «النصب»، وهو على ثلاثة أنواع: «السناد الخفيف»، و«السناد الثقيل»، و«الهزج» وهو أهم ضروب غنائهم، ولكنَّه انقرض كما انقرض غيره لافتقار العرب للتدوين الموسيقي.

ويذكر «العقد الفريد» أنَّ أصل الغناء ومعدنه تكوَّن في يثرب والطائف وخيبر ووادي القرى واليمامة، وكانت جاريتا عبد الله بن جدعان «عاد» و «ثاد» من أشهر مغنيات ذلك العصر، كذلك «هزيلة» و «عقيرة» مغنيتا بني جَديس، و «هريرة» و «خليدة» مغنيتا «بشر ابن عمرو» أحد أشراف الحيرة في زمن الملك النعمان الثالث. ومن الشعراء الموسيقيين «عدي بن ربيعة»، و «علقمة بن عبدة»، و «الأعشى ميمون بن قيس» الملقَّب بـ: « صنَّاجة العرب»، و «مالك بن جبير»، و « الخنساء» التي كانت تغني مراثيها بمصاحبة الموسيقا.

ـ الموسيقا والغناء في عصر صدر الإسلام (١ ـ ٤٠هـ / ٥٣٣ ـ ٦٦١م):

ومع أنَّ الموسيقا والغناء في هذا العصر كانا امتداداً لما كان عليه الحال في العصر الجاهلي، هُذِّبا مع دخول الإسلام بما يتوافق مع معايير الدين الناشئ، ولا يغيب عن ذهننا ونحن نقرأ سيرة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام، مشهد الأنصار سكان المدينة المنورة وهم يستقبلونه حين وصل إليهم مهاجراً من مكَّة المكرَّمة، وينشدون على إيقاع الدفوف الأبيات الشعرية:

«طلع البدر علينا، من ثنيات الوداع، وجَب الشكر علينا، ما دعا لله داع، أيها المبعوث فينا، جئت بالأمر المطاع، جئت شرَّفت المدينة، مرحباً يا خير داع، قد لبسنا ثوب عزٍّ، بعد تمزيق الرقاع، ربنا صلِّ على من، حلَّ في خير البقاع».

ومع أنَّ كلمتي «الموسيقا» و «الغناء» لم تردا صراحةً أو إشارةً في القرآن الكريم، كان المسلمون في صدر الإسلام يضربون بالدفوف والمزامير والقصب والأوتار في حفلات الزفاف والقدوم من الجهاد أو السفر، ويستمعون في أيام الأعياد إلى الجواري وهنَّ يغنين ويعزفن، ويترنَّمون بالشعر، ولكنَّها كانت جميعها مقيَّدة بوازع ديني عميق فارضاً وجوده، إذ لا يجوز السماع في الإسلام إلا لِمَا حرَّك خصائل الخير والأخلاق الحميدة والأهداف السامية، وهذا ممَّا يشير إلى أنَّ الإسلام قد وقف موقفاً إيجابياً من الغناء الذي يخدم رسالته الدينية والاجتماعية والأخلاقية، ويؤكِّد ذلك الآية ٣٢ من سورة الأعراف: ﴿قل من حرَّم زينة الله التي أخرج لعباده﴾، وقول الرسول الكريم: «روحوا القلوب ساعةً بعد ساعة، فإنَّ القلوب إذا كلَّت عميت». والترويح لغةً مأخوذة من «روَّح» ومعناها السَّعة والفسحة والانبساط وإزالة التعب والمشقَّة وإدخال السرور على النفس، والانتقال من حالٍ إلى آخر أكثر تشويقاً. و«كلَّت» تعني «تعبت».

ومن ذلك ما جاء عن عائشة رضي الله عنها: «دخل أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بعاث، فقال أبو بكر: «أبمزمور الشيطان في بيت رسول الله، وذلك يوم عيد»، فقال رسول الله عليه السلام: «يا أبا بكر إنَّ لكلِّ قومٍ عيداً، وهذا عيدنا».

كما أنَّ ترتيل القرآن الكريم وتجويده، الذي هو أمرٌ إلهي كما ورد في الآية الرابعة من سورة المُزمّل: ﴿ورتِّل القرآن ترتيلاً﴾، وتشجيع نبوي بقوله عليه الصلاة والسلام: «حسِّنوا القرآن بأصواتكم، فإنَّ الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً»، هو نوعٌ من الإلقاء الغنائي، ومن يستمع إلى المرتلين وهو يجوِّدون آيات الله عزَّ وجلَّ البيِّنات، يكتشف بسهولة ويسر المقامات الموسيقية التي ينطلقون في رحابها، محلِّقين في أجوائها، مستغلين شواردها وغريبها ليزيدوا في تسبيحهم للخالق عزَّ وجلَّ من خلال الآيات التي يرتِّلون ويجوِّدون.

ولا ننسى أنَّ الأذان للصلاة هو أول نغمة موسيقية استهل بها الإسلام في العام الأول أو الثاني للهجرة، وإنَّ بلالاً الحبشي مؤذِّن الرسول عليه السلام هو أول من أدَّى

الأَذان أمـام المؤمنين بعد أن أمر به النبي الكريم، فللأَذان طابـعٌ تعبيري يحاكي تعبير القرآن، وهو من ناحية الأداء نوعٌ من أنواع الإلقاء الغنائي الذي يبدأ من مقامٍ موسيقي وينتهي به.

ـ الموسيقا والغناء في العصر الأموي (٤١ ـ ١٣٢هـ / ٦٦١ ـ ٧٥٠م):

كان الغنـاء واحداً مـن الفنـون التي تطـوَّرت بتأثير التغـيُّر الاجتماعـي والسياسـي والاقتصـادي في العصر الأموي، ولم يعد المغنِّي، ولا سيما الحجازي، يقنع بالغناء الـذي ورثه مـن الجاهلية، بل صـار يطلب غناءً يتماشـى وما وصـل إليه العربي من تقدُّم مادي ومعنوي، فاتَّجهوا إلى بـلاد فارس، ثـمَّ إلى الشـام، ليضـيفوا إلى معارفهـم معـارف جديدة كانـوا في حاجـةٍ إليها، وبعـد عودتهم إلى ديارهم، أسـقطوا ما لا يُستحسن من غناء هؤلاء، وأخذوا محاسـنه، ومزجوا بعضـها ببعض وألَّفـوا منها الأغاني التي اسـتمدُّوها من أشـعارهم، فسُـمِعَ بما لم يُسـمع به قبلاً، فظهر «الغناء المتقن».

وقـد هـال مـروان بـن الحكـم، الـذي كان والـياً على الحجاز، ما آلت إليه حال الحجازيين من أخذهم بأسـباب اللهـو والطرب، فعاب على عبد الله بن جعفر بن أبي طالب حيازتـه الجـواري المغنيات، فأجابـه: «وما علـيَّ أن آخذ الجيد من أشـعار العرب وألقيه إلى الجواري فيترنَّمن به، وينشدنه بحلوقهنَّ ونغماتهنَّ».

وكان معاويـة بـن أبي سـفيان يعيب على عبـد الله بن جعفـر سـماع الغناء، ولـمَّـا حجَّ، أعـدَّ له في المدينـة المنوَّرة وليمة جلب إليها المغني ابن صـياد، وأوصـاه قائلاً: « إذا رأيت معاوية واضعاً يده في الطعام، فحرِّك أوتارك وغنِّ»، فلمـا فعل معاوية، حـرَّك أوتاره وغنَّى من شـعر عدي بن زيد، وكان مفضَّلاً عند معاوية:

يا لُبينى أوقدي النار إنَّ من تهويـن قد حارا
ويا نـار بتُّ أرمقهـا تقضم الهندي والقفارا
ولها ظبيٌ يؤجِّجهـا عاقـدٌ في الخصر زنارا

فقبض معاوية يده عن الطعـام وجعل يضرب الأرض بقدمه طرباً، فقال عبد الله: «إنَّما هو مختار الشـعر يركَّب عليه مختار الألحان، فها ترى بأسـاً به؟، فأجابه معاوية: «لا بأس بحكمة الشعر مع حكمة الألحان».

ومـع أنَّ دمشـق قـد تفـرَّدت بالحكـم، بقـي الحجـاز محتفظـاً بطابعـه الفنـي، الـذي أغـدق علـى الغنـاء طيلة العصر الأموي أجمل الألحان وأبهى الأصوات والأنغام، فظهـر الغناء في مكـة والمدينة. ولكنَّ عبد الملـك بن مروان شـجب الغناء قائلاً على الملأ: «قبَّح الله الغناء، ما أوضـعه للمـروءة، وأجرحـه للعرض، وأهدمه للشـرف، وأذهبه للبهاء»، وأمر بمصادرة أموال المغنِّي «سعيد بن مسجح» لأَنَّـه فـتن الناس في مكـة بغنائه، فحمـل إليـه، فغنى بين يديه حداءً عربياً صـافياً، فلمـا انتهى، طلب إليه عبد الملك أن يغنـي الغناء المتقـن، ففعل، فطرب الخليفـة وأجزل له العطاء، وأمر بردِّ أمواله إليه.

وفي عهد الوليد بن عبد الملك حققت الموسـيقا مزيداً من الانتشار، واستقبل بعض الموسيقيين مع ضغط الحاشية، ومنهـم «أبـو يحيـى عبـد الله بـن سريـح»، وأقـام عنـده عشرة أعوام. واسـتدعى سـليمان بن عبـد الملك «الدلال» سـراً مـن المدينـة إلى دمشـق ليسـتمع إلى غنائـه، ومنـح جائزتين سنويتين لأفضـل المغنين، مع أنَّه ناصب المغنين والموسـيقيين العداء علناً. ولكنَّ مكانـة الغناء تراجعت في عهد عمر بن عبد العزيز. أما في عهد يزيد الثاني، ومن بعده هشام بن عبد الملك والوليد بن يزيد، رحَّب البلاط الأموي بالموسـيقيين والمغنين على اختلاف أوطانهم ومشاربهم. وحينما حجَّ الخليفة هشـام، اعترض طريقه المغني «حنين الجبري» ومعه عوده وزامره، فسـأل هشـام عنه، فقيل له هذا حنين، فأمر به، فحُمِلَ في محملٍ على جمل، وسـير به أمامه وهو يغنِّي. وعندما قَدِمَ يزيد بن عبد الملك مكة، بعث إلى «الغريض»، فجاءه وغنَّى بين يديه، وسُـمِّيَ بالغريض لأنَّه غضُّ الشـباب وحسن المظهر، وكان يغني أيام الحج، فيلهـي الناس عـن حجهم لجمال صـوته، وهو من تلاميذ «ابن سريح»، وأخذ النواح عن النائحتين المشـهورتين في مكة «حوراء» و «يغوم». أما «محمد بن عائشة» الذي غنَّى

أمام الوليد بن يزيد وهو شاب في حضرة أستاذيه «معبد» و «مالك»، أبدى الوليد إعجابه وفضّله عليهما، ومنحه ثلاثين ألف درهم.

أسّس «معبد» مدرسة خاصة به في المدينة، وتخرّج فيها ابن عائشة ومالك وسلامة القس، ويونس الكاتب الذي ألّف كتابي: «النغم» و «القيان».

أما «الغالية» التي غيّر يزيد اسمها إلى «حبّابة» لشدة ولعه بها، كانت ذات صوتٍ عذب وتتقن العزف بالعود، وتتلمذت و«سلامة القس» على يد «عزة الميلاء» و «وابن سريح» و «معبد» و «جميلة».

ـ الموسيقا والغناء في العصر العباسي (١٣٢ ـ ٦٥٦هـ / ٧٥٠ ـ ١٢٥٨م):

شكّلت بغداد في هذا العصر علامة بارزة في تاريخ الحضارة الإنسانية، وتفوّقت في مختلف فروع العِلم المعروف آنذاك، ومنها الموسيقا والغناء، اللذان شهدا نهضةً كبيرة شارك فيهما الخلفاء والأمراء وأصحاب الشأن، إضافةً إلى الموسيقيين والمغنين. وإذا كان الغناء عند الفرس أدباً، وعند الروم فلسفة، فإنّه كان عند العرب علماً كما قال الجاحظ، إلى درجة أنّه يصحُّ القول إنّ العصر الذهبي وعصر الانحطاط العبّاسيين يمثّلان مجد الموسيقا العربية؛ على الرغم من النزاعات السياسية وضعف بلاط بغداد، وقد ذكر الدكتور حسن إبراهيم حسن في كتابه: «تاريخ الإسلام»، أنّ العبّاسيين كانوا ينفقون عن سعة في سبيل رفاهيتهم، ويعيشون عيشةً قوامها البذخ والإسراف وحبُّ الظهور، وحفلت قصور الخلفاء والوزراء وكبار رجال الدولة بالمغنين والموسيقيين.

فقد كان معظم خلفاء الدولة العباسية من ذوي الميول الموسيقية والغنائية، وكان الخليفة الواثق بالله من الذين اشتهروا بهذا الأمر، إذ لحّن وغنّى مئة صوت، وكان ماهراً في العزف على العود. ومنهم أيضاً الخليفة المنتصر بالله الذي كان على معرفةٍ وثيقة بالغناء أيضاً، وغنّى المعز أصواتاً، وأبدع المعتمد في معارضة غناء القدماء والمحدثين.

واشتهر بعض أولاد الخلفاء بالغناء، منهم إبراهيم المهدي وأخته علية، وأخوهما يعقوب الذي كان من أبرع الناس بالزمر. كذلك كان أبو عيسى بن الرشيد جيد الصوت والألحان، ونُسِبَ له كثيرٌ من الأغنيات. ومثله «عبد الله بن موسى الهادي» البارع في الضرب على العود والغناء.

وقد ساعد هؤلاء وغيرهم من المغنين والعازفين من غير الخلفاء وأبنائهم، التسامح الذي وقفه بعض فقهاء الدين، ومنهم الإمام الشافعي وأبو حنيفة وغيرهما، وكان لهذا الموقف أثره البارز في تقدُّم الموسيقا والغناء في ذاك العصر:

فقد سُئلَ مالك بن أنس عن السماع، فقال: «ما أدري، أهل العلم ببلدنا لا ينكرون ذلك، ولا يقعدون عنه، ولا ينكره إلا غبيٌّ جاهل، أو ناسكٌ غليظ الطبع.

وقال مالك بن أبي السمح: «سألت ابن أبي إسماعيل عن الحسن المصيب من المغنين، فقال: «هو الذي يشبع الألحان، ويملأ النفوس، ويعلل الأوزان، ويفخم الألفاظ، ويعرِّف الصواب، ويقيم الإعراب، ويستوفي النغم الطوال، ويحسن مقاطع النغم، ويصيب أجناس الإيقاع، ويختلس مواضع النبرات، ويستوفي ما يشاكلها من النقرات».

كان «حكم الوادي» من أبرز مطربي العصر العباسي، وكان قد غنّى للوليد بن يزيد في العصر الأموي، وإبراهيم الموصلي، الذي جاء به الخليفة المهدي من مدينة الري وضمَّه إلى بلاطه، ومن بعده غنّى للهادي، ثم غنّى في بلاط الرشيد، و «منصور زلزل» صاحب العود الشبوط، و«إسحق الموصلي بن إبراهيم»، و«مخارق»، و«علوية»، و«محمد بن الحارث»، و«عمرو بن الغزال»، و«ابن صدقة»، و«برصوما»، و«زرزور الكبير»، و«محمد بن عمرو الروبي»، وغيرهم.

وفي هذا العصر وُضعت أصول الموسيقا وقواعدها ونظرياتها، وأُلِّفت الكتب التي تبحث في الموسيقا، ومنها:

ـ «المدخل إلى صناعة الموسيقا» للعالم ابن سينا (٣٦٠ـ٤٢٨هـ / ٩٧٠ـ١٠٣٦م).

ـ «كتاب الموسيقا الكبير» للفارابي (٢٦٠ـ٣٣٩هـ / ٨٧٠ـ٩٥٠م).

ـ «مقالة في الموسيقا» لثابت بن قرة.

ـ «الفرق بين إبراهيم المهدي وإسحق الموصلي في الغناء» للحسن بن علي هارون.

ـ «طبقات المغنين» لأبي أيوب المديني.

ـ «رسالة في خبر» للكندي، وفيه وردت أول رموزٍ موسيقية عُرِفت عند العرب.

ـ «بوارق الإلماع إلى مسألة السماع» لأبي حامد الغزَّاليِّ، المتوفَّى سنة ٥٠٥هـ.

أما أشهر الكتب الموسيقية في ذاك العصر فهو: **«الأغاني» لـ: «أبي الفرج الأصفهاني»** (٢٨٤ ـ ٣٥٦ هـ / ٨٩٧ ـ ٩٦٧ م)، الذي يُعَدُّ دائرة معارف حافلة بأخبار العرب وأشعارهم وأنسابهم وأيامهم ودولهم، وأودعه من الشعر والتاريخ والغناء وسائر أحوال العرب ما يشهد بعبقريةٍ فذَّة للكاتب، فأصبح واحداً من أهم المصادر المهمة للحضارة العربية، فهو سجلٌّ حافل للحياة الأدبية والاجتماعية والتاريخية من العصر الجاهلي حتى القرن الثالث الهجري، وأسلوب صاحبه موجزٌ متين، لغته سهلةٌ دقيقة، يخلع على كلِّ شخصٍ من شخوصه لغته التي تجري في زمنه. وقد احتفى العلماء القدماء والمحدثون بهذا السِّفر العظيم احتفاءً بالغاً، فأثنوا عليه، ونهلوا منه في دراساتهم، واختصروه وهذَّبوه واستخرجوا مختارات منه.

يذكر النديم أنَّ كتاب الأغاني كان في نحو خمسة آلاف ورقة، ولكنَّه لا يحدِّد وضعها، وحين سُئل أبو الفرج عن المدة التي أمضاها، قال إنَّه ألَّفه في خمسين عاماً، أي إنَّه كان نتيجة جهد متواصل استغرق أكثر العمر، ولم يكتب منه إلا نسخةً واحدة، وهي التي رحل بها إلى حلب، وأهداها إلى سيف الدولة، فأجازه ألف دينار. وبعد ذلك جرى تداول هذه النسخة، التي لقيت ترحيباً بالغاً لدى مثقفي العصور التالية، وتدلُّ النسخ التي نُسِخت منه على مرِّ الزمن، على أنَّه أصبح من أكثر الكتب رواجاً في موضوعه، ووُجِدت في مكتباتٍ عِدَّة في الشرق والغرب.

وفي عصرنا الحالي لقي عناية بالغة، منذ أن صدرت طبعة بولاق بمصر سنة ١٨٦٩م، وطبعة الساسي بمصر سنة ١٩٠٥م، ثمَّ جرى تحقيقه مراتٍ عِدَّة على يد عدة محققين، ونُشِر مراتٍ عديدة، منها طبعة دار صادر ببيروت سنة ٢٠٠٢م، بتحقيق الدكتورين إحسان عباس وإبراهيم السعافين والأستاذ بكر عباس، ومن هذه الطبعة ذات الخمسة والعشرين جزءاً استقينا بعضاً مما جاء في هذه المقالة.

ـ الموسيقا والغناء في الأندلس (٩١ـ٨٩٧هـ/ ٧١٠ـ ٨٩٧ـ ١٤٩٢م):

الموسيقا الأندلسية موسيقا شرقية عربية أثَّرت في الموسيقا الإسبانية المحلية وتأثَّرت بها منذ الفتح العربي الإسلامي، وهي خلاصة المعطيات الفنية لعناصر بشرية من عرب وبربر وصقالبة تعايشت مع السكان المحليين في ظلِّ الحكم العربي الإسلامي، وكان لها تأثير قويٌّ مباشر في جنوبيّ فرنسا فأوروبا.

رعى خلفاء الأندلس الموسيقا والغناء، فقد كان عبد الرحمن الأول (الداخل) الذي أسَّس دولة الأندلس محبًّا للغناء، وكان عنده قينة اسمها «عفرة» تجيد العزف بالعود، وكان في قصر محمد الثاني فرقة موسيقية تضم مئتي عود ومزمار، وكان المعتمد مغنِّياً وعازفاً للعود، وأثار حب عبيد الله للموسيقا نقمة رعاياه، لانشغاله بالعزف عن تصريف أمور الرعية.

وشيئاً فشيئاً تبوأت الموسيقا مكانة رفيعة في كلِّ أنحاء الأندلس، وظهرت فيها للمرة الأولى في تاريخ الموسيقا العربية نظرية تأثير الموسيقا، التي تقول إن لكلِّ مزاج نغمةً توافقه، ولكلِّ طبيعة لحنًا يلائمه.

وفي الأندلس وُلِدَ «الموشَّح» الذي كان أحد نتائج التطوُّر الذي طرأ على موسيقا الشعر العربي، ووجد العرب فيه الرمز الحي لفنهم الغنائي.

أما «الزجل» في الأندلس، الذي هو من أوليات الغناء

الشعبي الذي ابتكره العرب، فهو المرآة التي عكست حياة شعب الأندلس، ولم يقتصر الزجل على الأندلس، بل انتقل منها إلى المغرب والمشرق العربيين حاملاً معه روح الشعب العربي في الأندلس. وأشهر من غنَّى الزجل الحضري في الأندلس «ابن جحدر» و «مدغليس» و « أبو حسن سهل بن مالك، وغنَّى زجل البداة «يحيى بن عبد الله البحيضة».

كانت إشبيليا مركزاً مهماً للموسيقا والغناء، وكانت حفلات طليطلة الموسيقية يُضرب بها المثل في الأندلس، وأشهر من غنَّى فيها الوزير «أبو الحسين بن أبي جعفر الوقشي». وعلى هذا الحال كانت سرقسطة التي فخرت بالمغني «أبي الفضل حمداي».

واشتهر من موسيقيي بلاط الأمراء ومغنيه «العباس بن النسائي» و«المنصور» و«علُّون» و«زرقون»، و«ابن الحاجب» الشاعر والمغني والملحن، و«الصقلي» المغني، والطبيب «يحيى بن عبد الله» الذي كان يجدِّد في تكوين الفرقة الموسيقية المصاحبة لغناء الزجل بإدخال آلات النفخ النحاسية، و«ابن الحمراء» الملحن والعازف البارع.

وأشهرهم علي بن نافع «زرياب» المتوفَّى في قرطبة سنة ٢٣٠هـ / ٨٤٥م، الذي كانت له مكانة خاصة، فهو نديم الخليفة عبد الرحمن الثاني، إذ لم يتوقَّع عندما هرب من بغداد خوفاً من تهديد الموصلي له بالقتل، أنَّه سيحقِّق الشهرة في بلاط الأندلس، حيث أنجب ستة أبناء وبنتين جميعهم احترفوا الموسيقا والغناء، ونقل الحياة ببغداد بمظاهرها الفنية والاجتماعية، ولقيت مدرسته الموسيقية الممثلة في شخصه وفي أبنائه وبناته وجواريه نجاحاً كبيراً طغى على مدرسة الحجاز القديمة التي أخذت في الضعف والزوال.

وكان الفيلسوف والأديب والعالم «أبو بكر محمد بن الصائغ» الشهير بـ: «ابن باجة»، المتوفَّى سنة ٥٣٢هـ / ١١٣٨م، من أبرع الموسيقيين، وكان ينظِّم موشَّحاته ويلحنها وحده، ووصفه ابن خلدون بصاحب التلاحين، وعيَّنه أمير سرقسطة أبو بكر بن إبراهيم وزيراً في زمن المرابطين، وهو من وضع الجزء الأكبر من التراث الأندلسي الذي حمله النازحون معهم بعد سقوط الأندلس، وترك أكثر من عشرة كتب، منها كتابٌ يلخِّص فيه المعارف الموسيقية، وهذا مما يضعه في صفٍّ واحد مع الفارابي.

كما احتلت المغنيات في الأندلس مكانة مرموقة أيضاً لا تقلُّ عن مكانة الموسيقيين والمغنين، فاشتهرت «قمر المغنية» في بلاط أمير إشبيلية إبراهيم الحجَّاج، و«قرمونة»، و«طرب»، و«أنس القلوب»، و«يزيعة»، و«ولادة بنت المستكفي» الشاعرة والمغنية، وغيرهنَّ كثير.

ومن المغنين في الأندلس «أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت» المولود سنة ٤٦٠ هـ، الذي أمضى شبابه في الأندلس قبل أن ينتقل إلى مصر في العصر الفاطمي، ووضع كتباً مهمة عن الموسيقا، منها: «رسالة في الموسيقا».

ومنهم «عباس بن فرناس» الذي اشتهر في التاريخ بأنَّه أوَّل من حاول الطيران، وهو أيضاً أوَّل من حلَّل علم الموسيقا، وفكَّ رموز كتاب «العروض» للخليل بن أحمد الفراهيدي، ولُقِّب بحكيم الأندلس.

أمَّا «أبو الحكم عبيد الله بن المظفَّر الباهلي»، المولود عام ٤٨٧ هـ / ١٠٩٥م، فقد هاجر إلى بغداد بعد أن أتقن الطب والأدب والموسيقا، ثمَّ انتقل إلى دمشق واستقرَّ فيها، ومن كتبه: « نهج الوضاعة لأولي الخلاعة»، وبعد وفاته تابع ابنه «أبو المجد محمد» مسيرة أبيه واهتمَّ بالموسيقا، إضافة إلى علوم الطب، فبرع في العزف بالعود والزمر والإيقاع والغناء وتأليف الألحان.

ـ الموسيقا والغناء في العصر الفاطمي (٢٩٧ ـ ٥٦٧ هـ / ٩٠٩ ـ ١١٧١ م):

لقيت الموسيقا في عهد الفاطميين رعاية عظيمة، وكان المعز لدين الله راعياً للفنون، كما كان ابنه أبو علي تميم شاعراً غزلياً موسيقياً بارعاً، وكان الظاهر بأمر الله موسيقيًّا نابغاً، والمستنصر بالله محباً للغناء.

ومن الكتب التي ظهرت في تلك الفترة: «كتاب السماع»

لابن القيسراني (٤٤٨-٥٠٧هـ / ١٠٥٧-١١١٤م)، الذي حقَّقه أبو الوفا المراغي، منشورات لجنة إحياء التراث الإسلامي بوزارة الأوقاف المصرية، ١٩٩٤.

ـ الموسيقا والغناء في العصر الأيوبي (استمرَّ نحو ٦٠ عاماً في القرنين السادس والسابع الهجريين، الثاني عشر الميلادي):

لم تزدهر الموسيقا والغناء في هذا العصر كما كان عليه الحال في العصور السابقة، وذلك بسبب الحروب الصليبية التي شغلت الناس عن الفنون واتجاههم لبناء القلاع والثغور والقتال، غير أنَّ ذلك لا يعني أنَّهما قد توقَّفا عن الظهور والاستمرار، إذ برز بعض الموسيقيين والمغنين، ومنهم: «أبو زكريا إلياس» و«أبو نصر بن المطران».

ومن خلال الحروب الصليبية تعرَّف الغرب بعض الفنون العربية، ومنها الألوان والزخارف اللحنية العربية، التي تفاعلت مع الموسيقا الأوروبية.

ـ الموسيقا والغناء في العصر المملوكي (٦٤٨ ـ ٩٢٢هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م):

تبوأت مصر والشام في هذا العصر مكانة مرموقة على الصعيد الحضاري، فازدهرت الحركة الفنية، وشجَّع السلاطين الموسيقا والغناء، وظهرت ألوانٌ منها رائعة ومطعَّمة ومزركشة بشتَّى ضروب الفنون كالموشَّحات والزجل والمواويل، كما برز المادحون وشعراء الرباب وحلقات الذكر والفتلة المولوية، وتجلَّت الموسيقا التصويرية في مسرح خيال الظل، الذي عبَّر عن حالة المجتمع في ذلك الوقت، وقصد أرباب الفنون مصر والشام من بلدانٍ كثيرة، لكي ينعموا بعطايا السلاطين والأمراء المماليك.

ويتبع اهتمام الناس بأنواع الموسيقا، اهتمامهم بالآلات الموسيقية، ومنها العود أو البربط، والقانون أو السنطير، والجنك، والطار، والشبابة أو المزمار، والرباب، والشعيبية، والناي، والكمنجة، والموصول، والزلامي، والبوق، والطنبور، والطبل.

اشتهر من موسيقيي هذا العصر:

ـ صفي الدين الأرموي البغدادي: وُلِدَ وتوفِّيَ ببغداد (٦١٣ـ ٦٩٣هـ / ١٢١٧ـ١٢٩٤م)، اشتهر بالموسيقا وصناعة الألحان، فبلغ في ذلك الغاية القصوى، ولم يدانه أحدٌ في هذا المضمار، وإليه يرجع الفضل في ضبط الأنغام وإحكام القواعد النظرية، ويُعَدُّ في الصدارة من علماء العرب الذين استكملوا علم صناعة الموسيقا النظرية والعملية، وله في ذلك «كتاب الأدوار في الموسيقا»، الذي حقَّقه غطاس عبد الملك خشبة، ونشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦.

ـ ناصر العودي الحلبي: عاش أواخر هذا العصر، وحدَّد أصول النغمات بأربعة: «اعلم أنَّ الأصول أربعة، الأصل الأول راست، الأصل الثاني عراق، الأصل الثالث زرفكند، الأصل الرابع أصفهان».

ـ ابن الأكفاني: عاش بمصر وتوفِّيَ فيها سنة ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م، قال في كتابه: «إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد» الذي نُشرَ محقَّقاً سنة ١٩٩٤، «إنَّ علم الموسيقا هو علمٌ يُعْلم منه النغم والإيقاع، وأحوالها، وكيفية تأليف اللحون وإيجاد الآلات الموسيقارية»، وموضوعه الصوت من جهة تأثيره في النفس باعتبار نظامه في طبقته وزمانه. ثمَّ قسَّم علم الموسيقا إلى خمسة أجزاء: الأول في المبادئ وكيفية استنباطها، الثاني في النغم وأحوالها، والثالث في الإيقاع، والرابع في كيفية تأليف الألحان وبيان الملائم منها، والخامس في إيجاد الآلات الموسيقية وتقديرها.

ـ شمس الدين الدهان: توفِّيَ سنة ٧٢١هـ / ١٣٢١م، كان إضافةً إلى مهنته دهاناً، موسيقياً يعزف الأنغام على القانون، وشاعراً ينظم الشعر ويلحنه، فيغنيه المغنون.

ـ شمس الدين الشهرزوري: توفِّيَ سنة ٧٤١هـ / ١٣٤١م، أتقن الموسيقا، وحظي بالذكر عند السلطان.

ـ ناصر الدين محمد بن جنكلي بن البابا: توفِّيَ سنة ٧٤١هـ / ١٣٤١م، عاش في القاهرة، كان أديباً وشاعراً، واشتغل بالموسيقا.

ـ الأمير ركن الدين عمر بن طقصو، توفِّيَ سنة ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م، له تصانيف عديدة في الموسيقا.

ـ الشيخ شمس الدين بن كُرْ: توفِّيَ سنة ٧٦٣هـ / ١٣٤٨م، تناوله المؤلفون بشيءٍ من التفصيل لشهرته، وممَّا قيل عنه: «إمام أهل عصره في علم الموسيقا، شغل جماعة من أكابر علم النغم وقرؤوا عليه، وقرأ فن الموسيقا على القاضي علاء الدين بن التراكيشي الحنبلي، وحُكي عنه أنَّه مرَّ على قوم يغنُّون، فحرَّك بغلته حتى مشت على الدقة والإيقاع، وقال عن نفسه لأحدهم: «لقد ظهر لي خطأ جماعة من المتقدِّمين في هذا الفن مثل الفارابي وغيره، وقد برهنت على ذلك»، وله كتاب «غاية المطلوب في علم الأنغام والضروب».

ـ ابن الفصيح: توفِّيَ سنة ٧١٠هـ / ١٣١٠م، كان أعجوبة زمانه في الغناء وصناعته في القاهرة.

ـ ابنا الجمَّال، وهما المغني المشهور «إبراهيم الجمَّال»، وأخوه «خليل»، عاشا في القاهرة وتوفِّيا فيها معاً إثر سقوط منزلٍ كان يقيمان به السماع، ومات معهم ست أنفس، وكان ذلك سنة ٧٦٠هـ / ١٣٨٨م.

ـ دنيا بنت الأقباعي: مغنية دمشقية اشتهرت بالغناء في بيوت السلاطين، توفِّيت سنة ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م.

ومن الكتب التي ظهرت في هذا العصر:

ـ «كتاب السماع والرقص» لمحمد بن محمد المنبجي المتوفَّى سنة ٧٨٥هـ / ١٣٨٣م.

ـ «الغناء المحدث والرقص» لابن رجب الحنبلي (٧٣٦ـ٧٩٥هـ / ١٣٣٥ـ١٣٩٣م).

ـ الموسيقا والغناء في العصر العثماني سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٧م حتى الآن:

بعد سقوط حكم المماليك في بلاد الشام ومصر على أيدي الأتراك العثمانيين، اهتم العثمانيون بإمبراطوريتهم التي شملت دول البلقان والوطن العربي، فأولوا الفنون والآداب عنايتهم، ولا سيما الموسيقا التي ازدهرت بفعل بعض سلاطينهم، فكان لها تأثيرٌ قويٌّ في جميع البلاد الخاضعة لحكمهم، وكانت النظريات والعلوم الموسيقية المعمول بها هي نفسها السائدة في بلاد فارس والوطن العربي، إضافةً إلى التأثيرات البيزنطية والإفريقية، واشتهر من الموسيقيين العثمانيين السلطان سليم الثالث ويوسف باشا وحاجي عرفي بيك وعثمان الطنبوري وطاطيوس وميساك وغيرهم، ومن قبلهم «جلال الدين الرومي» الذي ابتدع في مدينة قونية التركية الغناء والموسيقا الصوفية التي تُعرف باسم: «الفتلة المولوية»، التي سادت في أنحاء الإمبراطورية زمناً طويلاً، وما زالت تمارس على نطاقٍ واسع في عدة بلدانٍ ومنها سورية.

لمَّا تولَّى محمد علي باشا الكبير ولاية مصر سنة ١٨٠٥م، استعان بالفرنسيين في تحديث جيشه، وكان قد دخل في عِداده الفرق الموسيقية العسكرية، وفي عهده أُنشِئت خمس مدارس لتعليم الموسيقا، التي كان أغلب مدرسيها من الفرنسيين والألمان، ومع هذا فإنَّ الموسيقا التركية ظلَّت هي المسيطرة على الموسيقا العربية، ولا سيما في بلاد الشام والعراق ومصر، ممَّا دفع الباحثين إلى التنقيب عن التراث الموسيقي العربي، وإلى وضع مؤلفات تمهِّد الطريق للدارسين، ومنها:

ـ «أرجوزة في أسماء الأنغام وشرحها» لعبد الله المارداني، ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م.

ـ «الرسالة الفتحية في الموسيقا» لمحمد بن عبد الحميد اللاذقي، الذي كان حيًّا سنة ٨٨٨هـ / ١٤٨٣م، والذي كان من أحسن الفنانين والموسيقيين وأمهرهم في زمانه، حقَّقه: هاشم محمد الرجب، ونشره المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت سنة ١٩٨٦م.

ـ «أرجوزة الأنغام»، أو: «جواهر النظام في معرفة الأنغام» لمحمد الخطيب الإربلي، ١١٣٠هـ / ١٧١٨م.

ـ «رسالة في ذِكر الأنغام وأصولها» لعبد القادر، ١١٧٠هـ / ١٧٥٧م.

ـ «الرسالة الشهابية في الصناعة الموسيقية» لميخائيل مشاقَّة، توفِّيَ سنة ١٣٠٥هـ / ١٨٨٨م، تحقيق الدكتور إيزيس فتح الله جبراوي، منشورات دار الفكر العربي بالقاهرة، ١٩٩٦، يضمُّ الكتاب نظريته المتعلقة بتقسيم البُعد الموسيقي إلى أرباع.

ـ «رسالة في علم الموسيقا» لصلاح الدين الصفدي، تحقيق: عبد المجيد دياب، وغطّاس خشبة، منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩١.

وكُتبت الكتب التالية المجهولة المؤلف والتاريخ والمكان أو أحدها:

ـ «نفخ النفخات في علم النغمات» لصالح الكبيسي.

ـ «سلافة الحان في الألحان»، ١٢٧٧هـ / ١٨٦١م.

ـ «كتاب في علم الموسيقا».

ـ «رسالة في الغناء والموسيقا».

ـ «رسالة في فن الموسيقا».

ـ «سفينة الكبيسي في الموسيقا» لحسين الكبيسي.

ـ «رسالة في الأنغام».

ـ «رسالة في الألحان».

ـ «المدخل إلى صناعة الموسيقا».

ـ «سفينة الملك ونفيسة الفلك» لمحمد بن إسماعيل بن عمر شهاب الدين.

ـ « تحفة الوعود بتعليم العود»، و«الروضة البهية في أوزان الألحان الموسيقية» لمحمد ذاكريك.

ـ «فصل في أصول النفخات الأربعة وما يتفرَّع منها على الطبائع الأربع».

وشهدت مصر في عهد الخديوي إسماعيل، الذي تولى الحكم سنة ١٨٦٣م، خطوةً حضارية مهمة، وهي افتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩م، وافتتاح دار الأوبرا، وفيها عرضت فرقة إيطالية أوبرا «عايدة» لـ: «فيردي»، فكان هذا الحدث أول احتكاكٍ حقيقي بالموسيقا الغربية.

وفي دمشق أصبح الموسيقي والممثل المسرحي السوري أحمد أبو خليل القباني (١٨٣٣ـ١٩٠٣م) من أشهر فناني عصره، ويُعَدُّ مؤسِّس المسرح الغنائي الموسيقي، وأحد رواد المسرح الدرامي العربي منذ ستينيات القرن التاسع عشر.

وظهر في حلب الشيخ علي الدرويش (١٨٨٤ـ١٩٥٢م)، الذي برع في التنظير للموسيقا والعزف بالناي، ودرَّس الموسيقا في عدة أقطارٍ عربية، وساعد المستشرق البارون «ديرلانجيه» على تدوين الجزء الخامس من كتاب الموسيقا العربية، إضافةً إلى تدوينه عدداً من نوتات التراث الموسيقي التونسي.

وفي تلك الفترة برز من الموسيقيين العرب في سورية ولبنان عمر البطش وصبحي الحريري وتوفيق الصباغ وسامي الشوا وجميل عويس وبكري الكردي وأحمد الأوبري ومحيي الدين بعيون وصليبا القطريب ومصطفى الصواف وصلح المحبك وكميل شامبير وفخري البارودي وأسعد سالم وأحمد الفقش وصبحي سعيد، وعازفي العود فؤاد محفوظ وعمر النقشبندي وعزيز غنَّام وتيسير عقيل ومحمد محسن، وسلامة الأغواني مطرب المونولوج الشعبي، ومحمد عبد الكريم أمير البزق، وشفيق شبيب الذي أسَّس أول نادٍ للموسيقا في دمشق سنة ١٩١٣، ومطرب أغاني التراث الشعبية العربية مصطفى هلال، والمطرب الملحن سري طمبورجي، والمطرب الذائع الصيت رفيق شكري، والملحِّنين غالب طيفور وأنطوان زابيطا وزكي محمد ومحمد ضياء الدين الهاشمي ومحمود عجَّان ونجيب السراج وعدنان قريش وعبد الفتاح سكر وعدنان إيلوش، وتوفيق الباشا واحد من ألمع رجال الموسيقا العربية الرفيعة في القرن العشرين، والملحن الذائع الصيت عاصي الرحباني، وزكي ناصيف شيخ الموسيقا اللبنانية المعاصرة، ووديع الصافي مطرب المطربين، والموسيقي الموهوب إلياس سحاب.

ختاماً نقول: هذا غيضٌ من فيض ممَّا ورد في تراثنا العربي عن الموسيقا والغناء، ومع كثرة ما كُتِبَ عنه من كتبٍ ورسائل، وتعدُّد ما جرى تحقيقه ونشره بما يتماشى مع روح العصر، ما يزال القسم الأكبر منه على حاله الذي تركه لنا سلفنا الصالح، سواءٌ المحفوظ منه في مكتباتنا العربية، أم الذي جرى نقله وحفظه في مكتباتٍ خارج منطقتنا العربية، وكلاهما في حاجة ماسة لإخراجه إلى النور، ولا شكَّ أنَّ الأيادي الخبيرة والخيِّرة ستصل إليه إن عاجلاً أو آجلاً، وستظهره لنا بقوالب نقبل على قراءتها بشغفٍ ولهفة.

ـ المراجع:

ـ معالم الموسيقا العربية، نسيب الاختيار، منشورات المكتبة العصرية ببيروت، ١٩٥٣.

ـ الموسيقا والغناء عند العرب، حمد تيمور باشا، الناشر: لجنة نشر المؤلفات التيمورية بالقاهرة، ١٩٦٣.

ـ الأغنية العربية، صميم الشريف، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي بدمشق، ١٩٨١.

ـ الموسيقا في سورية: أعلامٌ وتاريخ، صميم الشريف، منشورات وزارة الثقافة بدمشق، ١٩٩١.

ـ الموسوعة العربية، الجزء ١٣، هيئة الموسوعة العربية بدمشق، ٢٠٠٢.

ـ الموسيقا العربية في القرن العشرين: مشاهد ومحطات ووجوه، إلياس سحاب، دار الفارابي ببيروت، ٢٠٠٩.

يُشار إلى أنَّ أغلب المخطوطات والكتب المذكورة في هذه المقالة هي من محفوظات المكتبة الوطنية بدمشق، وبالإمكان الاطلاع عليها داخل المكتبة.

الفتلة المولوية وما يصاحبها من ابتهالاتٍ دينية وأناشيد صوفية.

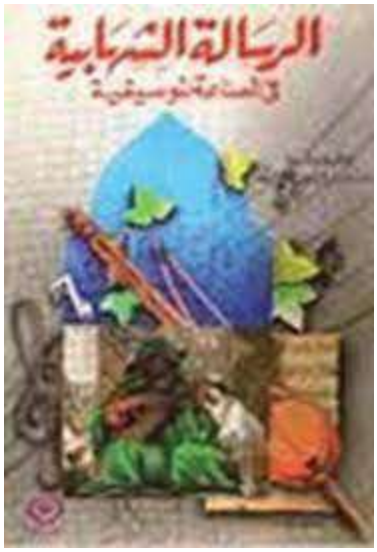

كتاب الرسالة الشهابية في الصناعة الموسيقية محقَّقاً.

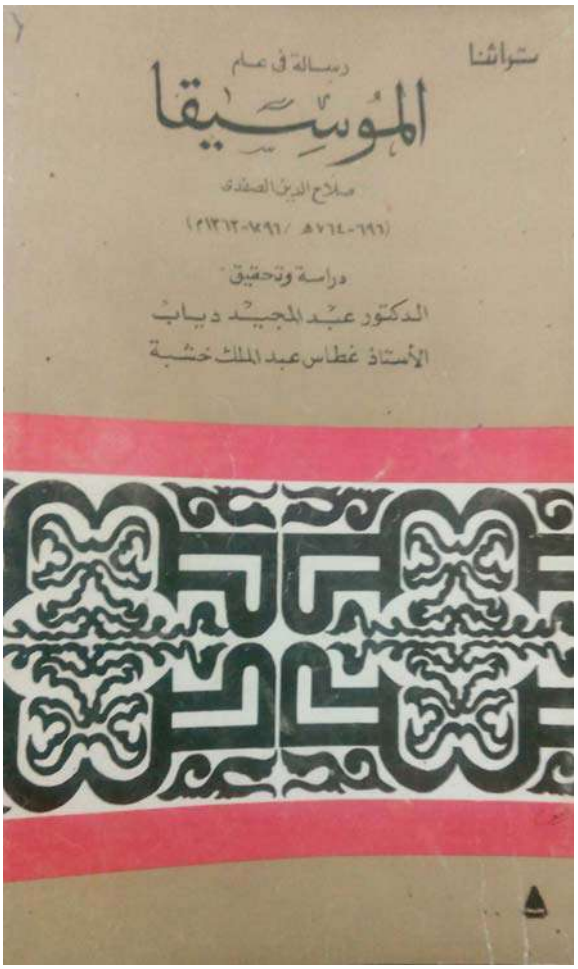

رسالة في علم الموسيقا لصلاح الدين الصفدي محققاً.

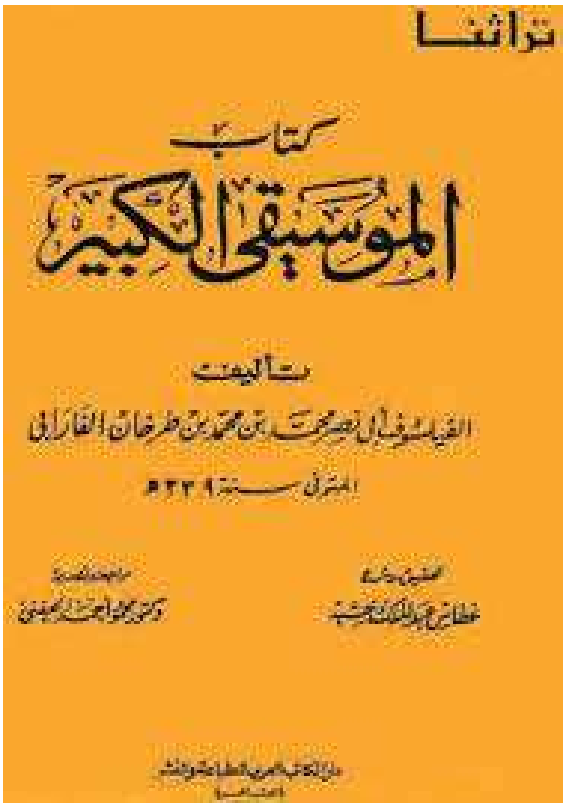

كتاب الموسيقا الكبير للفارابي محققاً.

مخطوط إيضاح الدلالات في سماع الآلات لعبد الغني النابلسي.

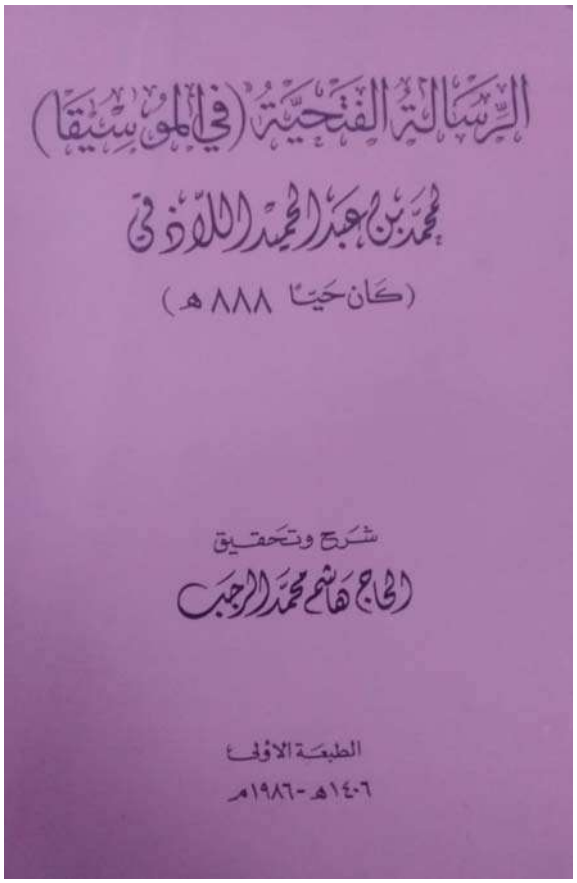

كتاب: الرسالة الفتحية في الموسيقا محقَّقاً.

عارف النكدي

العالم المجمعيُّ

١٨٨٧-١٩٧٥م

نغـــم حامـــــد[١]

نشأته وحياته

ولد عارف النكدي في لبنان في ١٣ كانون الثاني ١٨٨٧م، ويعود نسبه إلى آل نكد، وهي عشيرةٌ تُنسَب إلى قبيلة تغلب العربيّة، خرجت مع الجيوش العربيّة إلى مِصر ثم المغرب، حيث بقي قسمٌ منها يُعرف بـ (الأنكاد)، في حين عاد قسمٌ آخر إلى مصر في العهد الفاطمي، وبقوا هناك إلى أن بدأت أزمات الدولة الفاطميّة، فانتقلوا إلى لبنان حيثُ وُلِد.

تلقّى علومه الأولى في مدرسة بعبدا، وتزوّد بعلوم اللُّغة العربية على يد عبد الله البستاني، ومصطفى الغلاييني، وإبراهيم منذر، ويوسف الفاخوري وغيرهم.

ونهل من الفقه والقانون على يد أحمد عباس الأزهري، وحسن المدور، وعبد الباسط فاخوري، وغيرهم. وكان من رفاق دراسته عادل أرسلان.

تابع عارف النكدي دراسة الفرنسيّة والعلوم العصرية في المدرسة العلمانية الفرنسية. وفي عام ١٩١١م نال إجازةً في الحقوق، خوّلته تولّي القضاء وممارسة المحاماة، فعُيّن كاتباً في محكمة الاستئناف في جبل لبنان (١٩١٢م)، ثم قاضي بعبدا (١٩١٤م). وقد عانى من الفرنسيين كثيراً بسبب مواقفه الوطنية، إذ عُزل من منصبه عام ١٩١٨م في الاضطرابات السياسية، ثم عُزِل عام ١٩٣٠م بعد سنتين من توليه إدارة الأمور الحقوقية في وزارة العدل، ومع ذلك لم تثبط عزيمته، بل استمر بالكفاح العروبي، وأبدى صبراً وهمّةً لا تلين، وأصدر جريدة الأيام السياسية اليومية، ثم مجلة الميثاق الشهرية، ثم جريدة اليوم، غير أنها لاقت مجابهة الفرنسيين وأُغلقت.

عاد عارف النكدي ليتولّى مهمة القضاء سنة ١٩٣٧م،

(١) مديرة المكتب الصحفيّ في الهيئة العامة السّوريّة للكتاب – وزارة الثقافة.

وأسندت إليه مهمّة المدير العام لوزارة العدل إضافة إلى مهام أخرى حتى عام ١٩٤٦م. وفي سنة ١٩٤٨م عُيّن محافظاً لجبل العرب إلى أن أُحيل على المعاش سنة ١٩٤٩م.

كان عارف قاضياً عادلاً يكره الظُّلم، وإدارياً حازماً، وإنساناً يحمل قلباً كبيراً، وكان صادقاً صريحاً يكره المجاملات والمواربة، ويعترف بالخطأ إذا وقع ويقول الحق.

وكان من قادة النَّهضة التربويَّة الاجتماعيَّة في عصره، إذ بذل في مسيرته جهوداً كثيرة في نشر العلم بين أبناء بلده، فأسهم في فتح عددٍ من المدارس، منها المدرسة التنوخيَّة للبنات في عبيه، والمدرسة المعنيّة في بيروت، إلى جانب إنشاء بيت اليتيم في السويداء.

وافته المنية في ٢٣ آذار ١٩٧٥م الموافق ١٠ ربيع الأول ١٣٩٥هـ، ودفن في جبل لبنان. وتقديراً لجهوده سُمّي أحد شوارع دمشق ومدرسة باسمه.

عمله المجمعي:

في ٣٠ آذار ١٩٢٣م، انتُخِب عارف النكدي عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية في دمشق، وبدأ يشارك في خدمة العربية والدفاع عن سلامتها، فكانت له مقالات ومحاضرات عدّة في المجمع في هذا المجال.

ولما غادر دمشق أصبح عضواً مراسلاً للمجمع، حتى إذا عاد إليه سنة ١٩٤٤م، أُعيد انتخابه وصدر مرسوم بتعيينه عضواً عاملاً، خلفًا للأستاذ رشيد بقدونس.

من أبرز مشاركاته في المجمع، مشاركته في أعمال المؤتمر الأول للمجامع اللغوية العلمية المنعقد في دمشق سنة ١٩٥٦م، في محاضرة ألقاها عن (الفصحى والعامية)، وكذلك مشاركته في مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة ١٩٦١م، في محاضرة حملت عنوان (الوحدة العربية).

وفي عام ١٩٦٦م، كُلِّف الإشراف على مطبوعات المجمع.

آثاره:

للأستاذ عارف النكدي كتبٌ مؤلَّفة ومترجمة. يُذكر منها:

- كتاب (معضلة الشرق)، الذي ترجمه عن الفرنسية وطبع في جريدة الحقيقة، في بيروت عام ١٩٢٠م. وهو كتاب مفتوح إلى عصبة الأمم.
- كتاب (الموجز في علم الاجتماع)، مطبعة المفيد، دمشق ١٩٢٥م. وهو في الأصل مجموعة من المحاضرات التي ألقاها في معهد الحقوق العربي.
- كتاب تاريخ الأمير عبد الله التنوخي.

كما له مجموعة من المقالات المنشورة في مجلة المجمع بين عامي (١٩٢٤-١٩٧٥م)، في التراجم والتاريخ واللغة والنقد وعرض الكتب. منها: (مشروع بكتابة الحركات بحروف عربية واستعمال أبجدية واحدة للطبع والكتابة)، (العربية بين الفصحى والعامية وكتاب رد العامي إلى الفصيح)، (اللغة اللبنانية)، (حول رسم الهمزة)...

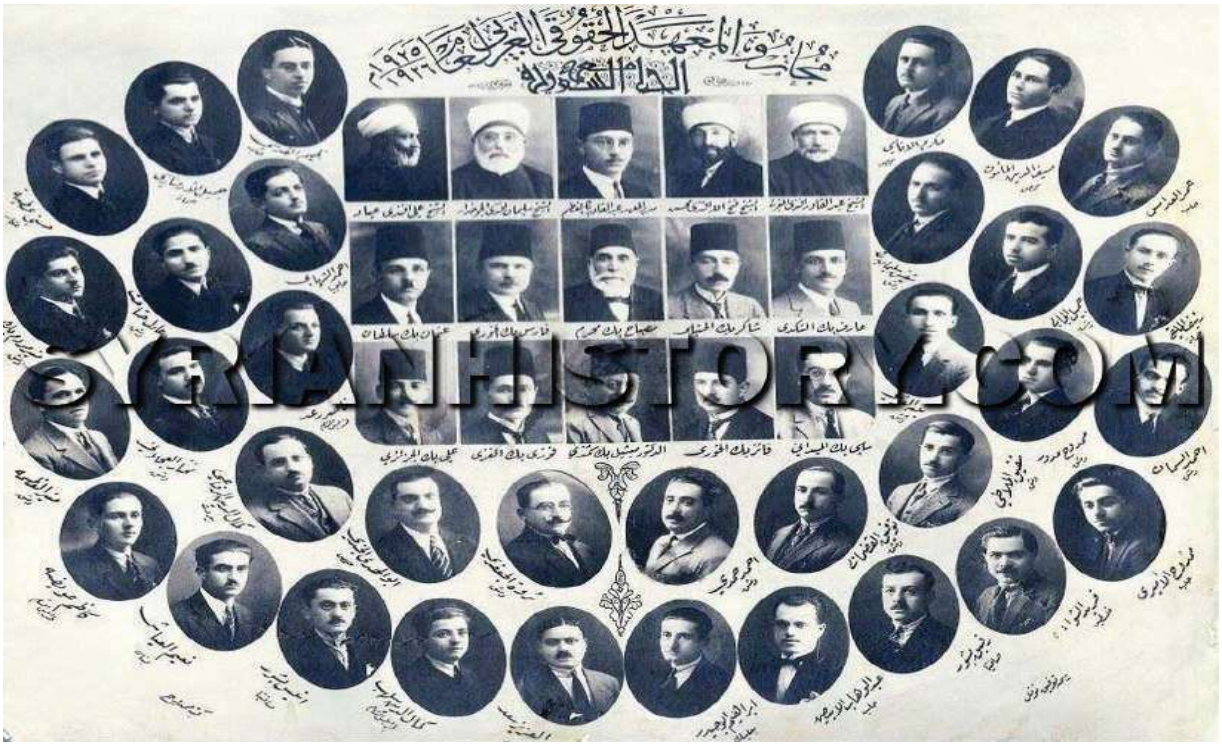

وله مقالات أخرى منشورة في مجلّات أخرى، مثل مجلة الأديب، ومجلة العرفان، ومجلة المقتطف، ومجلة المورد.

من آرائه:

– **في مقالته (نهضة اللغة العربية) المنشورة في مجلة العرفان،** يشير النكدي إلى أن النهضة الحقيقية تعمّ العلوم والآداب والفنون، «ولا يصح أن نسمي لغتنا لغةً حيّة ونحن في طبّ أو حقوق أو فلسفة... عالة على غيرنا. يجب أن نستعين بادئ ذي بدء بالأعاجم كما استعانوا هم أنفسهم أوَّلَ عهدهم بالعِلم بنا، حتى إذا اجتمع لدينا ما ينقصنا من العلم نظرنا فيما أخذناه عنهم فاطّرحنا منه ما لا نرى لنا به حاجة، وأضفنا إليه ما أهمل مما حاجتنا إليه ماسّة، كما فعل آباؤنا أيام المأمون عندما نظروا في علوم اليونان وحضارتها». (العرفان ج١٥، مجلد٣، ص ٦١٠).

–**وفي مقالته (العربية بين الفصحى والعامية) المنشورة في مجمع اللغة العربية،** ينبه النكدي على ضرورة تقريب المسافة بين العامية والفصحى بطرائق عدّة، منها النظر في الكلمات العامية وتصحيحها وردّ ما فيها من خطأ إلى الفصيح، مع ذِكر أسماء بعض الكتب التي اعتنت بذلك، وبعض المفردات التي وقف عليها مثل:

«فأى: قال: (فأى الدملة والقرحة) إذا شقها، فانفأت. وهو من قول العرب فأى رأسه: إذا فلقه بالسيف أو بالعصا ونحوهما. نقله الجوهري عن أبي زيد.

وفي اللسان: قال الليث: فأوت رأسه فأواً، وفأيته فأياً: إذا فلقته بالسيف...

وقلنا: أقرب من هذا، وأقل سنداً بالتخريج، أن ترد (فأى) إلى فقأ. وفي اللسان: فقأ العين، والبثرة ونحوهما، يفقؤهما فقأ... قلعها...

والعامة إلى اليوم تستعمل هذه اللفظة على وجهها الصحيح. فتقول: فقأ الدملة والعين ونحوهما، غير أنها تستعملها مسهلة بلا همزة". (مجلة مجمع اللغة العربية، العدد ١، ١٩٦٠، ص١٨).

بعض مصادر ترجمته:

– أعلام مجمع اللغة العربية في مئة عام ١٩١٩–٢٠١٩م، إعداد الأستاذ مروان البواب، مطبوعات مجمع اللغة العربية في دمشق.

– عشرون عاماً مع عارف النكدي، فندي الشعار، لبنان، ٢٠١٤م.

– عارف النكدي، موقع أرشيف المجلات الأدبية

مِنْ غائلة التَّصحيف

د. محمَّـــد قاســـم

- **فتح الباري ٢/ ١٩٠٠:**

قال الفرزدق:

فبتنا كـأنَّ العنبرَ الـوَرْدَ بَيْنَنا وبَـالَـةَ **بَحْرٍ فاؤُها** قد تخرَّما [كذا]

صوابه: وبَالَةَ **تَجْرٍ فَأْرُها** قَدْ تَخَرَّما.

العنبر: مِن الطِّيب. الورد: لون أحمر يَضْرِبُ إلى صُفْرَةٍ حسنة في كلِّ شيءٍ. ورواية الدِّيوان: البَحْتَ، وهو الخالص الصِّرْف. البَالَةُ: وعاء المسك. تَجْر: جمع تاجر، بائع الخمر. فَأْرُ المسك: نافجتُهُ أي كِيْسُهُ. تخرَّم: تشقَّق.

- **ديوان الفرزدق ٣١٤:**

ومُـنْـتَـكِـثٍ عَـلَّـلْـتُ مُـلْـتَـاثَـهُ بِـهِ وقَـدْ كَـفَّـنَ اللَّـيْـلُ الخُـرُوْقَ الخواليا

كـذا وقـع في الرّوايـة «مُلْتَاثَـهُ» بإضافة الوصف «ملتـاث» إلى ضمير المُذَكَّـر، وهو تحريف لا يُـدرى ممَّنْ وَقَعَ أَمِـنَ السّكّـريّ الشارح أَمْ عن أحد من رجال رواية شعر الفرزدق عنه. وصحّـة إنشاده «**مُلْتَاثَةً**» بهاء التَّأنيث صفة موصوف محذوف، أي ناقةً مُلْتَاثَةً، و«**عَالَلْتُ**» إلّا أَنْ يَصِحَّ أَنَّ عَلَّلْتُ بمعناه.

وذاك أَنَّ ابن قتيبة أنشد في الشعر والشعراء ١ / ٤٨٠ قول الفرزدق على أَنَّهُ مِمَّا سَبَقَ إليه الفرزدق، فأُخِذَ عنه، أَوْ سُبِقَ إليه فأَخَذَهُ، وروايته فيه:

ومُنْتَكِثٍ عاللتُ بالسَّوْطِ رَأْسَهُ وقد كفَّر اللَّيْلُ الخُـرُوْقَ الخواليا

ثمّ قال ابن قُتيبة: يعني بالمُنْتَكِث بعيرًا انتكث، أي هُزِلَ. وقال الآخر في وصف سَوْطٍ:

ومُنْتَكِثٍ عاللتُ مُلْتَاثَةً بِهِ وقد حَدَرَ اللَّيْلُ **النُّسُوْرَ** العواليا

وقوله «النُّسور» تحريف صوابه «**النُّشُوز**» جمع نَشْز: المرتفع مِن الأرض.

فالمُنْتَكِثُ في بيت الفرزدق: السَّوْط، والملتاثة: النَّاقة المبطئة.

عاللت: طلبتُ عُلَالَةَ النَّاقة المُبْطئة، وعُلالة النَّاقة بقيَّةُ سيرها.

- **معجم الشُّعراء ٤٤٥: المقداد** بن جسَّاس **الزُّبيريّ** الأَسَدِيّ. كذا.

وصوابه: **المِقْدَامُ** بْنُ جسَّاس **الدُّبَيْرِيُّ** الأَسَدِيُّ. انظر مجالس: ثعلب ١ / ١٠٤.

وأبوه أبو المقدام جسَّاس بن قُطَيْب الدُّبيريّ شاعر. اللِّسان [ش م ط- ل ي ط].

- **الوحشيَّات ٢٢٢:**

السَّمْهَرِيُّ العُكْلِيُّ:

بمنزلةِ أَمَّا اللَّئيمُ **فآمِنٌ** بها وكرامُ النَّاسِ بادٍ شُحُوْبُهما. كذا.

صوابه: **فسَامِنٌ**، أراد «فسَمِيْنٌ»، فبنى الوَصْفَ منه على «فاعل» مثل ثقيل وثاقل، وفي اللِّسان [س م ن]: شيءٌ سامنٌ وسمينٌ. انظر: التَّمام ١٨١، وأَساس البلاغة [س م ن].

- **البيان والتبيين ٢/١٨٣، والحيوان ١/١٩١:** حاجب بن **دينار**. كذا.

وهو حاجب الفيل بن **ذُبيان** المازنيُّ أحد بني خُزَاعيٍّ بن مازن بن مالك بن عَمْرِو بْنِ تميم.

جمهرة أنساب العرب ٢١١، وأنساب الأشراف ق٧، ج١، ص٣١٢ (ط. المعهد الألمانيّ).

وأشار مُحَقِّقُهما عبد السَّلام هارون إلى أنَّه وقع في بعض أصولهما: ذبيان، وترك الأخذ به.

والفيل لقبٌ لقَّبه به ثابت قُطْنَةَ وكَعْبٌ الأَشْقَرِيُّ كما في الأغاني ١٤ / ١٣٠.

وقال ثابت قُطْنة يهجوه:

فلَسْتُ بهَاجٍ ابْنَ ذُبْيانَ إنَّني سأُكْرِمُ نَفْسي عن سِبَابِ ذوي الهُجْرِ

[شعر ثابت قطنة ٤٦، تحقيق ماجد أحمد السَّامرّائيّ].